الجمـــهوريـــة الجزائـــريـــة الديـــمقراطيـــة الشعبيـــة
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان –
كلية الآداب واللغات
قسم : اللغة العربية وآدابـــها

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الصوتيات العربية

بين التراث والمعاصرة موسومة:

المفصل الصّوتي وأثره في الدّلالة،

دراسة نظرية وتطبيقية على نماذج من القرآن الكريم

إعداد الطالبة :
رحمة كزولي

إشراف:
أ.د. المهدي بوروبة

أعضاء اللجنة المناقشة

– أ.د. عكـــاشة شـــايف	جامعـــة تلمســـان	رئيســـــا
– أ.د. المهـــدي بوروبة	جامعـــة تلمســـان	مشرفـــا ومقررا
– أ.د. عبد القادر سلامي	جامعـــة تلمســـان	عضـــوا مناقشا
– أ.د. عبد الجليل مصطفاوي	جامعـــة تلمســـان	عضـــوا مناقشا
– أ.د. أمينـــــة طيبـــــي	جامعـــة سيدي بلعباس	عضـــوا مناقشا

السنة الجامعية :1432-1433هـ/2011-2012م

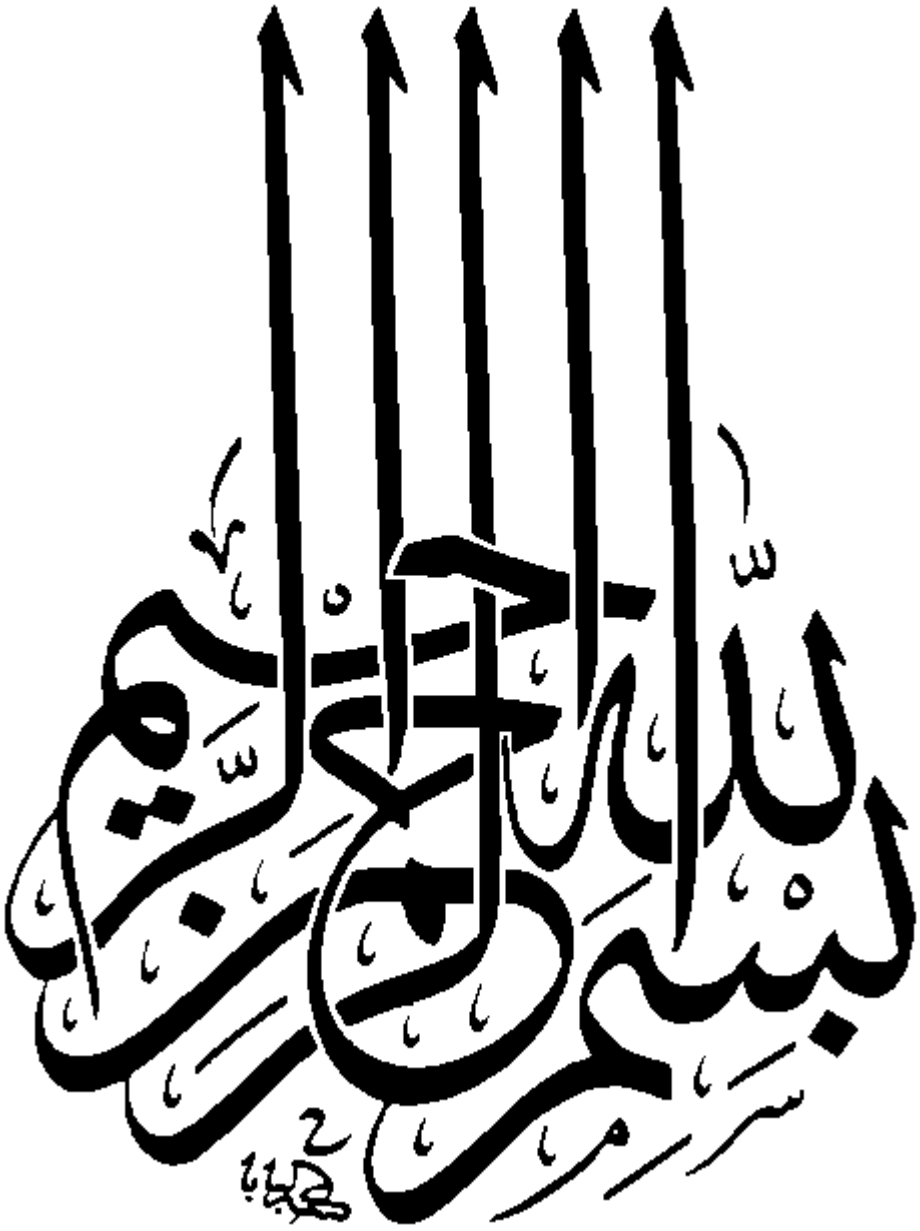
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله الّذي أعاننا على إتمام هذا البحث، وإيماناً مني بذوي الفضل، أتقدم بالشكر الجزيل، وخالص عبارات التّقدير والاحترام إلى أستاذي الفاضل الدكتور: المهدي بوروبة، الّذي أنار لي الطريق بتوجيهاته القيّمة ونصائحه السّديدة، فكان نعم المشرف.

إهداء

أهدي ثمرة عملي:

إلى والديّ الكريمين أطال الله في عمرهما .

إلى إخوتي وأخواتي الأعزاء .

إلى رفيق دربي وسندي في الحياة .

إلى قرّة عيني: "عماد الدّين" .

إلى كلّ العائلة صغيراً وكبيراً .

مقدمة

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

الحمد للّه ربّ العالمين، وأفضل الصّلاة والسّلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمّد وآله الطيّبين الطّاهرين، وصحبه الغرّ الميامين.

أمّـــا بعـــد:

فإنّ البحوث اللّغويّة الّتي خصّت القرآن الكريم تعدّ من البحوث الّتي انصبت عليها جهود الدّارسين القدامى والمحدثين، فهو منذ نزوله محطّ أنظار العلماء ومناط أفكار الفضـــلاء، فتنوّعت هذه البحوث بين شرح ألفاظه ومعرفة الغريب منها، وبيان إعرابه، وتصنيف جمله إلى أنماطها النّحويّة المختلفة وذلك بياناً وتدبّراً لمعانيه.

ويعدّ القرآن الكريم مدوّنة مفضلة في مختلف البحوث اللّغويّة، الصّوتيّة منها على وجه التّحديد؛ إذ يعتبر مصدراً موثوقاً لدراسة مختلف الظواهر الصّوتيّة نظراً لتوارث قراءته جيلاً بعد جيلٍ، فلم يصبه خللٌ أو زللٌ فكان اهتمامي منصبّاً على هذه السّلسلة من البحوث الّتي تخصّ القرآن الكريم، وكان المفصل الصّوتيّ من أهمّ المواضيع الّتي شدّت انتباهي كونه من الظواهر الحديثة على الدّرس الصّوتيّ العربيّ، فلم يلق بعد اهتماماً كبيراً من لدن علماءنا؛ إذ تظلّ الدّراسات الّتي تناولته قليلةً جدّاً، فجاء بحثي موسوماً بـــ "المفصل الصّوتيّ وأثره في الدّلالة، دراسة نظريّة وتطبيقيّة على نماذج من القرآن الكريم".

ولا ننكر دور الأستاذ المشرف في تشجيعنا على ولوج هذا البحث، لعلمه بقلّة الدّراسات الّتي تناولت الموضوع بوصفه دراسة حديثة. أمّا إذا عدنا إلى التراث اللّغويّ القديم فالمفصل الصّوتيّ يرتبط بظاهرتي الوقف والسّكت، خاصةً إذا حاولنا استقراء مواضعه في القرآن الكريم، وهنا لا ننكر وجود دراساتٍ سابقةٍ اهتمت بالظاهرتين؛ إذ أفرد لهما العلماء المسلمون تصانيف خاصّة منها كتـــاب: "إيضاح

الوقف والابتداء "لابن الأنباري، كتاب: "القطع والإئتناف" للنحّاس، كتاب: "المكتفي في الوقف والابتداء" لأبي عمرو الدّاني، كتاب: "منار الهدى" للأشموني، إلاّ أنّ هذه التّصانيف تخلو من بيان صلة الوقوف القرآنيـــة بالمعنى إلاّ شذراتٍ متفرّقةٍ هنا وهناك في بعض كتب التّفسير؛ إذ أنّ اهتمامهم انصبّ على ذكر ما تواتر منها عن النّبيّ الكريم، دون بيان الحكمة منها في بيان كلام الله وفهم آياته وتدبّر معانيه، فجاءت بعض الدّراسات الحديثة لسدّ هذا النّقص منها: "الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم" لعبد الكريم إبراهيم عوض صالح، و "الوقف القرآني وأثره في التّرجيح عند الحنفية" لعزّت شحاته كرار.

وتتجلى قيمة دراسة الظواهر الأدائيّة في بيان قيمتها الصّوتية واللّغوية فطرحت عدّة إشكالات منها: ما مفاهيم المفصل الصّوتيّ في التراث اللّغويّ القديم ؟ وماهي مفاهيمه في الدّرس الصّوتي الحديث ؟ وما مدى علاقة المفصل الصّوتيّ بغيره من الظواهر الأدائيّة ؟ و هل للمفصل دورٌ هامٌّ في بيان دلالات القرآن الكريم ؟

واقتضت طبيعة الموضوع أن نعرضه في مدخلٍ وثلاثة فصول، استهللناه بمقدّمة وذيّلنـــاه بخاتمة.

تناولنا في المدخل مفاهيم المفصل الصّوتيّ في التراث اللّغويّ القديم، وبيّنا أهميّتـــه.

أمّا الفصل الأوّل فخصّصناه لبيان ماهية المفصل الصّوتيّ في تناول القدامى والمحدثين، فقسّمناه إلى مبحثين :

تعرضنا في الأوّل لتناول علماء العربية القدامى لظاهرة المفصل الصّوتي، فتوزعت دراستنا لتشمل: النّحاة والبلاغيين، والقرّاء، والفلاسفة.

أمّا الثّاني: فتناولنا فيه المفصل الصّوتيّ في الدّرس الحديث، وقد قسّمناه إلى قسمين: الأوّل للدّراسة الغربيّة، والثّاني للدّراسة العربيّة، فبيّنا ماهيته في هذه الدّراسات، وكذا الرّموز الّتي تمثّله، مع تحديد وبيان أثره في الدّلالة، وأتبعناه بالحديث عن التّقسيمات المختلفة باختلاف المعايير المعتمدة لكلّ تقسيمٍ في الدّرسين الغربيّ والعربيّ، وختمنا الدّراسة العربيّة بذكر الأنواع الثلاثة للمفاصل الصّوتيّة في اللّغة العربيّة: من اوقفة وسّكتة واستراحة مع بيان مواضعها.

وتطرقنا في الفصل الثّاني لعلاقة المفصل الصّوتيّ بالظواهر الأدائيّة، فخصصنا المبحث الأوّل لعلاقته بالمقطع، أمّا المبحث الثّاني فبيّنا علاقته بالنّبر والتّنغيم.

في حين جاء الفصل الثّالث دراسة تطبيقيّة على نماذج من القرآن الكريم، حاولنا فيها استقراء بعض مواضع المفصل الصّوتيّ في القرآن الكريم مع بيان أثره في اختلاف دلالة الآيات القرآنية.

وذيّلنا بحثنا بخاتمة تضمّنت أهمّ النتائج المتوصّل إليها.

وقد اعتمدنا في دراستنا على المنهج الوصفيّ، والّذي يتجلّى في عرض المفصل الصّوتيّ في الدّرسين القديم والحديث، وكذا علاقته بالظواهر الأدائيّة، أمّا الفصل الثّالث فاعتمدنا التّحليل أداة للمعالجة وذلك لبيان أثر المفصل في تغيير المعاني والدّلالات في القرآن الكريم، وحتّى اختلاف بعض الأحكام الفقهية .

وكان من البديهي أن نعتمد على جملةٍ من المصادر والمراجع تمازجت هي الأخرى بين القديم والحديث، منها من القديم كتب القراءات والتّفسير: "كالنّشر في القراءات العشر" لابن الجزري، و"إيضاح الوقف والابتداء" لابن الأنباري، و"القطع والائتناف" لأبي جعفر النّحاس، "الكشاف عن غوامض حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" للزّمخشري.

أمّا من الحديث: فنجد: "أبحاث في أصوات العربيّة" لحسام سعيد النعيمي، و"علم اللّسانيات الحديثة" لعبد القادر عبد الجليل، وكتاب "في الصوّاتة الزّمنية" لمبارك حنون.

أمّا المراجع الأجنبية فنذكر:

- « Dictionnaire de linguistique » de Georges Mounin, - « Les règles et les sons » de François Dell, «Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage » de jean Dubois, et « Éléments de linguistique », d'André Martinet.

وككلّ باحثٍ واجهتنا صعوبات وعراقيل أهمّها: قلّة المصادر والمراجع الّتي تعالج المفصل في الدّرس الحديث خاصّة وإن وجدت فمعظمها باللّغة الأجنبيّة.

وفي ختام قولنا لا يسعنا إلاّ تقديم أخلص عبارات الشكر والعرفان إلى أستاذنا الفاضل "المهدي بوروبة" الّذي كان نعم السّند والظّهير في هذا البحث، كما لا يفوتني شكر السّادة أعضاء اللّجنة العلميّة، و الحمد لله ربّ العالمين.

رحمة كزولي

تلمسان يوم: 21 ذي الحجة 1432هـ/17 نوفمبر 2011م

مـــدخـــل

أوّلاً: مفاهيم المفصل الصّوتيّ في التراث اللّغويّ القديم:

تعدّ دراسة الفونيمات فوق التّركيبيّة، من الدّراسات اللّغويّة الهامّة الّتي ينبغي أن تحظى باهتمام الباحثين والدّارسين في مجال الدّرس اللّغويّ العربيّ في جميع مستوياته؛ غير أنّ اهتمام الباحثين بهذه الفونيمات يأتي في المرتبة التالية بعد الفونيمات الرّئيسيّة، وذلك في صورة مباحث تكميليّة انطلاقاً من حصر دورها في القيم التّجميليّة، أو في القيم الثّانويّة [1].

صحيح أنّ هذه الفونيمات الثّانويّـــة أو فوق التّركيبيّة توحي تسمّيتها بهذا الدّور المحدود، ولكن الحقيقة غير ذلك، فهذه الفونيمات ذات تأثيرات لغويّة خطيرة وهامّة، لأنّها تمثّل وتوجه أنماطاً كثيرةً من قواعد السّياق اللّغويّ والأداء الفعليّ للّغة المنطوقة: وما يصاحبها من ظروفٍ اجتماعيةٍ وملابساتٍ وأحوالٍ تصاحب الأحداث اللّغوية وتؤثر فيها بالتّعديل والتّغيير [1].

وتعتبر هذه الفونيمات ملامح تمييزيّة تكسو المنطوق كلّه، وتظهر قيمتها في الكلام المتّصل؛ إذ تمتد عبره، "فلا يمكن قطع أو تمزيق امتدادها [2]، ولها قيمة هامّة في الدّلالة، فبواسطتها نميّز معنى الكلام ونستشف ماهيته، كما تساهم في الحفاظ على اللّغة وسلامتها، ذلك أنّ كثيراً من القواعد التّقليديّة الثّابتة الّتي تحفظ اللّغة من اللّحن والاندثار، تصطدم في كثيرٍ من الأحيان بما تسمّى قواعد الأداء والسّياق اللّغويّ الّتي تمثل جانباً كبيراً منه هذه الفونيمات فوق التّركيبيّة [3]. والمفصل الصّوتيّ كباقي الفونيمات فوق التّركيبيّة، "كالنّبر والتّنغيم يميّز النظام الصّوتيّ للّغة، ويقوم بدورٍ

[1] – حسام البهنساوي، "الدّراسات الصوتية عند العلماء العرب والدّرس الصّوتي الحديث"، زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1، 2005م، ص 253.

[2] – كمال بشر، "علم الأصوات"، دار غريب، القاهرة، (د،ط)، 2000م، ص 497.

[3] – "الدّراسات الصّوتيّة عند العلماء العرب والدّرس الصّوتيّ الحديث"، ص 253.

وظيفيٍّ في تحديد دلالة ما ينطق به المتكلم [1]، إلاّ أنّه أقلّ هذه الفونيمات دراسةً واهتماماً؛ إذ يعدّ من المصطلحات الغربيّة الّتي عُرفت مؤخراً في الدّرس الصّوتيّ العربيّ، وتبقى البحوث الّتي خصّته بالدّراسة قليلة؛ "فلم تحظ دراسته في اللّغة العربية باهتمام العلماء والدّارسين العرب سوى ما قام به علماء القراءات القرآنية من تحديدٍ وتقعيدٍ لمواضع الوقفات والسّكنات في القرآن الكريم. فلم يهتموا بالوقف باعتباره قيمة صوتيّة هامّة تتوقّف عليها سلامة التّركيب اللّغويّ وفقاً لقواعده، وكذا صحّة التّركيب ومعناه المناسب[2].

ومن القول السّابق تتّضح لنا أحد المصطلحات الّتي عرف بها المفصل الصّوتيّ في تراثنا اللّغويّ القديم؛ إذ يتّفق تماماً مع مبحثٍ مهمٍّ تناوله علماء التّجويد بالبحث والدّراسة ألا وهو مبحث: "الوقف والابتداء"، يقول أحد الدّارسين: "ممّا يتّصل بباب الحديث عن المفاصل الصّوتيّة مطلب الحديث عن الوقف والابتداء في التّنزيل العزيز [3].

وعلم الوقف من العلوم الّتي جاءت لإزالة اللّبس والغموض بين العبارات، ومنع التّداخل بينها، فبه نعرف متى ننتهي من هذه العبارة ومتى نبدأ بأخرى، فمهمّته تنظيم الكلام بين النّاس [4]، أمّا في الذكر الحكيم فله أهميّة كبيرة في فصل معاني الآيات بعضها

[1] – عبد الكريم حسام الدّين، "الدّلالة الصّوتيّة" دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت)، ص 83 ، نقلاً عن عبد الرّحمن مبروك، "من الصّوت إلى النّص: نحو نسق منهجيّ لدراسة النّص الشّعري"، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنّشر، مصر، ط1، 2002م، ص 65.

[2] – "الدّراسات الصوتية عند العلماء العرب والدّرس الصّوتي الحديث"، ص 253.

[3] – مهدي أسعد عرار، "ظاهرة اللّبس في العربيّة، جدل التواصل والتفاصل"، دار وائل للنّشر والتّوزيع، عمان الأردن، ط1، 2003م، ص 27.

[4] – عزت شحاتة كرار، "الوقف وأثره في التّرجيح عند الحنفيّة"، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر، (د،ط)، 2006م، ص 17.

عن بعضٍ، وبيان دلالاتها، فيعين على تحقيق الغرض المرجو من قراءة القرآن ألا وهو "الفهم والإدراك" [1].

وهذا العلم أوّل ما عرف بمصطلح الفصل والوصل؛ إذ أنّهما مرتبطان دائماً، فكان علم القراءات مصدره، وإن بـــرز في علم البلاغة أكثر، ذلك أنّ بعض المصطلحات تكون وقفاً على علمٍ فتوجد تلبية لأحد أغراضه، فيما بعضها الآخر يستعار من علمٍ آخر لتشابه المدلول والمضمون، وهو ما حدث مع علم الفصل والوصل الّذي استعاره البلاغيون من أهل القراءة، لأنّ المجالين متّصلان، "ودليلي على سبق وجوده في علم القراءات، اشتهار علماء القراءات به، فالقراءة أيّاً كان نوعها تحويل للألفاظ المكتوبة إلى أصواتٍ منطوقةٍ تؤدّي نفس الدّلالات، وفي أداء نفس الدّلالات تكمن المشكلة، القارئ الّذي لا يفهم معنى ما يقرأ ولا يتذوقه، سيقرؤه بطريقة تؤدّي إلى إفساد معناه، والخطيب إذا لم يكن متمكّناً من لغته ومن معانيه الّتي يريد أن يوصلها إلى المستمع، سيكون إلقاؤه مساعداً على تفتيت معانيه وتشتيت ذهن من يستمع له، فإن كان الأمر كذلك في القراءة والخطابة فهو في القرآن أشدّ أهميّة وأعظم ضرورة [2].

فبالوقف يتحقّق فهم كلام اللّه، ذلك أنّ من لم يهتم به قد يقف قبل تمام المعنى، أو يقف على مالا يصحّ الوقوف عليه، فيفهم خلاف المراد من كلام الله، فهما متلازمان إذا تغيّر موطن الوقف تغيّر المعنى، وقد أشار "ابن الجزري" إلى أنّ القراءة الصّحيحة البليغة هي الّتي تراعي مواضع الفصل والوصل، فقال: "من الأوقاف ما يتأكّد استحبابه لبيان المعنى المقصود، وهو ما لو وصل طرفاه لأهم معنى غير المراد، فمن التّام: الوقف على قوله: ﴿ **وَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ** ﴾ والابتداء: ﴿ **إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ**

[1] – ابن الأنباري (أبو بكر محمّد بن القاسم بن بشار)، "إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ"، تحقيق: محي الدّين عبد الرّحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة، دمشق، سوريا، 1971م، ص 22.

[2] – منير سلطان، "الفصل والوصل في القرآن الكريم، دراسة في الأسلوب"، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، ط2، 1997م، ص 16.

جَمِيعاً ﴾ [1] لئلا يوهم أنّ ذلك قولهم، وقوله: ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ** ﴾ عند الجمهور وعلى ﴿ **وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ** ﴾ [2] مع وصله عند الآخرين لما تقدّم، وقوله : ﴿ **أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ** ﴾ والابتداء : ﴿ **وَ الَّذِي جَاءَ بالصِّدْقِ** ﴾ [3] لئلا يوهم العطف... [4]

غير أنّ من العلماء من يرى أنّ المفصل الصّوتيّ في الدّراسات القرآنية القديمة ليس المراد به الوقف بل السّكت، أي أنّ هناك تضارباً في الآراء حول ماهيته الحقيقية في هذه الدّراسات، فعلى غرار "حسام البهنساوي" و "أسعد عرار" في قوليهما السّابقين، يعدّ تمّام حسان "الوقف بوسائله المتعددة مفصلٌ من مفاصل الكلام يمكن عنده قطع السّلسلة النّطقيّة، فينقسم السّياق بهذا إلى دفعاتٍ كلاميةٍ، تعتبر كلّ دفعة منها إذا كان معناها كاملاً واقعة تكميلية منعزلة، أمّا إذا لم يكن معناها كاملاً كالوقف على الشّرط قبل ذكر الجواب مثلاً، فإنّ الواقعة التّكميلية حينئذٍ تشتمل على أكثر من دفعةٍ كلاميةٍ واحدةٍ [5].

أمّا من عرّفه بالسّكت فقد انطلق من معناه اللّغويّ، فالسّكت لغة: "من أصول الألحان شبه تنفسٍ بين نغمتين من غير تنفسٍ يراد بذلك فصل ما بينهما [6]. وانطلاقاً من هذا فالمفصل الصّوتيّ أو السّكت: "توقف القارئ عن إصدار الصّوت اللّغويّ في تتابع إصداره السّلسلة المنطوقة، وذلك في غير موطن الوقف، ويحدّد في العادة بزمنٍ

---

[1] – "سورة يونس"، الآية: 65.

[2] – "سورة آل عمران"، الآية: 7.

[3] – "سورة الزمر"، الآية: 32.

[4] – ابن الجزري (محمّد بن محمّد بن علي بن يوسف)، "النّشر في القراءات العشر"، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، ط1، 2002م، 187/1.

[5] – تمام حسان، "اللّغة العربية معناها و مبناها"، دار الثقافة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، (د.ط)، (د.ت)، ص 270.

[6] – ابن منظور (أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم الإفريقي المصري)، "لسان العرب"، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، مادة: سكت.

أقل من زمن الوقف الطبيعيّ الّذي يكون في آخر الجملة أو عند رؤوس الآي [1]، ومقداره حركتان [2] عند البعض.

والسّكت والوقف ألفاظٌ مختلفةٌ – إضافة إلى القطع – لمعانٍ متقاربةٍ، فكلّها تحمل معنى السّكت.

فالوقف لغة: "يقال: كلمتهم ثمّ أوقفت، أي سكت [3].

ومعنى القطع: السّكت أيضاً، "يقال قطع لسانه قطعاً، أي: أسكته بإحسانه إليه [4].

والسّكت والسّكوت: "هو ترك الكلام مع المقدرة عليه [5].

فصارت هذه الألفاظ مصطلحاتٍ لعلم الوقف عامّة، لكن بعضهم حملهم الشّغف في حصر الحدود أن أوجدوا فروقاً بينها، وإن كانت جرت عند المتقدّمين مرادّاً بها الوقف غالباً، ولا يريدون بها غير الوقف إلاّ مقيّدة، أمّا المتأخرين وغيرهم من المحققين ففرّقوا بينها وجعلوا كلاًّ منها لغرضٍ خاصٍّ [6]. فالوقف عندهم: "قطع الصّوت على الكلمة زمناً، يتنفّس فيه عادّة بنيّة استئناف القراءة لا بنية الإعراض، ويكون في رؤوس الآي وأوساطها، ولا يأتي في وسط الكلمة ولا فيما اِتصل رسمًا [7].

---

[1] – حسام سعيد النعيمي، "أبحاث في أصوات العربية"، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط1، 1998م، ص66.

[2] – عبد الكريم إبراهيم عوض صالح، "الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم"، دار السلام، مصر، ط1، 2006م، ص22.

[3] – الأزهري (أبو منصور محمّد بن أحمد بن الأزهر الهروي)، " تهذيب اللّغة "، تحقيق: أحمد عبد الرّحمن مغيمر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004م، مادة: وقف.

[4] – نفسه، مادة: قطع.

[5] – نفسه، مادة سكت .

[6] – "النّشر"، 192/1.

[7] – السيوطي (جلال الدّين الشافعي)، "الإتقان في علوم القرآن"، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت لبنان، ط1، 2005م، 121/1.

فيما جعلوا السّكت: "قطع الصّوت زمنًا دون زمن الوقف عادة من غير تنفسٍ[1].

فالفرق بينهما يكمن في المقدار الزّمنيّ المستغرق في تأديتهما؛ إذ يطول الوقف حتّى يُؤخذ معه نفس، ويقصر السّكت فلا مجال لأخذ النّفس، وهنا ابن الجزري يرى أنّ "الوقف يشترط فيه التّنفس مع المهلة، والسّكت لا يكون معه تنفسٌ[2]. لكنّها اختلافات بسيطة يمكن زوالها واستعمال أحدهما مكان الآخر، فهما عنصران صوتيان يؤدّيان الوظيفة ذاتها: قطع الصّوت اللّغويّ، والهدف المرجوّ واحد: التّوقف لبيان المعنى الأمثل والأوضح لكلام الله.

ونجد سعيد النعيمي من القائلين بوجوب التّفرقة بينهما – أي بين الوقف والسّكت – لكنّه يعود ويقول بإمكانية زوال هذا الفرق، فيقول: "وهذا الفرق بين الوقف والسّكت عندهم القائم على الزّمن، يمكن أن يزول باستعمال مصطلح «القطع» فيهما أخذاً بعبارة النّحاس الّتي جعلها عنواناً لكتابه: (القطع والائتناف)، وفيه كلام على مواضع ينبني على اختلاف القطع فيها اختلاف المعنى على أنّه استعمل في هذا الكتاب مصطلحي : (القطع) و (الوقف)[3]، يقول النحّاس[4] : الوقف عنده : : ﴿ **فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ** ﴾[5] قطع كافٍ[6].

---

[1] – "الإتقان"، 1/ 121.

[2]– "النّشر"، 195/1.

[3]– "أبحاث في أصوات العربية"، ص 66.

[4]– العلاّمة أحمد بن محمّد بن إسماعيل أبو جعفر المعروف بابن النحّاس، من أهل مصر، أخد عن المبرد والأخفش والزجاج وغيرهم، ثمّ عاد إلى مصر وأقام بها إلى أن مات سنة (338هـ)، وله في علم الوقف والابتداء كتاب: "القطع والائتناف"، ينظر: الحموي (شهاب الدّين ياقوت عبد الله الرّومي البغدادي)، "معجم الأدباء"، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط3، (د،ت)، 224/4 – 225، و ابن خلكان (أبو العباس شمس الدّين أحمد بن محمّد بن أبي بكر)، "وفيات الأعيان وأبناء الزمان"، دار الثقافة، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت)، 100/1، و "شذرات الذهب" ، 228/6.

[5] – "سورة البقرة"، الآية: 184.

[1]. ثمّ يأتي بجملةٍ من الآيات القرآنية لبيان أثر المفصل الصّوتيّ فيها، غير أنّه يستعمل بدلاً من مصطلح المفصل أو السّكت مصطلح الوقف، يقول: "وممّا يدخل في اختلاف المعنى لاختلاف موضع الوقف قوله: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أَوْلَئِكَ هُمْ الصِّدِيقُونَ وَالشُهَدَاء عِنْدَ رَبِّهِم لَهُمْ أَجْرُهُم وَنُورُهُم** ﴾ [2].

إذن فالفرق بين الوقف والسّكت يعتبر بسيطاً إن لم نقل بأنّهما بمثابة الشّيء ذاته، كما أنّنا لا نتحدث عن الوقف على أواخر الكلم، والّذي يكون غالباً في أواخر الجمل أو عند رؤوس الآي في القرآن، إنّما الوقف على الكلام المتّصل ومعرفة مدى أثره في المعنى ليس زمن أو مدّة تأديته.

وقد اهتمت العرب بالوقف في كلام الله، وبيان أثره في معانيه، وفي تغيير أحكامه، أو توسعتها في بعض الأحيان، نظراً لاعتماد بعض المفسرين والنّحاة عليه في تعليلهم وتحليلهم لبعض الآيات القرآنية، "والمتصفّح لبعض التّحليلات النّحويّة يجد أنّ النّحاة اعتمدوا مبدأ القطع والاستئناف في الكلام في ترجيح هذه الاحتمالات [3]. وذلك قصد فهم المراد من كلامه سبحانه، بل واهتمت العرب ببيان مواطنه في كلامها شعره ونثره؛ إذ عدّوه من متطلّبات كلام الفصحاء؛ فروي عن أبي بكر الصدّيق رضي اللّه عنه أنّه قال لرجلٍ معه ناقة: "أتبيعها ؟"، فقال: "لا عافاك اللّه"، فقال: "لا تقل هكذا"، ولكن قل: "لا وعافاك اللّه" [4].

فإضافة أبي بكر للواو بمثابة وقفٍ أو سكتٍ يفصل بين "لا" وباقي الكلام، وتصحيح أبي بكر لعبارة الرّجل من أجل درء اللّبس، فيكون الدّعاء له لا عليه.

---

[1]– النحّاس (أبو جعفر أحمد بن محمّد بن اسماعيل)، "القطع والائتناف أو الوقف والابتداء"، تحقيق: أحمد فريد المزيري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002م، ص 92.

[2]– "سورة الحديد"، الآية: 19. لبيان أثر الوقف في دلالة الآية ينظر: الصفحة: 178 من الفصل الثالث.

[3] – ابن علي بن أحمد، "ظاهرة الوقف بين القرّاء والنّحاة، أبو عمرو وسيبويه نموذجين: دراسة لغويّة"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللّغويات، جامعة: أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1997– 1978م، ص 93 .

[4] – "القطع والائتناف"، ص 31.

فكانت العرب أحرص النّاس على فصل المعاني وإنزالها منازلها، قال أبو العباس السفّاح لكاتبه قف عند مقاطع الكلام وحدوده، وإيّاك أن تخلط المرعي بالهمل، فمن حلية البلاغة المعرفة بمواضع الفصل والوصل [1]، فعلم الفصل هو المصطلح الّذي عُرف بـــه المفصل الصّوتيّ عند اللّغويين والبلاغيين منهم على وجه الخصوص.

كما ذكر المحدثون أنّ البلاغيين "بحثوا ما يمكن أن نجعله في صويتة المفصل في باب الجناس المركّب [2]؛ إذ يساهم بوظيفته التّمييزيّة والتّحديديّة في بيان حدود ركني الجناس وبالتّالي دلالتهما ومعنى البيت ككلّ.

أمّا إذا عرجنا على دراسة الفلاسفة، فنجدهم لم يهملوا الظاهرة بل تنبّهوا إلى أنّه يتموضع مكان علامات الاتصال والانفصال في الكلام المكتوب، أمّا في المنطوق منه فالفسحاتٍ الزّمنيةٍ هي الّتي تمثّله؛ إذ تساهم في زيادة الفهم والإدراك [3].

ثانياً: أهميّة المفصل الصّوتيّ:

يبقى مصطلح الوقف في الدّراسات القديمة الأكثر شهرةً وتمثيلاً للمفصل الصّوتيّ، خاصّة ما تعلّق منه بكتاب الله سبحانه، وتعدّ ظاهرة الوقف جانباً مهمّاً في أداء العبارة القرآنية، فهو يوضّح كيف وأين يجب أن يقف القارئ في كتاب الله؛ ذلك أنّه لمّا لم يمكّن القارئ أن يقرأ السّورة أو القصّة في نفسٍ واحدٍ، ولم يجز التّنفس بين كلمتين حال الوصل، بل ذلك كالتّنفس في أثناء الكلمة، وجب حينئذٍ اختيار وقت للتّنفس والاستراحة، ويتحتّم ألاّ يكون ذلك ممّا يخلّ بالمعنى ولا يخلّ بالفهم؛ إذ بذلك

[1] – العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل)، "كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر"، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1989م، ص 497.

[2] – ينظر: "أبحاث في أصوات العربية"، ص 75.

[3] – ينظر: ابن رشد، "تلخيص الخطابة"، تحقيق: عبد الرّحمن بدوي، دار القلم، الكويت، (د.ط)، (د.ت)، ص 276–277.

يظهر الإعجاز ويحصل القّصد... ومن ثمّ اشترط كثير من أئمة الخلف على المجيز ألاّ يجيز أحدًا إلاّ بعد معرفته الوقف والابتداء [1].

ولقد اهتم به الرّسول صلّى الله عليه وسلّم؛ "إذ أنكر قول الخطيب: "من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما". فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "بئس الخطيب أنت فقم. كان ينبغي أن تصل كلامك، ومن يعصهما فقد غوى، أو تقف على رسوله فقد رشد [2].

وقد روي عن ابن عمر قوله: "لقد عشنا برهة من الدّهر وإنّ أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السّورة فنتعلم حلالها وحرامها وأوامرها وزواجرها وما ينبغي أن يقف عنده منها [3].

فتعلّم الوقف ومعرفته من معرفة الحلال والحرام والأوامر والنّواهي في كتاب اللّه، ومنزلته من منزلة تعلّم القرآن، وكان صلّى اللّه عليه وسلّم يقف على بعض الآيات، وإن كان أكثر وقوفه على رؤوس الآيات، وذلك لما روي عن أمّ سلمة أنّها سُئلت عن قراءة النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم فقالت: "كان يقطّع قراءته، يقول: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [4] ثمّ يقف، ﴿ **الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ [4] ثمّ يقف"[5].

فمعرفة الوقف من أهمّ متطلّبات التّجويد وعلى قارئ القرآن تعلّمه إن أراد تدبر كلام اللّه كما أمره سبحانه في قوله: ﴿ **كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** ﴾ [6]، وقوله: ﴿ **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ**

---

[1]- "النّشر"، 1/ 182.

[2] - "القطع والائتناف"، ص 28.

[3]- "الإتقان"، 1/ 118.

[4] - "سورة الفاتحة"، الآية: 2 - 3.

[5]- ذكره السيوطي بسنده في الإتقان، 1/ 125.

[6]- "سورة ص"، الآية: 29.

أَقْفَالُـــهَا ﴾ [1]، على أن يُلمّ القارئ بعلوم اللّغة العربيّة والتّفسير والقراءات فهي تساعد على الفهم والاستيعاب الجيّد لكلام اللّه عزّ وجلّ، فالوقوف القرآنية تتّفق مع وجوه التّفسير الصّحيح، واستقامة المعنى وصحّة اللّغة وعلومها، فيجب أن يكون الوقف أحكم وأدقّ لما يترتب عليه من مخالفةٍ للتّفسير، قد يكون فيه تهاون في حقّ الكتاب، أو بعض الذنب لما لحق ذلك من تغيير المقصود من المعنى المراد وإحالته، خصوصاً إن كان المخالف متهاوناً [2]، أو ملتفتّاً إلى طول نفسه أو لأداء معانٍ تناسب وتوافق أهواءه البشرية، "فمن تمام معرفة إعراب القرآن ومعانيه وغريبه، معرفة الوقف والابتداء [3].

فللوقف أهميّة بالغة في القرآن الكريم تتمثل في جانبين مهمّين: الأوّل: تبيين معاني القرآن العظيم، وتعريف مقاصده، وإظهار فوائده. والثّاني: تبيين أوجه التّأويل تبعاً لاختلاف أماكن الوقف والابتداء [4].

فالجانب الأوّل: وهو بيان معاني القرآن العظيم وتعريف مقاصده فقد أشار إليه العديد من الأئمة منهم ابن الجزري في قوله السّابق: "ويتحتّم ألاّ يكون ذلك – أي الوقف – ممّا يخلّ بالمعنى ولا يخلّ بالفهم [5]، فهو من عوامل كشف المعاني والمقاصد.

- فإذا وصل القارئ في المقام الّذي يتطلب وقفاً غيّر المعنى، نحو قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمْ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ** ﴾ [6]، فالوقف بعد كلمة (يَسْمَعُونَ) يكون لازماً لإزالة اللّبس الّذي قد يقع من الوصل، والّذي يوحي بأنّ الموتى يستجيبون، كونها عطفاً على الّذين يسمعون، في حين أنّ

---

[1]- "سورة محمّد"، الآية: 24.

[2] - "إيضاح الوقف والابتداء"، ص 22.

[3] - نفسه، ص 108.

[4]- خالد قاسم بن دومي، "دلالات الظاهرة الصّوتية في القرآن الكريم"، جدارا للكتاب العالمي، عمان ،الأردن، عالم الكتب الكتب الحديث، إربد، الأردن، (د،ط)، 2006م، ص 91.

[5]- "النّشر"، 1/ 182.

[6]- "سورة الأنعام"، الآية: 36.

الكلام استؤنف بكلامٍ جديدٍ مؤتلفٍ من مبتدأ وخبرٍ [1] (وَالمَوْتَى يَبْعَثُهُمْ اللَّهُ)، فتغييب الوقف أو السّكت في هذه الآية الشّريفة يؤدّي إلى اشتباهٍ والتباسٍ في الدّلالة.

- وإذا وقف القارئ في المقام الّذي يتطلّب وصلاً غيّر المعنى أيضاً، سواء كان ذلك في سياق الآيات أو في سياق الفاصلة.

فممّا جاء في سياق الآيات قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ، جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ، سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ، وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ** ﴾ [2]، فالوقوف على قوله: (يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ) يقلب المعنى؛ إذ توحي هذه القراءة بأنّ قوله: (وَالَّذِينَ يَنْقِضُونَ عَهْدَ اللَّهِ...) عطف على السّابق، في حين أنّ الواو هنا للاستئناف، و(الّذين) مبتدأ خبره الجملة الاسمية (أَوْلَئِكَ لَهُمْ اللَّعْنَةُ)، ومن هنا فقد اصطلح علماء الضّبط على وضع علامة (لا) بعد قوله: (يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ)، ليدلّ على علامة الوقف الممنوع [3]، وفي القرآن شواهد كثيرة للوقف الممنوع.

أمّا ما جاء في سياق الفاصلة فقوله تعالى: ﴿ **فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ، الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ، وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ** ﴾ [4]، فلا يستحسن الوقوف الوقوف على الفاصلة الأولى (وَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ)، لأنّ المقصود هم السّاهين عن صلاتهم المرائين فيها، فالمعنى لا يتمّ إلاّ بالوصل وإن كانت علامة الوقف الممنوع قد أهملت،

---

[1]- "إيضاح الوّقف والابتداء"، ص 632.

[2]- "سورة الرّعد"، الآيات: من 22 -25.

[3]- "دلالات الظاهرة الصّوتيّة في القرآن الكريم"، ص 90،91.

[4]- "سورة الماعون"، الآيات: من 4 - 7.

وربّما يعود ذلك إلى وضوح المقصود الّذي يسوّغه قصر الآيات، بحيث يمكن أن تقرأ مجتمعة، ولكنّي أرى أن توضع علامة للوقف الممنوع على سبيل الاحتراس [1]، وإن كان الوقف على قوله: (وَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ) باعتباره رأس آيةٍ يجلب اهتمام المستمعين لمعرفة الموعودين بالوّيل رغم كونهم مصلّين، فيأتي الجواب: (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُون).

– وقد يكون لبيان المعنى كقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنْ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي** ﴾ [2]، يقول خالد قاسم أنّ الإمام السّخاوي ذكر أنّ الوقف على (وإيّاكم) وقف حسن، إلاّ أنّه يبتدأ بما بعده لبيان المعنى، لئلا يتوهّم أنّ (وَإِيَّاكُمْ) بمعنى التّحذير [3]، وهو ما تنبّه إليه علماء الضّبط، فوضعوا علامة الوقف اللاّزم [4] بعد (إِيَّاكُمْ) للإشارة إلى المعنى المراد، فتكون الواو في (إِيَّاكُمْ) عاطفة.

– وقد يكون الموضع وقفاً على معنى وغير وقفٍ على معنى آخر، كقوله تعالى: ﴿ **وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ** ﴾ [5]، فالوقف على قوله: (وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ)

---

[1]– "دلالات الظّاهرة الصّوتيّة في القرآن الكريم"، ص 96.

[2]– "سورة الممتحنة"، الآية:1.

[3]– "دلالات الظّاهرة الصّوتيّة في القرآن الكريم"، ص97.

[4]– الوقف اللّازم، هو الوقف على كلامٍ تامٍّ، ولو وصل في القراءة بما بعده، لأوهم وصله معنى غير المعنى المراد في الكلام، ينظر: الكوفي (أبو جعفر محمّد بن سعدان)، "الوقف في كتاب اللّه عزّ وجلّ"، تحقيق: أبو بشير و محمّد خليل الزروق، مراجعة: عز الدّين بن زغيبة، مركز جمعة ماجد للثقافة والتراث، دبي، الإمارات العربيّة المتحدة، (د،ط)، 2002م، ص 128.

[5]– "سورة الأنبياء"، الآية: 19.

بعطف (وَمَنْ عِنْدَهُ) على ما قبله لا يكون تامّاً، على أنّ (وَمَنْ عِنْدَهُ) مبتدأ خبره (لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ) [1].

- ومن الوقوف ما لا يجوز تعمد الوقف عليه إمّا لنقص المعنى وإمّا لتغييره، وهو ما يسمّى بالوقف القبيح، فنقص المعنى كقوله تعالى: ﴿ بسم ﴾ [2] فهذا لا يفيد معنى، أمّا تغيير المعنى فكقوله: (وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةٌ فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَوَيْـهِ) في قولـه تعالـى: ﴿ **وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ** ﴾ [3]، وكذلك عند انقطاع النّفس على ما لا يوقف عليه، إذا رجع إلى ما قبله فإن كان بشعاً لا يبتدأ به، مثل الوقف عند انقطاع النّفس على (عُزَيْر اِبْنُ) [4]، فلا يبتدئ بـ (عُزَيْر) ولا بـ (اِبْنُ) بل بـ: ﴿ وَقَالَتِ اليَهُودُ ﴾ [3] فقس على هذه الأمثلة ما شاكلها [5].

أمّا الجانب الثّاني: فهو تبيين أوجه التّأويل تبعاً لاختلاف أماكن الوقف والابتداء، وهو جانبٌ مهمٌّ، لأنّ الوقفات والسّكتات الصّوتيّة الّتي يأتي بها القارئ خلال أدائه تعدّ فونيماتٍ تقوم بدورٍ وظيفيٍّ في تحديد دلالات ما ينطق به...، وقد فطن إلى ذلك كثير من المفسرين والنّحاة، الّذين اهتموا بتحديد دلالات التّراكيب في النّص القرآنيّ [6].

---

[1]- "دلالات الظّاهرة الصّوتيّة في القرآن الكريم"، ص 98.

[2] - "سورة الفاتحة"، الآية: 1.

[3]- "سورة النساء"، الآية: 11.

[4] - "سورة التّوبة"، الآية: 30.

[5] - ابن الجزري (محمّد بن محمّد بن علي بن يوسف)، "التمهيد في علم التّجويد"، تحقيق: فارس بن فتحي بن إبراهيم، دار ابن الهيثم، القاهرة، مصر، ط1، 2006م، ص 82.

[6] - "دلالات الظاهرة الصّوتيّة في القرآن الكريم"، ص 99.

فالمفصل الصّوتيّ هامٌّ في بيان الكلام وفهم مقاصده، وتعدّ هذه مختلف مفاهيمه في التراث اللّغويّ القديم، والّتي سنتطرق لكلٍّ منها على حدة في الفصل الأوّل من البحث.

الفصل الأوّل

المفصل الصّوتي

في تناول القدامى والمحدثين

أوّلاً: المفصل الصّوتيّ في تناول الدّارسين القدامى:

عالج علماء العربية القدامى الدّرس الصّوتيّ من جوانب عدّة: الوظيفيّ والنّطقيّ والأدائيّ، والمفصل الصّوتي يسلك ضمن الدّراسة الوظيفيّة ما فوق الأدائيّة، غير أنّ الظاهرة على خطورتها لم تلق عناية من الدّارسين العرب القدامى، فلم تؤثر عنهم دراسة نظرية تعالج هذه الظاهرة الصّوتيّة، لكنّ هذا لا يلغي إشـــاراتهم، والّتي توزعت على مجالاتٍ علميّةٍ متعـــددةٍ فشملت: النّحـــاة والبلاغيين، والقرّاء، وكذا الفلاسفة، وهو ما سنتطرّق إليه في هذا الفصل.

1- المفصل الصّوتيّ في تناول النّحاة:

المتتبّع للدّراسات النّحويّة في كتب النّحاة يلحظ مدى إفادتها من علم الأصوات؛ إذ يظهر ذلك جليّاً في دروس الإمالة، والوقف، والإدغام، والإعلال، والإبدال إلى غيرها من ظواهر صوتيّة عامّة تُعدّ من مظاهر الذوق اللّغويّ العربيّ، كما يلحظ أنّ النّحاة لم يعتمدوا على اللّغة المكتوبة فقط بل وعلى المنطوقة أيضاً لإيضاح كثيرٍ من المسائل النّحويّة العالقة.

كما نتبيّن من النّصوص الّتي نقلها النّحاة في كتبهم، أنّ النّظام اللّغويّ والاستعمال السّياقي في اللّغة العربيّة يستخدمان التّشكيل الصّوتيّ: كمدّ الصّوت وتطويع الكلام مع التّطريح والتّفخيم والتّعظيم في التّمييز بين المعاني النّحويّة، وحلّ العّديد من المسائل العالقة. إلاّ أنّ هذه الدّراسات لم تعرض للمفاصل الصّوتيّة وقيمتها النّحويّة؛ إذ "خلت من الحديث من القيمة النّحويّة للوقف في أبواب النّحو وموضوعاته باعتباره قيمة صوتيّة هامّة تتوقف عليها سلامة التّركيب اللّغويّ وفقاً لقواعده، وكذا صحّة التّركيب ومعناه المناسب [1].

فالتّركيب والمعنى عنصران متلازمان صحّةً وفساداً، فإذا صحّ التّركيب صحّ المعنى والعكس صحيح؛ إذ لا يمكن أن يتعارض التّركيب الصّحيح مع المعنى المراد، لكن بعض

[1]- "الدّراسات الصّوتيّة عند العلماء العرب والدّرس الصّوتيّ الحديث"، ص 247.

التّراكيب تقدم فرصاً عديدةً لمعانٍ سياقيةٍ منوّعةٍ، وهنا يظهر دور المفاصل الصّوتيّة ليس في توجيه الاحتمالات النّحوية للجملة العربيّة، وتأسيس التّعليل لها في التّحليل الإعرابي فقط، بل هي أكثر أهميّة في التّعليل للقاعدة النّحويّة، والمتصفّح لبعض التّحليلات النّحويّة لدى النّحاة العرب يجد أنّهم اعتمدوا مبدأ القطع والاستئناف في الكلام في ترجيح هذه الاحتمالات [1]، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ** ﴾ [2].

تعددت تأويلات النّحاة في هذه الآية، ذلك أنّ القاعدة النّحويّة تنصّ غالباً على تجريد الفعل من علامة الجمع والتثنية عند إسناده إلى الظاهر، يقول ابن مالك في ألفيته [3]:

وَجَرِدِ الفِعْلَ إِذَا ما أُسْنِدَا لِاِثْنَيْنِ أَوْ جَمْعٍ كَـــ...فَازَ الشُهَدَا.

فيما يمكن أن تطّرد القاعدة النّحويّة، فيُلحق الفعل بعلامات التثنية والجمع مع وجود الاسم الظاهر، كما في (أَسَرُّوا)؛ إذ لحقت واو الجماعة بالفعل رغم وجود الاسم الظاهر وهو (الَّذِينَ)، مع اعتبارها ضمائر لا مجرد حروف، يقول السيوطي: "إذا أسند الفعل إلى الفاعل الظاهر، فالمشهور تجريده من علامة التثنية والجمع، نحو: قام الزيدان، وقام الزيدون، وقام الهندات. ومن العرب من يلحقه الألف والواو والنون على أنّها حروف...كتاء التأنيث لا ضمائر. وهذه اللغة لغة (أكلوني البراغيث) [4]، وهو الوجه الّذي استبعده جمهور النّحاة، يقول سيبويه: "واعلم أنّ من العرب من يقول: ضربوني قومك، وضرباني أخواك، فشبّهوا هذا بالتاء الّتي يظهرونها في (قالت فلانة)، وكأنّهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامة كما جعلوا للمؤنث، وهي قليلة [5].

[1] – "ظاهرة الوقف والابتداء بين القرّاء والنّحاة"، ص 93.

[2] – "سورة الأنبياء"، الآية: 3.

[3] – ابن عقيل، "شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك"، تحقيق: محمّد محي الدّين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت)، 79/2.

[4] – السيوطي، "همع الهوامع وشرح جمع الجوامع"، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر، ط1، 2006م، ص 160، و السيوطي، "الاقتراح في أصول النّحو"، دار السعادة، القاهرة، مصر، (د،ط)، 1976م، ص 55.

[5] – سيبويه، (أبو عثمان بن قنبر)، "الكتاب"، تحقيق: عبد السّلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، (د،ت)، 40/2– 41.

وأمّا قوله جلّ ثناؤه: ﴿ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا، ﴾ [1]، فإنّما يجيء على البدل، وكأنّه قال: انطلقوا، فقيل له: من ؟ فقال: بنو فلان، فقوله جلّ وعزّ: ﴿ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾، على هذا فيما زعم يونس [2].

ومن النّحويين من جعلها ضمائر، ثمّ اختلفوا: فقيل ما بعدها بدل منها، وقيل مبتدأ والجملة السّابقة خبر، والصّحيح الأوّل لنقل الأئمة أنّها لغة، ، وكان ابن مالك يسميها لغة (يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَة)، وهو مردود كما بيّنته في أصول النّحو وغيره [3].

ولكي تطّرد القاعدة تأوّل النّحاة هذه الآية، فأجازوا جميع وجوه الإعراب في كلمة (الّذين)، "فقالوا: إنّها مرفوعة، وقالوا: إنّها منصوبة، وقالوا أيضاً: إنّها مجرورة، ثمّ اختلفوا فيما بينهم في حالة الرّفع، فبعضهم قال: هي مرفوعة على الابتداء، وذهب آخرون إلى أنّها خبر لمبتدأ محذوفٍ، والبعض الآخر قال: فاعل لفعلٍ محذوفٍ تقديره: يقول الّذين كفروا، كما قالوا: إنّها بدل من واو الضّمير في (أَسَرُّوا) وهو الفاعل [4].

وقد ردّ النّحاة تسمية ابن مالك هذه اللّغة بلغة (يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَة)، ونفوا أن تكون هذه الجملة دليلاً لها، ذلك أنّها "قطعة من حديث مطوّل، وأصله (إِنَّ للهِ مَلاَئِكَة يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ، مَلاَئِكَة بِاللَّيْلِ، وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ)، فإذا نظرت إلى الحديث المطوّل كانت الواو في (يَتَعَاقَبُونَ) ليست علامة على جمع الذكور، ولكنّها ضمير جماعة الذكور وهي فاعل، وجملة الفعل وفاعله صفة لملائكة الواقع اسم (إنّ)، وملائكة: الموضوع بعده ليس فاعلاً ولكنّه من جملة مستأنفة، القصد منها تفصيل ما أجمل أوّلاً، فهو خبر مبتدأ محذوف [5].

---

1 – "سورة الأنبياء"، الآية:3.

2 – "الكتاب"، 2/ 40- 41.

3 – "همع الهوامع"، ص 160، و "الاقتراح في أصول النّحو"، ص 55.

4 – أبو حيّان الأندلسي (محمّد بن يوسف)، "تفسير البحر المحيط"، تحقيق: عادل أحمد الجوّد و علي محمّد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993م، 6/ 297.

5 – محمّد محي الدّين عبد الحميد، "منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل"، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، (د،ت)، 2/ 85.

يتّضح لنا من تحليل الشواهد الواردة في توجيه الآية الكريمة: ﴿ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ [1]، والاحتجاج لها، مدى أهميّة الوقف والابتداء في كلا التّعليلين؛ إذ اعتمد كلّ فريقٍ على قطع الكلام ثمّ الاستئناف بكلامٍ جديدٍ، فابن مالك لّما أراد أن يثبت رأيه في أنّها لغة، وفي تسميته لها بلغة (يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ)؛ فهو وقف في الحديث على (إِنَّ لله مَلاَئِكَةَ) ثمّ كان ابتداؤه بـــ (يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَة بِاللَّيْلِ...) وهي جملة فعلية مستأنفة، ويبدو أنّ هذه النّظرة لا يمكن أن نتحقق من ثبوتها وصحّتها إلاّ بالتّحقق من رواية كيفية لفظ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لحديثه الشّريف، ولعلّ هذا الأمر عزيز المنال.

أمّا الفريق الثّاني ومن بينهم السيوطي الّذي ردّ على ابن مالك تسميته لهذه اللّغة – وإن لم ينكرها – فهم أيضاً ارتكزوا على الوقف والابتداء في تعليلهم النّحويّ؛ إذ كان وقفهم على: (إِنَّ لله مَلاَئِكَة يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ)، والابتداء بـــ (مَلاَئِكَة بِاللَّيْلِ، وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ) على أنّها جملة مستأنفة [2].

وكذلك علّلوا تفسيرهم النّحويّ في الآية: ﴿ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا }، فقالوا (الّذين) خبر لمبتدأ محذوفٍ تقديره: هم الّذين، على أنّها جملة اسمية مستأنفة، أو (الّذين) لفعلٍ محذوفٍ تقديره: يقول الّذين، على أنّها جملة فعلية مستأنفة، وهؤلاء قد وقفوا على (وَأَسَرُّوا النَّجْوَى)، فالواو في الفعل فاعل مضمر، ثمّ كان ابتداءهم (الَّذِينَ ظَلَمُوا) على أنّ المبتدأ مضمر محذوف [2].

وممّا سبق يتّضح مدى أهميّة الوقف والابتداء في توجيه الاحتمالات النّحويّة، وبيان الأرجح منها، وهذا ما نستشفه أيضاً من المثال الآتي: يقول تعالى: ﴿ **وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ [3]، فالمفاصل الصّوتيّة تتآزر مع ظواهر

[1] – "سورة الأنبياء"، الآية: 3.

[2] – "ظاهرة الوقف والابتداء بين القرّاء والنّحاة "، ص 97– 98.

[3] – "سورة الأنعام"، الآية: 100.

أخرى كالتّنغيم مثلاً، فيشكّلان عاملاً مهمًّا في بيان هذه الاحتمالات والإفصاح عن المعاني السياقيّة المختلفة.

فكلمة (الجن) قرِئت بالنّصب في روايةٍ وبالرّفع في روايةٍ أخرى، وكلتا القراءتين صحيحة بالنّسبة للمعنى الكلي للآية الكريمة، فالنّصب على أنّ الكلمة بدل من سابقها المنصوب أو هي مفعول بـــه أوّل مؤخر و(شركاء) مفعولٌ بـــه ثانٍ مقدّم، ومن ثمّ لا فصل بينهما في النّطق، والرّفع على أنّها خبر لمبتدأ محذوفٍ، وعلى هذا يقتضي النّطق الصّحيح سكتة خفيفة بين شطري الآية؛ أي بين كلمة (شركاء) وكلمة (الجن) وعلامتها في الكتابة الفاصلة [،] [1].

فالمفاصل الصّوتية لها أهميّتها في توجيه الاحتمالات النّحوية، واستنباط القواعد الّتي تستقيم بها اللّغة، وقد تفطن علماءنا القدامى إلى هذا الدّور الأساس، خاصّة عندما يتعلّق الأمر بالقرآن الكريم الّذي هو مناط الأحكام الشرعيّة، فجعلوه فنًّا قائماً بذاته، له حدوده وأحكامه، يقول الزركشي: "الوقف والابتداء فنٌّ جليلٌ، بـــه يعرف كيف أداء القرآن. ويترتب على ذلك فوائد كثيرة؛ واستنباطات غزيرة. وبـــه تتبيّن معاني الآيات، ويؤمن الاحتراز عن الوقوع في المشكلات [2]. والأمر ذاته يقال عن إعراب الشّطر الآتي من قصيدة الحصري القيرواني [3]:

يَا لَيْل الصَّب [4] مَتَى غَدُهُ ؟   أَقِيَامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ.

---

[1] – كمال بشر، "فن الكلام"، دار غريب، القاهرة، مصر، (د،ط)، 2003م، ص 277-278.

[2] – الزركشي (بدر الدّين محمّد بن عبد اللّه)، "البرهان في علوم القرآن"، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2004م، 1/ 241.

[3] – كمال بشر، "علم الأصوات"، ص 563.

[4] – يقال رجلٌ صبّ: وهو العاشق المشتاق، ينظر: الجوهري (إسماعيل بن حماد)، "معجم الصحاح"، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2008م، مادة: صب.، وليل الصبّ يقصد به ليل العاشق.

نجد رأيان في الإعراب، قيل (ليل) مبني على الضّم في محلّ نصب على النّداء (مجازاً) وهو نكرة مقصودة في هذا السّياق، و(الصّب) مبتدأ وما بعده خبره. وقيل إنّ (ليل) منصوب بالفتحة لأنّه مضاف و(الصّب) مضاف إليه مجرور بالكسرة.

الوجهان جائزان حسب قواعد اللّغة، ولكن يبقى تسويغهما وبيان الفرق بينهما وطبيعة هذا الفرق معتمداً على الأداء الصّوتيّ، وعلى ما يلفّ الشّطر في الحالتين من تلوينٍ موسيقيٍّ، يقول كمال بشر: "تأتي المفاصل الصّوتيّة – متمثلة في السّكتات وما يصاحبهما من تنغيمٍ – عاملاً مهمّاً في بيان كلّ ذلك وتوضيحه بدقةٍ [1].

فبناء (ليل) على الضمّ، بوصفه وحده منادى يستلزم وجود سكتة تالية له، للفصل بينه وبين الجملة الاستفهامية بعده، وبدايتها (الصبُّ) بالرّفع الواقع مبتدأ. أمّا نصب (ليل) على الإضافة فيعني أنّ النّداء منصبّ على العبارة (يا ليل الصبِّ) كلّها. وهنا يقتضي الأمر وجود سكتة بعدها، فاصلة بينها وبين جملة الاستفهام الجديدة البادئة هذه المرّة بأداة الاستفهام (متى) [2].

هذا التّفسير الصّوتيّ من الحتم أخذه في الحسبان إذا كان لنا أن نتذوق جواز الوجهين تذوقاً سليماً، وأن ندرك الفرق الواقع في نظم الشطر وتركيبه في الحالتين. ويمكن استيعاب هذا الفرق وتعرّف حدوده بالصّورة التّالية:

في حالة بناء (ليل) على الضمّ، نحصل على هذا التّركيب:

يا ليلُ، الصبُّ متى غده؟

فاللّيل وحده منادى، أتبع بسكتةٍ وعلامتها الفاصلة [،]، ثمّ جاءت الجملة الاستفهامية البادئة بـــ "الصبّ" الواقع مبتدأ في هذه الحالة. وفي حالة نصب (ليل) يكون نظم الشطر هكذا:

[1] – كمال بشر، "علم الأصوات"، 562.

[2] – "فن الكلام"، ص 284.

يا ليلَ الصبِّ، متى غده؟

حيث جاءت السّكتة هذه المرّة بعد التّركيب الإضافي، (يا ليلَ الصبِّ) وهو المنادى المنصوب جزؤه الأوّل والمجرور جزؤه الثّاني. وقد أشرنا إلى هذه السّكتة بالفاصلة [،]. ثمّ جاءت جملة الاستفهام بادئة هذه المرّة بالأداة (متى) [1].

وهكذا يتبيّن دور التّلوين الموسيقيّ والمتمثّل في المفاصل الصّوتيّة في بيان المعاني المختلفة، ولا يقتصر دورها على ذلك فحسب، بل تساهم أيضاً في تصنيف الجمل والعبارات إلى أنماطها النّحوية المختلفة، فللتّلوين الموسيقي للكلام المنطوق متمثلاً في السّكتة (والوقفة وما يصاحبهما من نغماتٍ مختلفاتٍ) دورًا فاعلاً في تصنيف الجمل والعبارات وتوجيه إعرابها [2]، ويظهر هذا جليّاً في قوله تعالى أيضاً: ﴿ **وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ [3].

فتموضع السّكت بعد الضمير المنفصل (أنت) والابتداء بكلمة (مولانا)؛ أي: "ارْحَمْنَا أَنْتَ + مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِين"، مع تنغيم الجملة هما اللّذان يحملانــــها معنى النّداء [4]، نداءُ المؤمن إلى ربّه.

فيما لو تغيّر موضع السّكت بأن يلي كلمة اِرحمنا.

أي: "ارْحَمْنَا + أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ".

فتصبح جملة (أنت مولانا)...جملة أمرية معطوفة على جملةٍ سابقةٍ لها.

فاختلاف موضع السّكت مع تغيّر النّغمات ساهم في بيان نوع الجمل وتصنيفها.

---

[1]- "فن الكلام"، ص 285.

[2]- كمال بشر، "علم الأصوات"، ص 564.

[3]- "سورة البقرة"، الآية: 286.

[4]- "النّشر"، 187/1.

وبالرّغم من الدّور الهامّ للمفاصل الصّوتيّة في النّحو، وما تؤدّيه من وظائف إلاّ أنّنا لا نعرف إلاَّ القليل حول هذه الوقوف، وذلك لعدم وجود دراساتٍ تهتم بالظّاهرة انطلاقاً من النّاحية التّركيبيّة، وفي هذا الموضوع يقول مبـــارك حنون: "إنّ عدداً من الدّراسات المتّصلة بـــ "المفصل" وبـــ "التّنغيم" لم يعن أي منهما بالوظيفة النّحويّة للوقوف؛ أي بالعلاقة بين الوقف والبنيّة النّحويّة، فمن المعروف أنّ التّقطيع إلى مركباتٍ وتجميع عناصر الجملة في وحداتٍ بواسطة الوقوف في السّلسلة اللّغويّة أو بواسطة وسائل أخرى يلعب دوراً مهمّاً في نحو اللّغة الإنجليزية وأنحاء لغاتٍ أخرى [1].

كما تقوم المفاصل الصّوتيّة مقام بعض الأدوات الصّرفية، وتؤدّي مهامها في الكلام المكتوب، وفي رواية أبي بكر الصّديق رضي الله عنه بيان لهذا، "فقد روي عنه أنّه قال لرجلٍ معه ناقة: "أتبيعها ؟" فقال: لا عافاك الله، فقال: "لا تقل هكذا، ولكن قل: لا وعافاك الله [2].

وتصحيح أبي بكر لعبارة الرّجل من أجل أن يكون الكلام دعاءً له لا عليه.

فإضافة الواو بمثابة وقفٍ أو سكتٍ يفصل ويبيّن مقاطع الكلام وحدوده في الكلام المنطوق، فيما لو كان الكلام مكتوباً لاستغني عن الواو وعُوِّضت بالفاصلة، نظراً لتأديتهما الدَّوْرَ ذاته، فالفاصلة في نظام التّرقيم الحديث تفيد إمكانية السّكتة مع ربط ما يسبقها من الكلام بما يلحقها، وهذا يدلّ على مدى أهميّة المفاصل الصّوتيّة في النّحو العربيّ.

وقد أشار كمال بشر إلى حروفٍ وأدواتٍ أخرى تُستعمل في العربيّة للغرض ذاته؛ إذ تقوم مقام بعض المفاصل الصّوتيّة، وهما "الفاء" الواقعة في جواب الشَّرط في حالاتٍ معيّنةٍ و"اللاّم" الواقعة في جواب "لو" و "لولا"، في حالاتٍ خاصّةٍ أيضاً، فيقول: "أنّ كلاًّ من الفاء واللاّم في حالة وجودهما تقوم مقام الفاصلة [،]، أو قل: إنّهما بالفعل أداتا ترقيمٍ من نظامٍ خاصٍّ بالعربيّة، هو نظام الفصل والوصل في تراكيبها، ومعلومٌ أنَّ الفاصلة في نظام التّرقيم

[1]- مبارك حنون، "في الصّواتة الزّمنية: الوقف في اللّسانيات الكلاسيكية"، دار الأمان، المغرب، ط1، 2003م، ص 113.

[2]- "القطع والائتناف"، ص 31.

الحديث تعني إمكانية السّكتة كما تعني ربط الكلام اللاّحق بسابقه، فهي فاصلةٌ واصلةٌ، وكذلك الحال في الفاء واللاّم في الحالات الّتي تقتضي وجودهما [1].

وفيما يلي بعض الأمثلة لهذه الحالات:

1- **الـــلاّم:** وتسمّى لام جواب الشّرط، وذلك لاقترانها بجواب الشّرط للأداتين (لو) و (لولا)، ودخولها لتأكيد ارتباط إحدى الجملتين بالأخرى ويجوز حذفها [2]، فاقترانها جائز لا واجب، "وإن كنا نلحظ أنّ الاقتران أغلب وأكثر وقوعاً، وبخاصّةٍ إن كان الجواب مثبتاً [3].

ومن أمثلة اقتران اللاّم بجواب (لو) قوله تعالى: ﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا** ﴾ [4]، وقوله عزّ شأنه: ﴿ **وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنْ الْخَيْرِ** ﴾ [5].

وقول الشّاعر [6]:

والله لَوْ كُنْتُ لِهَذَا خَالِصَا   لَكُنْتُ عَبْدًا لِكُلِّ الأَبَارِصَا.

ومن أمثلة اقترانها بجواب (لولا) قوله تعالـــى: ﴿ **وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمْ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ [7]، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ **لَوْلاَ أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ** ﴾ [8].

ففي هذه الأمثلة تعدّ اللاّم أداة ربطٍ تربط ما يسبقها من كلامٍ بما يلحقها، "فيجعلها بعضهم قسماً قائماً برأسه – إن – وقعت في جواب (لو) و (لولا) لتأكيد ارتباط الجملة

---

[1]– "فن الكلام"، ص 286.
[2]– ابن يعيش، "شرح المفصل"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د،ط)، 1989م، 9/ 22.
[3]– "فن الكلام"، ص 289.
[4]– "سورة الأنبياء"، الآية: 22.
[5]– "سورة الأعراف"، الآية: 188.
[6] - "شرح المفصل"، 9/ 23.
[7]– "سورة النّساء"، الآية: 83.
[8]– "سورة سبأ"، الآية: 31.

الثّانية بالأولى [1]. فالشّرط مرتبطٌ أشدّ الارتباط بجوابه كي يتمّ الكلام بناءً ومعنى، ويمكن الاستغناء عن هذه اللاّم بفاصلةٍ في الكتابة نظراً لتأديتهما الوظيفة ذاتها.

كما يمكن الاستغناء عنها بحذفها من جواب الشّرط، "يقول بعضهم أنّ اللاّم في جواب (لو) و(لولا) زائدة مؤكدة، واستدلّ على ذلك بجواز سقوطها، وأنشد [2]:

فَلَوْ أَنَّا عَلَى حَجَرٍ ذُبِحْنَا   جَرَى الدَّمَيَانِ بِالخَبَرِ اليَقِينِ.

وكقوله تعالى: ﴿ **لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا** ﴾ [3]، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ **أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ** ﴾ [4].

لكن الاستغناء عنها لا يلغي وظيفتها عند ذكرها، وإن كان جواب (لولا) لم يأت إلاّ مقترناً باللاّم في القرآن الكريم، وأمّا قوله تعالى: ﴿ **فَلَوْلاَ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا** ﴾ [5] بدون اللاّم في الجواب، فليس ممّا نحن فيه؛ إذ (لولا) هنا فقدت شرطيتها، ووظفت بمعنى التّحضيض [6].

2- **الفـــــاء**: تقترن بجواب الشّرط في حالاتٍ معيّنةٍ وفق ما تقتضيه العربيّة، وقد نصّ النّحاة على أنّ اقترانها واجبٌ إذا وقع الجواب جملة اسميّة أو طلبية، أو جاء مبدوءاً بفعلٍ جامدٍ، أو مقترناً بحرفي النّفي (ما) و(لن)، أو بالحرف (قد)، أو بالتّنفيس (السّين وسوف) [7]. ومن أمثلتها في القرآن الكريم:

---

[1] – "شرح المفصل"، 9/ 22 – 24.

[2] – المبرد (أبو العباس محمّد بن يزيد)، "المقتضب"، تحقيق: حسن حمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د،ط)، 1999م، 1/ 256. و "شرح المفصل"، 9/ 22 – 24. و "لسان العرب" و "الصحاح"، مادة: دما.

[3] – "سورة الواقعة"، الآية: 70.

[4] – "سورة الأعراف"، الآية: 100.

[5] – "سورة الأنعام"، الآية: 43.

[6] – كمال بشر، "علم الأصوات"، ص 556.

[7] – "فن الكلام"، ص 286.

- الجملة الطلبية:

قوله تعالى: ﴿ **إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي** ﴾ [1]، وقوله عزّ شأنه: ﴿ **وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا** ﴾ [2].

- الـــمقترنة بفعلٍ جامدٍ:

قوله تعالى: ﴿ **إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَدًا فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ**﴾ [3].

- الـــجـــملة الاِســـمية:

قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [4]، وقوله سبحانه: ﴿ **وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ** ﴾ [5].

- الـــمقترنة بفعلٍ جامدٍ:

قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ** ﴾ [6].

- الـــمقترنة بـــقد:

كقوله تعالى: ﴿ **قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ** ﴾ [7]، وقوله: ﴿ **إِنْ كُنْتُ**

كُنْتُ

قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ﴾ [1].

[1]- "سورة آل عمران"، الآية: 31.
[2]- "سورة الأنفال"، الآية: 61.
[3]- "سورة الكهف"، الآية: 39 – 40.
[4]- "سورة الأنعام"، الآية: 17.
[5]- "سورة الأنفال"، الآية: 62.
[6]- "سورة المائدة"، الآية: 67.
[7]- "سورة يوسف"، الآية: 77.

– الـــمقترة بالتّنفيس (السّين وسوف):

ومثاله قوله عزّ وجلّ: ﴿ **وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا** ﴾ [2].

وقوله أيضاً: ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ** ﴾ [3].

وذكر النّحاة وجوب اقتران الفاء بهذه الجمل كونها لا تصلح شرطاً، يقول كمال بشر: "إنّه تفسيرٌ وجيهٌ ومقبولٌ، وربّما يشهد لهم أنّه لا يتعيّن وجود الفاء في الجمل المنفية بـــ (لا) كما في قوله: ﴿ **وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْـــرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ** ﴾ [4]، وقولـــه: ﴿ **فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلاَ يَخَافُ بَخْسًا وَلاَ رَهَقًا** ﴾ [5] بذكر الفاء.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ **وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا** ﴾ [6].

ومعنى هذا بتفسيرهم أنّ الفاء اقترنت بـــ (لا) في الحالة الأولى لأنّ المنفي بها لا يصلح أن يقع شرطاً، في حين أنّها لم تذكر في الحالة الثّانية؛ لأنّ المنفي بها يصلح أن يكون شرطاً [7].

غير أنّ الّذي يهمّنا من كلّ الأمثلة السّابقة الذكر، أنّ الفاء تؤدّي فيها دور فاصلة صوتيّة تتمثل في السّكتة، والّتي تربط ما سبقها من كلامٍ بما يلحقها مع "التّنبيه على أنّها

[1]– "سورة المائدة"، الآية: 116.
[2]– "سورة النّساء"، الآية: 172.
[3]– "سورة التّوبة"، الآية: 28.
[4]– "سورة يونس"، الآية: 107.
[5]– "سورة الجن"، الآية: 13.
[6]– "سورة النّحل"، الآية: 18.
[7] – كمال بشر، "علم الأصوات"، ص 557.

ليست دليلاً لنهاية المنطوق، وبخاصّةٍ أنّ هذه السّكتة تقع مصحوبة بتنغيمٍ صاعدٍ، وهو دليلٌ آخر على عدم تمام الكلام [1].

ويذكر كمال بشر أيضاً "أنّ هذا الاقتران شائعٌ ومأخوذٌ بـــه في الكلام الفصيح قديماً وحديثاً، فمنه في القديم قول عمر بن الخطاب مخاطباً أبا موسى الأشعري، أمّا بعد: فإنّ القضاء فريضة محكمة"، وقول الفصحاء منا في الحديث: السيّد...أمّا بعد، فأرجو...[2].

فالفاء تفيد دائماً ربط سابقها بلاحقها، مع إمكانية وقوع سكتةٍ تشبه الوقفة بين الطرفين، وفي الأخير، نقول بأنّ في العربيّة أدواتٍ صرفيةٍ تؤدّي مهام علامات التّرقيم، وهذه الأخيرة بدورها تفيد الفصل والوصل في الكلام، فتؤدّي بهذا وظائف المفاصل الصّوتيّة الّتي تعتبر ذات قيمةٍ هامّةٍ في الدّرس النّحويّ.

2 – المفصل الصّوتي في تناول البلاغيين:

المفصل الصّوتيّ من الظّواهر فوق التّركيبيّة، والّذي يستخدم في العديد من اللّغات – منها اللّغة العربيّة – فونيماً تمييزيّاً بين الدّلالات، غير أنّه لم يعرف في الكلام العربيّ شعره ونثره بمصطلحه أو مفهومه المتعارف عليه حديثاً، كونه يعدّ سكتة بين كلمات أو مقاطع قصد الدّلالة على انتهاء لفظٍ ما أو مقطعٍ ما وبداية آخر [3].

كما لم يحظ بدراسةٍ جادّةٍ من علمائنا ودارسينا العرب؛ فلم يهتموا بـــه باعتباره ظاهرة لها أثرها في المعنى، غير أنّ الدّارسين المحدثين أشاروا إلى أنّ اللّغويين القدامى وبخاصّةٍ البلاغيين منهم، "بحثوا ما يمكن أن نجعله في صوتية المفصل في باب الجناس، المركّب منه على وجه الخصوص [4]، وهو أحد أقسام الجناس التّامّ؛ إذ البنية فيه تتألف من تركيبين متناظرين من

---

[1]– "فن الكلام"، ص 287.

[2]– كمال بشر، "علم الأصوات"، ص 558.

[3]– ماريو باي، "أسس علم اللغة"، ترجمة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط2، 1983م، ص 96.

[4]– "أبحاث في أصوات العربيّة"، ص 75.

من الفونيمات، لكنّهما يختلفان في محتوى الدّلالة، هذا الاختلاف لا يظهر إلا بهذه الفاصلة [1]، نقرأ مثلاً [1]:

نَاظِرَاهُ فِيمَا جَنَى نَاظِرَاهُ   أَوْ دَعَانِي أَمُتْ فِيمَا أَوْدَعَانِي.

فلفظا "أودعاني" ركنا الجناس المــركّب، لا تنماز دلالاتهما إلاّ بالمفصل الصّوتيّ.

وكذا علم الفصل الّذي يُعدّ من أهمّ أركان البلاغة؛ يمكن أن نبحث فيه المفصل الصّوتيّ، ذلك أنّه يساهم في تحديد مقاطع الكلام وبيان معانيه، وذلك بالفصل بين العبارات كي لا تلتبس الدّلالات.

2 – 1 – علم الفصل:

ذكرنا فيما سبق أنّ المفصل الصّوتيّ أو السّكت كما عرف في الدّراسات العربيّة القديمة، جاء لإزالة اللّبس والغموض بين العبارات ومنع التّداخل بين معانيها، وهو الدّور الّذي يؤدّيه علم الفصل في البلاغة، والّذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالوصل؛ إذ أنّهما من أعظم أركان البلاغة حتّى أنَّ بعضهم حدّها بأنَّها معرفة الفصل والوصل، يقول القزويني (ت811هـ): "قصر بعض العلماء البلاغة على معرفة الفصل والوصل – ذلك أنّ تميّيز مواضع الجمل ومعرفة مواقعها أمرٌ – عظيم الخطر، صعب المسلك، دقيق المأخذ، لا يعرف علّة وجهه، ولا يحيط علماً بكنهه إلاّ من أوتي في فهم كلام العرب طبعاً سليماً، ورزق في إدراك أسراره ذوقاً صحيحاً [2].

ومصطلح الفصل والوصل استقر في البلاغة العربيّة بمفهومه المتعارف عليه: "ربط المعاني وقطعها [3]، وإن كان مستنداً إلى أساسٍ نحويٍّ يتمثل في عطف الجمل والمفردات، يقول

---

[1]– عبد القادر عبد الجليل، "علم اللسانيات الحديثة"، دار صفاء، الأردن، ط1، 2002م، ص 379.

[2]– الخطيب القزويني، "الإيضاح في علوم البلاغة"، تحقيق: محمّد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت)، المجلّد2، ص 181.

[3]– "الفصل والوصل في القرآن الكريم"، ص 20.

السّكاكي (ت 626 هــ): "مدار الفصل والوصل ترك العاطف وذكره ... وإنّه لمحك البلاغة [1].

غير أنّ البلاغيين لم يستعملوا الفصل والوصل للعطف وتركه فقط، بل تعدوه إلى المعاني فبعضهم كالجرجاني (ت47 هــ) مثلاً "لم يغفل الجانب الفنيّ في تحليله فيوضّح أنّ الأمر ليس عطف جملةٍ على جملةٍ، وإنّما هو وصل معنى بمعنى لاعتباراتٍ جماليةٍ، ففصل معنى من آخر، ووصل معنى بآخر يحتاج إلى قومٍ ذوي ذوقٍ هم بـــه أفرادٌ، ويحتاج إلى تأملٍ ونظـــرٍ [2]، وقد كانت عنايتهم بالفصل بين الجمل أكثر منه بين المفردات.

وقد حدّد البلاغيون الفصل بين الجمل في عدّة مواطن، نكتفي بذكر ما تعلّق منها بموضوعنا، والّتي لها أثرٌ في توجيه الدّلالة، وجب الفصل فيها لئلا تلتبس الدّلالة، ويفسد المعنى، منها:

1- **القطـــع**: ويكون وجوباً واحتياطاً:

أ – القطـــع وجـــوباً: ذلك أن يكون للجملة الأولى حكمٌ، ولم يُقصد إعطاؤه للجملة الثّانية [3]، وهو ما سمّاه السكاكي بالقطع للوجوب [3]، فيستحب الفصل لئلا ينسحب عليها حكمها ويفسد المعنى، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ** ﴾ [4].

إنّنا إذا تأمّلنا هذه الآية نجد أنّ جملة (إِنَّا مَعَكُمْ) لها محلٌّ من الإعراب، فهي في محلّ نصب مفعول بـــه لــ (قَالُوا)، أمّا جملة: (اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) فليست كذلك، لأنّها من مقول المنافقين، وإنّما هي إخبارٌ من الله عنهم، لذا فصلت عنها، ولو عطفت عليها لفسد

[1]– السكاكي (أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمّد بن علي)، "كتاب مفتاح العلوم"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت)، ص 108.

[2]– "الفصل والوصل في القرآن الكريم"، ص 27.

[3] – "مفتاح العلوم"، ص 110.

[4] – "سورة البقرة"، الآيتان: 14-15.

المعنى لاختلاف حكمها؛ لأنّ العطف يوجب لها أن تشاركها في حكمها فتكون مثلها مفعولاً به لِــ (قَالُوا)، وهي في الواقع ليست كذلك. وإن كان ذلك كذلك كان العطف ممتنعاً [1]، لاستحالة أن يكون الّذي هو خبرٌ من الله تعالى معطوفاً على ما هو حكايةٌ عنهم، وإلى أن يكونوا قد شهدوا على أنفسهم بأنّهم مؤاخذون، وأنّ الله تعالى يعاقبهم عليه [2].

ب – <u>القطــع احتيــاطاً</u>: وهو أن تقطع الجملة الثّانية احتياطاً [3]، وذلك دفعاً لأيّ اشتباهٍ أو التباسٍ يفسد المعنى، نحو قول الشاعر [4]:

وَتَظُنُّ سَلْمَى أَنّنِي أَبْغِي بِهــَا   بَدَلا، أُرَاهَا فِي الضَّلاَلِ تَهِيمُ.

فقد فصل قوله (أُرَاهَا) عمّا قبله، حتّى لا يتوهّم السّامع أنّ العطف واقعٌ على (أَبْغِي) دون (تَظُنُّ)، فتصبح جملة (أُرَاهَا) لذلك من مظنونات ليلى، وليس مراد الشاعر ذلك، ومن ههنا فصلت الجملتان احتياطاً ودفعاً للّبس الّذي ينتاب السّامع [4].

أمّا من الذّكر الحكيم، فقوله سبحانه: ﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الغَاشِيَةِ، وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ، تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً، تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ، لَيْسَ لَهُم طَعَامٌ إلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ، لاَ يُسْمِنُ وَلاَ يُغْنِي مِنْ جُوعٍ، وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ، لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ** ﴾ [5]، فجملة (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ) حقّها أن تعطف على (وُجُوهٌ) الأولى ولكنّها فصلت عنها حتّى لا يتوهّم أنّها معطوفة على الجملة الّتي تسبقها مباشرة، وذلك ممّا يفسد المعنى [6].

---

[1] – عبد الجليل مصطفاوي، "ظاهرة الفصل والوصل بين النّحو والبلاغة"، مخطوط رسالة قدمت لنيل شهادة الماجستير، جامعة حلب، سوريا، 1987م، ص 18.

[2] – الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرّحمن)، "دلائل الإعجاز"، تحقيق: محمود محمّد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني، جدة، ط3، 1992م، ص 232.

[3] – "مفتاح العلوم"، ص 110.

[4] – نفسه، ص 114.

[5] – "سورة الغاشية"، الآية: 1– 9.

[6] – "ظاهرة الفصل والوصل بين النّحو والبلاغة"، ص 201.

والدّليل على أنّ القطع هنا جاء لدفع الوّهم، ورودها معطوفة في آياتٍ مشابهةٍ حين أمن اللّبس، وذلك في قوله عزّ وجلّ: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ، وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ** ﴾ [1]، وقوله: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ، ضَاحِكَةٌ، مُسْتَبْشِرَةٌ، وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ** ﴾ [2]" [3].

2 – الاستئناف: من مواطن الفصل، وهي أن تكون الجملة الثّانية بمثابة جوابٍ لسؤالٍ تضمنته الجملة الأولى [4]، ذلك أنّ العلاقة بين السؤال والجواب وثيقةٌ لا تحتاج إلى رابطٍ، وقد سمّى البلاغيون الفصل هنا استئنافاً [5]، كقول اليزيدي [6]:

مَلَـــكْتُهُ حَبْـــلِي، وَلَكِنَّـــهُ أَلْقَاهُ مِنْ زُهْدٍ عَلَى غَارِبِي.
وَقَالَ إِنِّي فِي الهَوَى كَاذِبٌ، اِنْتَقَـــمَ اللهُ مِنَ الكَـــاذِبِ.

جاءت جملة (اِنْتَقَمَ اللهُ مِنَ الكَـــاذِبِ) جواباً لسؤال سائلٍ: "فما تقول فيما اتّهمت به من أنّك كاذبٌ ؟ فقال أقول: "اِنْتَقَمَ اللهُ مِنَ الكَـــاذِبِ" [6].

أمّا في الذّكر الحكيم فقد كثر ورود هذا الأسلوب فيه، كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْـــذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْـــذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ، خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَعَلَى سَمْعِهِم** ﴾ [7]، فجملة (خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِم)، وردت جواباً لسؤالٍ تضمنته الجملة الجملة السّابقة، لأنّ حالة من كان الإنذار عنده أو عدمه سواء، ممّا يحرّك السّامع أن يسأل: ما بال هؤلاء يستوي عندهم الإنذار وعدمه، فأجيب بما أجيب، وفصلت الجملة عن سابقتها [8].

---

[1] – "سورة القيامة"، الآية: 22– 24.
[2] – "سورة عبس"، الآية: 38– 40.
[3] – "ظاهرة الفصل والوصل بين النّحو والبلاغة"، ص 201.
[4] – "مفتاح العلوم"، ص 110.
[5] – ينظر: "مفتاح العلوم"، ص 110 و "دلائل الإعجاز"، ص 237.
[6] – "دلائل الإعجاز"، ص 238.
[7] – "سورة يوسف"، الآية: 53.
[8] – "ظاهرة الفصل والوصل بين النّحو والبلاغة"، ص 23.

هذه بعض مواطن الفصل الّتي ذكرها البلاغيون، والّتي وجب الفصل فيها لئلا تلتبس الدّلالات وتفسد المعاني.

وها هو الزّمخشري (ت 528 هـــ) لم يفرّق بين الفصل في القراءات والبلاغة، فكان كلامه عن الفصل أقرب إلى مفهوم المفصل ووظيفته الصّوتيّة الّتي تفصل ثنايا الخطاب وتبيّن مقاصده، ويتّضح ذلك من تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ** ﴾ [1]؛ إذ رأى أنَّ الفصل: "التّمييز بين الشّيئين، ومعنى فصل الخطاب: البيّن من الكلام الملخّص الّذي يتبيّنه من يخاطب بـــه لا يلتبس عليه، ومن فصل الخطاب وملخّصه أن لا يخطئ صاحبه مظان الفصل والوصل، فلا يقف في كلمة الشّهادة على المستثنى منه، ولا يتلو قوله: ﴿ **فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ** ﴾ [2] إلاّ موصولاً بما بعده، ولا ﴿ **وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ** ﴾ [3] حتّى حتّى يصله بقوله: ﴿ **لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾ ونحو ذلك... وإن شئت كان الفصل بمعنى الفاصل من الخطاب، الّذي يفصل بين الصّحيح والفاسد، والحقّ والباطل، والصّواب والخطأ [4].

فمن مظان أو قواعد الفصل عند الزّمخشري، والّتي تتجلى من قوله: ألاّ يفصل بين أدوات الاستثناء والمستثنى، وهي من التّراكيب الّتي ذكرها علماء الأصوات المحدثين وخصّوها بعدم السّماح للمفصل الصّوتيّ بالتّموضع بين عنصريها؛ إذ لا يجوز الفصل بوقفةٍ أو سكتةٍ بينهما بحالٍ من الأحوال، والأمر ينطبق على باقي التّراكيب المكوّنة من الأدوات الخاصّة ومدخولها، ونعني بهذه الأدوات تلك الّتي تؤثر في مدخولها من حيث الإعراب أو المعنى أو كلاهما، كحروف الجرّ مع الأسماء، وأدوات النّصب والجزم مع المضارع وأدوات الاستثناء مع المستثنى، وأدوات النّفي والاستفهام مع ما تدخل عليه من الأسماء والأفعال [5].

---

[1]- "سورة ص"، الآية: 20.

[2]- "سورة الماعون"، الآية: 4.

[3]- "سورة النّور"، الآية: 19.

[4]- الزّمخشري (محمود بن عمر)، "الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"، تحقيق: مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث، القاهرة، ط1، 1987م، 10/ 115.

[5]- كمال بشر، "علم الأصوات"، ص 556.

فالبلاغيون مالوا قليلاً ببحثهم عن فصل المعاني وربطها إلى مفهوم المفصل، والّذي يؤدّي دوراً هامّاً في بيان المعاني من خلال فصل بعضها عن بعضٍ كي لا تلتبس الدّلالات، فكانوا أحرص النّاس على فصل المعاني وإنزالها منازلها، "قال أبو العباس السَّفاح لكاتبه قف عند مقاطع الكلام وحدوده، وإياك أن تخلط المرعى بالهمل، فمن حلية البلاغة المعرفة بمواضع الفصل والوصل [1].

فحرصت العرب على عدم الخلط في موضعيهما، "وكان يزيد بن معاوية يقول: "إياكم أن تجعلوا الفصل وصلاً، فإنّه أشدّ وأعيب من اللّحن... وكان أكثم بن صيفي إذا كاتب ملوك الجاهلية يقول لكتابه:" افصلوا بين كلّ منقضي معنى، وصلوا إذا كان الكلام معجوناً بعضه ببعضٍ... وكان الحارث بن أبي شمر الغساني يقول لكاتبه: إذا نزع بك الكلام إلى الابتداء بمعنى غير ما أنت فيه فافصل بينه وبين تبيعته من الألفاظ، وقال الأحنف بن قيس ما رأيت رجلاً تكلّم فأحسن الوقوف عند مقاطع الكلام، ولا عرف حدوده، إلاّ عمرو بن العاص (رضي الله عنه) كان إذا تكلم تفقّد مقاطع الكلام، وأعطى حقَّ المقام، وغاص في استخراج المعنى بألطف مخرجٍ، حتّى كان يقف عند المقطع وقوفاً يحول بينه وبين تبيعته من الألفاظ [2].

فالفصل من مزايا الكلام الفصيح والبليغ ما كتب منه وما قرئ، ولقد حرص صلّى الله عليه وسلّم عليه في كتاباته على ما أورده معاوية، وهو ينصح كاتبا: "جل في ميادين البلاغة، وليكن التّفقد لمقاطع الكلام منك على بالٍ، فإنّي شهدت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أملى على علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) كتاباً، وكان يتفقد مقاطع الكلام كتفقد المصرم صريمته [2] "[3].

[1]– "كتاب الصناعتين"، ص 497.

[2] – المصرم: من الصّرم وهو القطع البائن، ومنه أصرم النّخل، حان له أن يصرم، وصرامه بفتح الصاد وكسرها أوان إدراكه (أي قطعه)، ينظر: "لسان العرب"، مادة: صرم.

[3]– "كتاب الصّناعتين"، ص 498.

فالفصل يزيد من حليّة القراءة والكتابة، ذلك أنّ الكلام الّذي لم يفصل بين مقاطعه يصعب بيان معانيه، ومن أجل هذا وجدت المفاصل الصّوتيّة والّتي تؤدّي دورا هامّاً في بيان الدّلالات المختلفة، وذلك من خلال الوقفات والسّكتات الّتي تسمح بإعطاء فسحةٍ زمنيةٍ لردّ النّفس وبيان حدود الكلم؛ "فالألفاظ إذا لم يكن بينها فصول زمانية عسر فهم تلك المعاني لأنّها إذا وردت مشافعةً في الذهن لم يتمكن الذهن من فهم واحدٍ منها حتّى يرد عليه آخر، شبيه ما يعرض لمن يحب أن يتناول شيئاً من أشياء سريعة الحركة فإنّه لا يتمكّن منها، والقول -بدونها- يكون غير لذيذ المسموع لأنّه إنّما يلتذ السّامع بالنبرات والوقفات الّتي بين أجزاء القول [1].

المفصل الصّوتيّ وعلامات التّرقيم:

والوقفات والسّكتات تخصّ الكلام المقروء أو المتلوّ، وكي تكون الكتابة صالحةً لترجمة المنطوق أوجد أسلوب حديث نقله بعض المصلحين تجويداً لما عرف قديماً بعلامات الاتصال والانفصال، أمّا حديثًا فعرف بعلامات التّرقيم، "وهي رموزٌ اصطلاحيةٌ معيّنةٌ توضع بين الجمل والكلمات لتحقيق عملية الفهم [2]. وهذا النّظام المتّبع في عدة لغاتٍ متأخرٌ نوعًا ما في الكتابة العربيّة، وقد أشار إلى ذلك القدامى، يقول ابن رشد: "الكلام المكتوب ممّا يسهل تفهم معناه في وقت قراءته بأن تكون فيه علامات للاتصال والانفصال، وذلك شيءٌ لم يوضع بعد في خط لسان العرب، وهو موجودٌ في خطوط سائر الألسنة [3].

ونظرًا لما تكتسيه هذه العلامات من الأهميّة في الكتابة، فإنّ الخطأ في استعمالاتها نتيجة النّقل الخطأ من اللّغات الأخرى يحدث اضطرابًا في المعنى "فحرص علماء اللّغات على

[1]- "تلخيص الخطابة"، ص 284.

[2]- عبد العليم إبراهيم، "الإملاء والتّرقيم في الكتابة العربيّة"، مكتبة غريب، القاهرة، مصر، (د،ط)، (د،ت)، ص 77.

[3]- "تلخيص الخطابة"، ص 276.

استخدامها مع شيءٍ من الاختلاف أو التّقارب بين صورها ومواضع استخدامها في مختلف اللّغات [1].

ونظام التّرقيم وإن تأخر في كتابتنا، فلا تخلو الدّراسات العربيّة من بعض المحاولات لوضع هذا النظام قديمًا، أمّا حديثًا "فقد انساقت خلف الدّراسات الأوروبيّة المترجمة تحاكيها محاكاة محضة، والّتي بدورها تعالج خصوصية اللّغة الأجنبية [2]. فلكلّ لغةٍ خصوصياتها الّتي تميّزها عن غيرها ممّا يستوجب وضع نظام ترقيمٍ متكاملٍ يتماشى مع طبيعة اللّغة العربيّة وخواصّ تراكيبها.

وللمفاصل الصّوتيّة حظها من هذا النّظام، فهي تعتمد عليه في توضيح وكشف دلالات المكتوب، يقول عبد الرّحمن مبروك: "يعتمد المفصل الصّوتيّ – إلى حدٍّ كبيرٍ– على علامات التّرقيم الدّالة على الوصل والفصل، والّذي يشكّل بعدًا دلاليًّا [3]. فالوقفة لا تتحقّق إلاّ بتمام الكلام مبنى ومعنى، ورمزها في الكتابة النقطة [.]، فيما السّكتة فتربط ما يسبقها من كلام بما يلحقها، وعلامتها في الكتابة الفاصلة [،].

وتكتسي علامة المفصل أهمّيّةً كبيرةً في فهم الكلام وبيان مقاصده، إلاّ أنّ العديد من الدّراسات عنت بعلامات التّرقيم المكتوبة، "ولم تقف أمام ظاهرة الوقف الصّوتيّ (أي المفصل) وأثره في الدّلالة [4].

ومن اللاّفت للنّظر، على حدّ قول كمال بشر، أنّ اللّغة العربيّة قد أوجدت وسائل خاصّة تقوم مقام بعض علامات التّرقيم وتؤدّي وظائفها منها، "الفاء الواقعة في جواب الشّرط في حالاتٍ معيّنةٍ، واللاّم الواقعة في جواب (لو) و (لولا) في حالاتٍ خاصّةٍ أيضاً،

---

[1]– "الإملاء والتّرقيم في الكتابة العربيّة"، ص 78.

[2]– "من الصّوت إلى النّص"، ص 65.

[3]– نفسه، ص 222.

[4]– نفسه، ص 65.

فكلتا الوسيلتين تفيد أمرين: إمكانية وقوع سكتةٍ سابقةٍ عليهما، كما تفيد في الوقت نفسه ربط تاليها بما يسبقها من الكلام ربطاً وثيقاً [1]، ما يعني ارتباط علم النّحو بالمفاصل الصّوتيّة.

فعلم الفصل بوظيفته التّحديديّة لمقاطع الكلام وحدوده يساهم في بيان المعاني وعدم تداخلها، فأشبه بوظيفته هذه المفصل الصّوتيّ والّذي بدوره يفصل بين المفردات والجمل لبيان دلالاتها أيضاً، وهو ما سنحاول بحثه في أبواب الجناس؛ إذ يعتبر الفاصل الوحيد في بيان ركنيه وبالتّالي دلالاته.

2 – 2 – الـــجنـــاس:

الجناس من فنون البديع اللّفظية، ومن أوائل من فطنوا له عبد الله بن المعتز، فقد عدّه في كتابه ثاني أبواب البديع الخمسة الكبرى عنده [2].

والجناس كغيره من ألوان البديع إذا تكلّف وتصنع، رغبت عنه النفوس، وجافته الأذواق، فيما لو جاء عفواً، وصدر عن طبعٍ كان له وقعه وأثره في المعنى، يقول عبد القاهر الجرجاني: "أما التّجنيس فإنّك لا تستحسن تجانس اللّفظين إلاّ إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعاً حميداً، و لم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيداً [3].

وقد كثر وروده في القرآن الكريم، وفي الحديث الشّريف، كما ورد في الشعر والنثر قديمه وحديثه، ففي القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿ **وَيَوْم تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَـــا**

[1]– "فن الكلام"، ص 286.

[2]– عبد العزيز عتيق، "علم البديع"، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2004م، ص 151.

[3]– الجرجاني، "أسرار البلاغة في علم البيان"، تحقيق: محمّد الأسكندراني ومحمّد مسعود، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د.ط)، 2005م، ص 13.

لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ [1]، وقوله: ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [2]، وقوله أيضاً: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ﴾ [3].

ومن شواهده في الحديث الشّريف قوله عليه السلام: "اللَّهُمَ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا وَأَمِنْ رَوْعَاتِنَا" [4]، وقوله صلّى الله عليه وسلّم: "اللَّهُمَ كَمَا حَسَنْتَ خَلْقِي حَسِنْ خُلُقِي" [5]، وقوله أيضاً: "الخَيْلُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ" [6].

أمّا في الشّعر العربيّ فشواهده كثيرة، منها قول امرؤ القيس [7]:

وَإِن تَكُ قَدْ سَاءَتْكِ مِنّي خَلِيقَةٌ فَسُلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكِ تَنْسَلُ.

وقول زهير بن أبي سلمى [8]:

كَأَنَّ عَيْنِي وَقَدْ سَالَ السَلِيلُ [9] بهم وَعَبْرَةً مَا هُمْ لَوْ أَنَّهُم أَمَمُ [10].

بهم

وقول جرير في هجاء الفرزدق [11]:

1- "سورة الروم"، الآية: 55.

2- "سورة النّمل"، الآية: 44.

3- "سورة النّساء"، الآية: 83.

4- ابن قيّم الجوزية (شمس الدّين أبي عبد اللّه محمّد)، "زاد المعاد في هدي خير العباد"، تحقيق: حمدي بن محمّد نور الدّين آل نوفل، مكتبة المورد، القاهرة، مصر، ط10، 2006م، 2/ 18.

5- البخاري (أبو عبد اللّه محمّد الجعفي)، "صحيح البخاري"، المؤسسة الوطنيّة للفنون المطبعية، الجزائر، (د،ط)، 1990م، 3/ 215.

6- النّووي (محي الدّين يحيى بن شرف)، "رياض الصّالحين من حديث سيّد المرسلين"، تحقيق: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد، دار ابن الجوزي، المملكة العربيّة السعودية، ط4، 1425هـ، ص 453.

7- أمرؤ القيس، "ديوانه"، دار صادر، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت)، ص 37.

8- زهير بن أبي سلمى، "ديوانه"، تحقيق: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص 185.

9 - السّليل: مجرى الماء في الوادي،، وقيل: واد واسع، ينظر،"لسان العرب"، مادة: سلّ.

10 - أمم: بين القريب والبعيد، ينظر،"لسان العرب"، مادة:أمم.

11- جرير، "ديوانه"، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د،ط)، 1978م، ص 254.

فَمَا زَالَ مَعْقُولاً عِقَالاً [1] عَنِ العُلَى وَمَا زَالَ مَحْبُوسًا عَنِ المَجْدِ حَابِسٌ.

وقول الفرزدق[2]:

جُفَافٌ [3] أَجَفَ اللهُ عَنْهُ سَحَابَهُ، وَأَوْسَعَهُ منْ كُلِّ سَافٍ [4] وَحَاصِبٍ [5].

1- **تعريف الجناس:**

أ – **لغة:** يقو الخليل: الجنس لكلّ ضربٍ من النّاس والطّير والعروض والنّحو، فمنه تكون الكلمة تجانس الأخرى في تأليف حروفها ومعناها وما يشتق منها، مثل قول الشاعر: "يَوْمَ خَلَجَتْ عَلَى النُّفُوسِ أَنْفُسُهُمْ".

أو يكون تجانسهما في تأليف الحروف دون المعنى، مثلاً قوله تعالى: ﴿ **وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [6]" [7].

ب – **اصطلاحا:** الجنـــاس أو المجـــانســـة أو التّجنيس أو التّجانس بين اللّفظين هو تشابههما [8]، أي تشابه اللّفظين في النطق واختلافهما في المعنى [9]، كقوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ تَقُومُ**

[1] – عقال وحابس: أسماء أشخاص، وهم أجداد الفرزدق، ينظر: جرير، "ديوانه"، ص 254.

[2]– الفرزدق، "ديوانه، دار صادر، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت)، ص 28.

[3] – جفاف: اسم وادٍ معروفٍ، ينظر،"لسان العرب"، مادة: جفّ.

[4] – السافي: الريح الّتي تجري فويق اللأرض، ينظر،"لسان العرب"، مادة: سفّ.

[5] – الحاصب: ريح شديدة تحمل التراب والحصباء،، ينظر، "لسان العرب"، مادة: حصب.

[6]– "سورة النّمل"، الآية: 44.

[7]– الخليل بن أحمد الفراهيدي، "معجم العين"، تحقيق: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، دار الرّشيد، بغداد، العراق، (د،ط)، (د،ت)، مادّة: جنس.

[8]– عبد الفتاح بسيوني، "علم البديع: دراسة تاريخية وفنيّة لأصول البلاغة ومسائل البديع"، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر، ط2، 2004م، ص 235.

[9]– عبد العزيز عتيق، "علم البديع"، ص 187.

تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ [1]، فلفظا (السّاعة وساعة) اتحدا نطقاً واختلفا معنى؛ إذ المراد بالأولى القيامة، وبالثّانية المدّة الزّمنية، وهذان اللّفظان يسميان "ركني الجناس"، ولا يشترط في الجناس تشابه جميع الحروف، بل يكفي في التّشابه ما نعرف بـــه المجانسة [2]، وهو ما جعله نوعان: تامّ وغير تامّ، ينقسم كلٌّ منهما إلى عدّة أقسامٍ تتداخل معظمها، لا حاجة للوقوف عليها؛ إذ الّذي يهمّنا في بحثنا للجناس أنواعه الّتي يكون للمفصل الصّوتيّ دورٌ هامٌّ في بيان معناها، نخصّ منها الجناس التّامّ [3]، والمركّب منه على وجه الخصوص، وذلك لوظيفته التّحديديّة والتّمييزيّة لركني الجناس.

2 – جناس التّركّيب:

أ- **تعريفه:** جناس التّركيب ما كان أحد لفظيه مركّباً [3].

ب- **أقسامه:** جناس التّركيب ثلاثة أضربٍ:

1- إن كان المركّب منهما مركّباً من كلمةٍ وبعض كلمة سمّي مرفواً، كقول الحريري [3]:

وَلاَ تَلْهُ مِنْ ذِكْرِ ذَنْبِكَ وَابْكِهِ ... بِدَمْعٍ يُحَاكِي الوَجَلَ [4] حَالَ مُصَابِهِ

وَمَثِلْ لِعَيْنَيْك الحَمَامَ وَوَقْـــعَه [5] ... وَرَوْعَـــة مَلْقَـــاهُ وَمَطْعَـــم صَابِهِ.

فالجناس بين اللّفظ المفرد (مُصَابِهِ) في عجز البيت الأوّل، والثّاني المركّب من كلمةٍ وجزءٍ من كلمةٍ أخرى، هما الميم الأخيرة في (مَطْعَم) وكلمة (صَابِهِ) في عجز البيت الثّاني، فركنا التّشبيه هنا متشابهان نطقاً مختلفان معنى، ساهم في بيان اختلافهما السّكتة والّتي

1– "سورة الروم"، الآية: 55.

2– عبد العزيز عتيق، "علم البديع"، ص 187.

3 – الجناس التّام: هو أن يتفقا – أي ركناه – في أنواع الحروف وهيئتها وترتيبها، ينظر: الخطيب القزويني، "الإيضاح في علوم البلاغة"، تحقيق: محمّد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت)، المجلّد2، ص 90 – 92.

4 – الوجل: هو الخوف، ينظر: "الصّحاح"، مادة: وجل.

5 – الوقع: بالتّسكين، المكان المرتفع من الجبل، ينظر: "الصّحاح"، مادة: وقع.

تتمظهر بعد فتحة ميم (مَطْعَم) وبين كلمة (صَابِهِ)، فساعدت على بيان تركيبهما وبالتّالي دلالاتهما. وفي قول الشاعر الحريري [1]:

وَالمَكْرُ مَهْمَا اِسْطَعْتَ لاَ تَأْتِهِ لِتَقْتَنِي السُؤْدُدَ وَالمَكْرُمَة.

السّكتة بعد فتحة راء (الـــمَكْرُ) تمييزيّة؛ إذ أنّها تبيّن الحدود بين الكلمتين، كلمة (المَــكْرُ) و(الميم والهاء) من (مَهْمَا)، فلا تتمظهران ككلمةٍ واحدةٍ، وتلتبس الدّلالة بين ركن الجناس الأوّل (المَكْرُ مَهْ) وركنها الثّاني (الـــمَكْرُمَة).

2- إن اتفقا خطّاً سمّي متشابهاً كقول أبي الفتح البستي [2]:

إِذَا مَلِكٌ لَمْ يَكُن ذَا هِبَةٍ فَدَعْهُ فَدَوْلَتُهُ ذَاهِبَـــةٌ.

كلمة (ذَا هِبَةٍ) في صدر البيت وعجزه هما ركنا الجناس في البيت الشّعريّ، والسّكتة بوظيفتها التّحديدية والتّمييزية هي الّتي تساعد على بيان تركيب الرّكن الأوّل من (ذَا) بمعنى صاحب و (هِبَةٍ) من الهيبة، ومعناهما مجتمعين صاحب هيبةٍ وقوّةٍ، من الرّكن المفرد الثّاني والّذي يعني فانية وزائلة، وبالتّالي بيان دلالتيهما.

ومثاله قول شمس الدّين محمّد بن عبد الوهاب [3]:

حَارَ فِي سَقَمِي مِنْ بَعْدِهِــمُــو كُلُّ مَنْ فِي الحَيِّ دَاوَى أَوْ رَقَــا
بَعْدَهُم لاَ طَلَ وَادي الــمَنْــحَى وَكذَا بَان [4] الــحمَى لاَ أَوْرَقَــا

---

[1] – عبد العزيز عتيق، "علم البديع"، ص 159.

[2] – الرّزي (فخر الدّين)، "نهاية الايجاز في دراسة الاعجاز"، تحقيق: نصر الله حاجي مفتي أوغلي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص 62. و "الإيضاح في علوم البلاغة"، ص 93.

[3] – عبد العزيز عتيق، "علم البديع"، ص 157.

[4]– البان: شجر يطول في استواء مثل نبات الأثل، ليس لخشبه صلابة، واحدته: بانة، وثمره تشبه قرون اللّوبياء، إلاّ أنّ حضرتها شديدة، ولها حبٌ، ومن ذلك الحب يستخرج دهن البان، ينظر: "لسان العرب"، مادة: بان. والمعنى: لا سقى اللّه وادي المنحنى ولا أورق بان الحمى بعد رحيلهم.

في البيت جناس متشابه، ركنه الأوّل (أَوْ رَقَا) مركّب من جزأين أداة العطف (أَوْ)، والفعل الماضي (رَقَا) بمعنى عوّذه بالله، وركنه الثّاني (أَوْرَقَا) فعل ماضٍ بمعنى خرج ورقه، والمفصل الصّوتيّ يظهر في الرّكن الأوّل المركّب من جزأين (أَوْ + رَقَا) وذلك لبيان انفصال دلالتهما.

والأمر ينطبق على المثال الآتي [1]:

نَاظِرَاهُ فِيمَا جَنَى نَاظِرَاهُ أَوْ دَعَانِي أَمُتْ بِـــمَا أَوْدَعَانِي.

كلمة (أَوْ دَعَانِي) الأولى مركّبة من جزأين أيضاً، أداة العطف (أَوْ)، و (دَعَانِي) وهو فعل أمرٍ مبنيٍّ بمعنى (أُتْرُكَانِي)، فوجب الفصل بينهما بسكتةٍ مفصليةٍ تبيّن تجزؤ الكلام (أَوْ + دَعَانِي)، ممّا يساعد على بيان دلالته فلا تلتبس بدلالة كلمة (أَوْدَعَانِي) الثّانية، وهي فعل ماضٍ من (الإيداع)، "ولا يعدّ إسناد الفعل إلى الضمائر المتّصلة أو إضافة اسم إلى الضّمير تركيباً لذا فالجناس بين (نَاظِرَاهُ و نَاظِرَاهُ) جناسٌ مفردٌ [2].

3- إن اختلفا -خطّاً- سمي مفروقاً، كقول أبي الفتح البستي [3]:

كُلُّكُمْ أَخَذَ الجَامَ وَلاَ جَامَ لَنَا مَا الَّذِي ضَرَّ مُدِيرَ الجَامِ لَوْ جَامَلَنَا.

السّكتة بعد ميم (جَامَ) في صدر البيت مميّزة؛ إذ تبيّن دلالة كلمة (جَامَ لَنَا) الأولى، و(الجَامُ) هنا بمعنى الكأس أي: (لاَ كَأْسَ لَنَا)، من الثّانية والّتي تعني (عَامَلَنَا بِالجَمِيلِ).

ومثله قول الشاعر [4]:

لاَ تَعْرِضَنَّ عَلَى الرُّوَاةِ قَصِيـــدَةً مَا لَمْ تَكُنْ بَالَغْتَ فِي تَهْذِيبِهَـــا

[1] - "علم اللّسانيات الحديثة"، ص 379.

[2] - عبد الفتاح بسيوني، "علم البديع"، ص 238.

[3] - "نهاية الايجاز في دراسة الاعجاز"، ص 62. و "الايضاح في علوم البلاغة"، ص 93.

[4] - "الايضاح في علوم البلاغة"، ص 93.

وَإِذَا عَرَضْتَ الشِّعْرَ غَيْرَ مُهَذَبٍ   عَدُّوهُ مِنْكَ وَسَاوِسًا تَهْذِي بِهَـــا

الجناس بين (تَهْذِيبِهَـــا) و (تَهْذِي بِهَـــا)، وهما متشابهان لفظاً لا خطّاً، والكلمة الأولى مفردة، وهي بمعنى (تعديلها)، والثّانية مركّبة من جزأين توسطتهما السّكتة (تَهْذِي + بِهَـــا)، فزادت من بيانهما، وهما الفعل (تَهْذِي)، والجار والمجرور (بِهَـــا).

والكلام نفسه ينطبق على البيت الآتي؛ إذ يؤدّي المفصل دوره كفونيمٍ تحديديٍّ، فيبيّن جزءا الرّكن المركّب من الجناس، وكذا دوره التّمييزي يبين دلالة الرّكنان، وهما كلمتا (بِنَابِهِ)، و(بِنَا + بِهِ)، فالأولى مفردة وإن اتصل بها حرف الجر (بـــ) في أوّله وضمير الغائب (الهاء) في آخره، وهي بمعنى (بِأَنْيَابِهِ)، والثّانية مركّبة من جزأين (بِنَا) و (بِهِ) وكلاهما حرف جرٍ متّصلٍ بضميرٍ، والبيت يقول [1]:

عَضَّنَا الدَّهْرُ بِنَـــابِهِ   لَيْتَ مَا حَلَّ بِنَـــا بِه .

3 – الجناس الملفق:

يُخرِج علماء البلاغة القدامى الجناس الملفق من أضرب جناس التّركيب، ذلك أنّ جناس التّركيب ما كان أحد لفظيه مركّباً، "والجناس الملفق ما كان كلاّ ركنيه مركّباً من كلمتين [2]. فيما يعُدّه بعض المتأخرين من أضربه باعتبار جناس التّركيب ما كان كلّ لفظٍ من لفظيه مركّباً أو أحدهما مركّباً والآخر مفرداً [3]. غير أنّ المهمّ في بحثنا، الجناس الّذي تؤدّي السّكتة المفصليّة دوراً في بيان معانيه لا إلى أيّ نوعٍ ينتمي.

ومن أمثلة الجناس الملفق قول الشّاعر [4]:

---

[1] – أحمد مختار عمر، "دراسة الصّوت اللّغوي"، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط3، 1985م، ص 314.

[2] – عبد اللّطيف شريفي وزبير دراقي، "الإحاطة في علوم البلاغة"، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د،ط)، 2004م، ص 194.

[3] – عبد الفتاح بسيوني، "علم البديع"، ص 238.

[4] - عبد الفتاح بسيوني، "علم البديع"، ص 238.

وَكَمْ لِجِبَاهِ الرَّاغِبِينَ إِلَيْهِ مِنْ   مَجَالِ سُجُودٍ فِي مَجَالِسِ جُودٍ

ذكرنا أنّ هذا النّوع من الجناس كلا ركنيه مركّبين (مَجَالِ سُجُودٍ ، مَجَالِسِ جُودٍ)، فأوجب إيجاد سكتةٍ توضّح جزئي كلّ ركنٍ، فنتبيّن بها حدود الكلم من أجل الفهم الأوضح والأمثل لمعنى كلّ ركنٍ، وبالتّالي دلالة البيت عامّة؛ إذ تتموقع السّكتة بعد كسرة اللاّم في الرّكن الأوّل (مَجَالِ + سُجُودٍ) ، وبعد كسرة السّين في الرّكن الثّاني (مَجَالِسِ + جُودٍ)، وهي سكتة تمييزية، وكذا قول البستي [1]:

إِلَـــى حَتْفِي سَعَى قَدَمِي   أَرَى قَدَمِـــي أَرَاقَ دَمِي.

لفظا الجناس مركّبين من كلمتين (أَرَى قَدَمِي) و (أَرَاقَ دَمِي) ، فالأولى تعني: (أَرَى رِجْلِي)، فيما الثّانية فالمقصود منها: (أَهْدَرَ حَيَاتِي)، والمفصل الصّوتيّ هو المعين على فهم دلالة البّيت ببيانه حدود الألفاظ؛ إذ نجده بعد الألف المقصورة في الرّكن الأوّل (أَرَى + قَدَمِي) وبعد فتحة القاف في الرّكن الثّاني (أَرَاقَ + دَمِي) .

3 – المفصـــل الصّـــوتيّ في تناول القـــرّاء:

تعدّ دراسة القرّاء للمفصل الصّوتيّ من أهمّ الدّراسات العربيّة الّتي خصّته بالبحث الجادّ، لما له من أهمّيّةٍ بالغةٍ في فهم كلام اللّه ومعرفة مقاصده، سنحاول التّعرف عليه في هذه الدّراسة، على أن نتناول كلاًّ من السّكت والوقف القرآنيين.

3–1 – السّكت القرآني:

عرّف القرّاء وعلماء التّجويد السّكت القرآني إنطلاقـــاً من معناه اللّغويّ.

أ- تعريف السّكت القرآني:

السّكت القرآنيّ هو قطع الصّوت على الحرف القرآنيّ زمناً يسيراً أقلّ من زمن الوقف بقليلٍ من غير تنفسٍ بنية مواصلة القراءة، يقول السيوطي (ت911 هـــ): "السّكت

عبارة عن قطع الصّوت زمناً هو دون زمن الوقف عادة من غير تنفسٍ [1]. وهو يختلف طولاً وقصراً.

ب – المقدار الزمنيّ للسّكت القرآنيّ:

اختلف الأئمة في المقدار الزّمنيّ للسّكت، "فعن حمزة في السّكت على السّاكن قبل الهمز: سكتة يسيرة، وقال الأشناني: سكتة قصيرة، وقيل عن الكسائي [2]: سكت سكتة مختلسة من غير إشباعٍ، وقال أبو الحسن طاهر ابن غلبون [3]: وقفة يسيرة، وقال مكي: وقفة خفيفة، وقال ابن شريح: وقيفة... وقال ابن الفحّام: سكتة خفيفة.

ويسكت بعضهم على حروف الهجاء: "فيفصل بين كلّ حرفٍ منها بسكتةٍ يسيرةٍ، وقيل: ويقف على ص، وق، وطه وقفة يسيرة [4].

ويسكت بعضهم على البسملة، ويسكت بعضهم على آخر السّورة سكتة خفيفة من غير قطعٍ [4].

فأهل الأداء تباينت آرائهم في زمن تأدية السّكت، "وهم في مقداره بحسب مذاهبهم في التّحقيق [5] والحدر [6] والتوسّط [7] حسبما تحكم المشافهة [8].

---

[1]– "الإتقان"، 1/ 125.

[2] – علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي الكسائي، أحد القرّاء السبعة، المتوفى سنة (189 هـ)، وقد صنّف كتاب "الوقف والابتداء"، ينظر: ابن النّديم (أبو الفرج محمّد بن أبي يعقوب إسحاق الورّاق)، "الفهرست"، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت)، ص 54.

[3] – عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون بن المبارك أبو الطيب الحلبي، نزل مصر أستاذاً ثقة، توفي سنة (389 هـ)، ينظر: ابن الجزري، "غاية النهاية"، مكتبة المتنبي، القاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت)، 470/1.

[4]– "النّشر"، 193/1-194.

[5] – التّحقيق: هو الزيادة في تمكين حرف المدّ واشباعه. ينظر: الدّاني (أبو عمرو بن عثمان)، "التّحديد في الإتقان والتّسديد في صنعة التّجويد"، مطبعة الخانجي، مصر، (د،ط)، 1983م، ص377.

[6] – الحذر: هو تمكين حرف المدّ دون اشباعه. ينظر: "التّحديد"، ص 377.

[7] – التّوسط: هو الاعتدال، أي عدم المبالغة في إشباع الحرف، ينظر: "التّحديد"، ص 377.

[8] – "النّشر"، 1/ 194.

والاختلاف لم يقتصر على زمن تأدية السّكت فحسب، بل تعدّاه إلى المراد بكونه (دون تنفسٍ)، والاختلاف عند المتأخرين خاصّة، فمنهم من يرى المقصود من عبارة (دون تنفسٍ): قطع الصّوت زمناً قليلاً وعدم الإطالة، جاء في "النّشر" لابن الجزري أنّ: "الإشارة بقولهم (دون تنفسٍ) تعني عدم الإطالة المؤذنة بالإعراض عن القراءة، وكذا: قطع الصّوت زمناً قليلاً أقصر من زمن إخراج النّفس لأنّه إن طال صار وقفاً يوجب البسملة [4].

فيما يرى البعض الآخر أنّ المقصود من عبارة (دون تنفسٍ)، أي (دون مهلةٍ)، وليس المراد بالتّنفس هنا إخراج النّفس بدليل أنّ القارئ إذا أخرج نفسه مع السّكت بدون مهلةٍ لم يمنع من ذلك، فدلّ على أنَّ التّنفس هنا بمعنى المهلة [4].

فيما جعل بعضهم عبارة (دون تنفسٍ) تحمل معنيين: أحدهما يقصد بــه الفصل بين السّورتين لا السّكوت الّذي يقصد بــه القارئ التّنفس... ويحتمل أن يراد بــه سكوت دون السّكوت لأجل التّنفس أي أقصر منه... ويحتاج أن يعلم مقدار السّكوت لأجل التّنفس حتّى يجعل هذا دونه في القصر، ويعلم ذلك بالعادة وعرف القرّاء [4].

هذه معظم آراء المتأخرين الّتي أوردها ابن الجزري في السّكت ومقداره الزّمني، وكونه مصحوباً بالتّنفس من عدمه، وفي الختام يرجح رأي المتقدّمين باعتباره الرأي الصّائب؛ إذ يقول: "الصّواب حمل (دون) من قولهم (دون تنفسٍ) أن تكون بمعنى (غير) كما دلّت عليه نصوص المتقدّمين، وما أجمع عليه أهل الأداء من المحقّقين من أنّ السّكت لا يكون إلاّ مع عدم التّنفس سواء قلّ زمنه أو كثر، وحمل كلمة (دون) في عبارتهم (دون تنفسٍ) على معنى أقل خطأ... ذلك أنّ زمن إخراج النّفس وإن قلّ لا يكون أقلّ من زمنٍ قليل السّكت [1].

ويبيّن ابن الجزري عدم جواز التّنفس في وسط الكلمة، "كالتّنفس على السّاكن في نحو: الأرض والآخرة وقرآن ومسئولاً – إذ أنّ ذلك – ممنوع اتفاقاً كما لا يجوز التّنفس

[1] - "النّشر"، 1/ 194-195.

على السّاكن في نحو: الخالق، والبارئ، وفرقان، ومسحوراً؛ إذ التّنفس في وسط الكلمة لا يجوز، ولا فرق بين أن يكون بين سكونٍ وحركةٍ أو بين حركتين [1].

أمّا من قال إنّ القارئ إذا أخرج نفسه مع السّكت بدون مهلةٍ لم يمنع من ذلك إجماعاً؛ إذ لا يجوز التّنفس في أثناء الكلم كما قدمنا، وإن أراد السّكت بين السّورتين فهو جائز باعتبار أنّ أواخر السّور في نفسها تمام، يجوز القطع عليها والوقف فلا محذور من التّنفس، ولكن في مثل (عِوجًا) [1] و(مرقدنا) [2] السّكت من غير مهلةٍ، فلو تنفس لم يكن ساكتاً ولا واقفاً، فالوقف يشترط فيه التّنفس مع المهلة، والسّكت لا يكون معه تنفس [3].

والصّحيح أنّ السّكت مقيّدٌ بالسّماع والنقل، فلا يجوز إلاّ فيما صحّت الرواية بـــه لمعنى مقصودٍ بذاته، وقيل أنّه جائز في رؤوس الآي مطلقاً وحال الوصل لقصد البيان [4].

ج – **ما يسكت عليه:** بعدما تعرّفنا على السّكت عند القراء، وجب بيان ما يسكت عليه؛ إذ لا يجوز السّكت إلاّ على ساكنٍ، إلاّ أنّه لا يجـــوز السّكت على كلّ ساكنٍ [4].

ما يُسكت عليه من السّاكن نوعان: ساكنٌ يكون بعده همزة، فيسكت عليه لبيان الهمز وتحقيقه، أو لا يكون بعده همز، وإنّما يسكت عليه لمعنى غيره.

1 – النّوع الأوّل: السّاكن بعده همز إمّا أن يكون هو والهمز في كلمةٍ واحدةٍ وهو السّاكن المتّصل، أو يكون آخر كلمةٍ والهمز أوّل كلمةٍ أخرى، وهو السّاكن المنفصل[5] .

وكلٌّ من السّاكن المتّصل والمنفصل إمّا يكون حرف مدٍّ أو غير حرف مدٍّ.

[1]– "سورة الكهف"، الآية:1.
[2]– "سورة يس"، الآية: 52.
[3] – "النّشر"، 1/ 195.
[4] – نفسه ، 1/ 333.
[5] - "النّشر"، 333/1.

أ- فالسّاكن المنفصل بغير حرف المـــدّ: مثل: ﴿ مَنْ آمَنَ ﴾ [1]، ﴿ ابْنَيْ آدَمَ ﴾ [2]، ﴿ فَحَدِثْ أَلَمْ نَشْرَح ﴾ [3] ونحو: الأرض، الآخرة، الإيمان، وما كان بلام المعرفة وإن اتصل خطّاً.

ب- السّاكن المتّصل بغير حرف المدّ: نحـــو: ﴿ القُرْآن ﴾ [4]، ﴿ الظَّمْآنُ ﴾ [5]، ﴿ شَيْءٍ ﴾ [6]، ﴿ مَسْئُولاً ﴾ [7] ، ﴿ بَيْنَ الْمَرْءِ ﴾ [8] ، ﴿ دِفْءٌ ﴾ [9]" [10].

ج – السّاكن المنفصل بحرف المـــدّ: مثالـــه: ﴿ بِمَا أَنْزَلَ ﴾ [11] ، ﴿ قَالُوا آمَنَّا ﴾ [12]، ﴿ فِي آذَانِهِمْ ﴾ [13]، ﴿ يَا أَيُّهَا ﴾ [14]، ﴿ يَا أُولِي ﴾ [15]، ونحوه ممّـــا كان مع حرف النّداء والتّنبيه، وإن اتصل في الرّسم أيضاً [16].

[1]- "سورة البقرة"، الآية: 62.

[2]- "سورة المائدة"، الآية: 27.

[3]- آخر الضحى وأوّل الشّرح.

[4]- "سورة الإسراء"، الآية: 9 و "سورة النّمل": الآية: 76 ونحوه.

[5]- "سورة النّور"، الآية: 39.

[6]- "سورة النّمل"، الآية: 91 ونحوه.

[7]- "سورة الإسراء"، الآية: 34.

[8]- "سورة البقرة"، الآية: 102 و "سورة الأنفال": الآية: 24.

[9]- "سورة النّحل"، الآية: 5.

[10] – "النّشر"، 1/ 333.

[11]- "سورة البقرة"، الآية: 91.

[12]- نفسها، الآية: 14.

[13]- نفسها، الآية: 19.

[14]- نفسها، الآية: 21.

[15]- نفسها، الآية: 179.

[16] – "النّشر"، 1/ 333.

د – <u>السّاكن المتّصل بحرف المدّ</u>: مثاله: ﴿ **أُولَئِكَ** ﴾ [1]، ﴿ **وَالسَّمَاءَ بِنَاءً** ﴾ [2]، ﴿**وَجَاءُوا** ﴾ [3]، ﴿ **يُضِيءُ** ﴾ [4]، ﴿ **هَنِيئًا مَرِيئًا** ﴾ [5]" [6].

2 – <u>النّوع الثّاني:</u>

الّذي لا يكون بعده همز، فلا يسكت عليه قصد تحقيق الهمز، إنّما لمعنى غير ذلك، فهو أصلٌ مطّردٌ وأربع كلماتٍ [7].

أ- **<u>الأصــل المطّــرد</u>** : حروف الهجــاء الــواردة في فواتــح السّــور نحو : ﴿ **الــم** ﴾ [8]، ﴿ **الــر** ﴾ [9]، ﴿ **كهيــعــص** ﴾ [10]، ﴿ **طــه** ﴾ [11]، ﴿ **طسم** ﴾[12]، ﴿**طــس** ﴾ [13]، ﴿ **ص** ﴾ [14]، ﴿ **ن** ﴾ [15]، يُسكت على كلّ حرفٍ منها، ويلزم من سكته إظهار المدغم منها والمخفيّ، وقطع همزة الوصل بعدها ليبيّن بهذا السّكت أنّ الحروف كلّها ليست للمعاني كالأدوات للأسماء والأفعال، بل هي مفصولة وإن اتصلت رسماً. وفي كلّ واحدٍ منها سرٌّ من أسرار الله تعالى الذي استأثر الله تعالى بعلمه.

---

[1]– "سورة البقرة"، الآية: 5.

[2]– نفسها ، الآية: 22.

[3]– "سورة يوسف"، الآية: 16.

[4]– "سورة النور"، الآية: 35.

[5]– "سورة النّساء"، الآية: 4.

[6] – "النّشر"، 1/ 333.

[7] – نفسه، 1/ 337.

[8]– "سورة البقرة"، الآية: 1 ونحوه.

[9]– "سورة يونس"، الآية:1ونحوه.

[10]– "سورة مريم"، الآية: 1.

[11]– "سورة طه"، الآية: 1.

[12]– "سورة القصص"، الآية: 1.

[13]– "سورة النّمل"، الآية: 1.

[14]– "سورة ص"، الآية: 1.

[15]– "سورة القلم"، الآية: 1.

وأوردت مفردة من غير عاملٍ ولا عاطفٍ، فسكّنت كأسماء الأعداد إذا وردت من غير عاملٍ ولا عطفٍ، فنقول: واحد، اثنين، ثلاثة، أربعة، هكذا [1].

ب- **الكلمات الأربع**: الّتي ورد السّكت فيها هي:

- "عِوَجَا" في قوله تعالى: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا** ﴾ [2] بالسّكت على الألف المبدلة من التّنوين.

ثمّ يستأنف بقوله: ﴿ **قيّماً لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ** ﴾ [3]، والغرض من السّكت في في الآية الكريمة بيان أنّ (قَيِّمًا) بعده ليس متّصلاً بما قبله في الإعراب، فيكون منصوباً بفعلٍ مضمرٍ تقديره: (أنزله قيّما) فيكون حالاً من الهاء في أنزله [4].

- "مَرْقَدِنَا" في قوله تعالى: ﴿ **يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا** ﴾ [5] بالسّكت على الألف ثمّ يقول: ﴿ **هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ** ﴾ [5]، وذلك لبيان أنّ كلام الكفار قد انقضى، وأنّ قولــه: ﴿ **هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ** ﴾ ليس من كلامهم، فهو إمّا من كلام الملائكة أو من كلام المؤمنين [6].

- السّكت على (من) في قولــه: ﴿ **مَنْ رَاقٍ** ﴾ [7] وعلى لام (بل) في قولــه سبحانه: ﴿ **كَلاَّ بَلْ رَانَ** ﴾ [8] قصد بيان اللّفظ ليظهر أنّهما كلمتان [9]، ذلك أنّ النّون واللاّم تنقلبان راءً بعد إدغامهما فيها، فيذهب لفظ اللاّم والنّون.

---

[1] – النّشر"، 1/ 337.

[2]– "سورة الكهف"، الآية: 1.

[3]– نفسها، الآية: 2.

[4] –"النّشر"، 1/ 337– 338.

[5]– "سورة يس"، الآية: 52.

[6] – "النّشر"، 1/ 337– 338.

[7]– "سورة القيامة"، الآية: 27.

[8]– "سورة المطففين"، الآية: 14.

[9] – "النّشر"، 1/ 337– 338.

3-2- الوقف القرآني:

علم الوقف كما وصفه الزَّركشي (ت794 هـــ) "فنٌّ جليلٌ – فبـــه – تعرف كيفية أداء القرآن؛ إذ يترتب عليه فوائد كثيرة، واستنباطات غزيرة، وبه تتبيّن معاني الآيات، ويؤمن الاحتراز عن الوقوع في المشكلات [1].

أ- تعريف الوقف القرآنيّ:

يعرّفه ابن الجزري تعريفاً صوتيّا؛ إذ يقول: "الوقف عبارة عن قطع الصّوت على الكلمة زمناً يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة، إمّا بما يلي الحرف الموقوف عليه أو بما قبله لا بنية الإعراض، وتنبغي البسملة معه في فواتح السّور... ويأتي في رؤوس الآي وأوساطها، ولا يأتي في وسط الكلمة، ولا فيما اتصل رسماً، ولا بد من التّنفس معه [2].

ب- أنواع الوقف القرآنيّ:

اختلف علماؤنا في أقسام الوقف، وأكثرهم على أنّها أربعة أقسامٍ: تامّ مختار، وكاف جائز، وحسن مفهوم، وقبيح متروك [3]. متّبعين أئمة القراءة، أو مقتدين بأثر النّبي صلّى الله عليه وسلّم، كالوقف على رؤوس الآي؛ إذ روي عن أم سلمة أنّها قالت لما سئلت عن قراءة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنّه كان يقطع قراءته آية آية [4].

1- **الوقف التّــام:** هو الوقف المستقلّ، يحسن الوقف عنده والابتداء بـــما بعده، لأنّه لا يتعلّق بشيءٍ ممّا بعده، ولا بعده بـــه، وذلك يوجد عند تمـــام القصص وانقضاء الكلم وأكثر ما يكون على رؤوس الآي [5]، كقوله تعالـــى: ﴿ **وَأُولَئِكَ هُمُ**

1- "البرهان"، 1/ 241.

2- "النّشر"، 1/ 193.

3- "الإتقان"، 1/ 119.

4- ذكره السيوطي بسنده في "الإتقان"، 1/ 125.

5- "التّحديد"، ص 382.

الْمُفْلِحُونَ ﴾ [1]؛ حيث يراعى فيها النّظر في معاني الآيات، وتفادي تجزؤ المعنى الواحد، وتحاشي البدء بما يفسد المعنى ويقطع من أوصال الآية [2].

وقد يأتي بعد آيةٍ أو أكثر، فيوجد قبل انقضاء الفاصلة كقوله: ﴿ **لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي** ﴾ [3] هذا آخر قول الظالم، وتمام الفاصلة من قوله تعالى: ﴿ **وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً** ﴾ [5]، كما قد يوجد التّـــامّ بعد انقضاء الفاصلة بكلمةٍ كقولــــه: ﴿ **لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا، كَذَلِكَ** ﴾ [4] آخر الفاصلة (سترا) والتّامّ (كذلك)، وقوله: ﴿ **وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ، وَبِاللَّيْلِ** ﴾ [5] آخر الآية (مصبحين) والتّمام (وباللّيل)، لأنّه عطف على المعنى، تقديره: مصبحين ومليلين [6].

2- **الوقف الكافي**: هو الّذي انفصل ممّا بعده في اللّفظ، وله به تعلّق في المعـــنى بوجهٍ [8]، والوقف الكافي يكثر في الفواصل وغيرها نحو: ﴿ **وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ** ﴾ [7]، وقوله: ﴿ **يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ [8] هذا كلامٌ مفهومٌ كافٍ، والّذي بعده كلامٌ مستقلٌ مستغنٍ عمّا قبله في اللّفظ، وإن اتصل معنًى [9].

3- **الوقف الحسن**: هو الّذي يحسن الوقوف عليه، ولا يحسن الابتداء بما بعده، لتعلّقه بــــه في اللّفظ والمعنى [10]؛ إذ يفصل بين عبارتين تتصل كلٌّ منهما في اللّفظ وفي سياق الموضوع، غير أنّ الجملة الأولى مفيدةٌ بنفسها، أمَّا الثّانية فغير مفيدة بنفسها، ولا يتمّ معناها

[1]– "سورة آل عمران"، الآية: 104.
[2]– محمّد عيد شبابك، "الفاصلة القرآنية بين المبنى والمعنى"، دار حراء، القاهرة، مصر، ط1، 1993م، ص 157.
[3]– "سورة الفرقان"، الآية: 29.
[4]– "سورة الكهف"، الآيتان: 90 –91.
[5]– "سورة الصّافات"، الآيتان: 137 – 138.
[6]– "التمهيد"، ص 77 – 79.
[7]– "سورة البقرة"، الآية: 3.
[8]– "سورة البقرة"، الآية: 9.
[9]– "التمهيد"، ص 79.
[10]– "البرهان"، 1/ 247.

إلاّ بالرّبط بالجملة الأولى لوجود الرّابط اللّفظيّ، مثاله: قوله تعالى: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [1]، فالوقف على (الحَمْدُ لله) حسنٌ لأنّها جملة مفيدة بذاتها، أمّا الابتداء بـــ (رَبِّ العَالَمِينَ) لا يحسن لوجود الرّابط اللّفظيّ لأنّ كلمة (ربّ) صفة والموصوف هو (لله)؛ فلا يمكن الفصل بين الصفة والموصوف، فيجب على القارئ إن فصل وأراد الابتداء بالثّانية، عليه إعادة الجملة الأولى [2].

4- **الوقف القبيح**: يفصل بين عبارتين اشتد تعلّقهما في اللّفظ والمعنى؛ فلا تستغني واحدة عن الأخرى، فلا يجوز تعمّد الوقف عليه إذا غيّر المعنى أو نقصه [3]، فنقص المعنى كقولك: (**بسم**) [4] فهذا لا يفيد معنى، أمّا تغييره فكقولك: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي** ﴾ في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [5]، وكقولك: ﴿ **وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ** ﴾ في قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ** ﴾ [6]، فيجب أن يحذر ويحترز منه [7].

وهذا النّوع من الوقف يسمّيه الدّاني "وقف الضرورة لتمكّن انقطاع النّفس عنده [8]، فاستحب أهل الأداء إن حصل ذلك أن يرجع القارئ إلى ما قبله فيصله بما بعده فإن كان بشعاً لا يبتدئ به، مثلاً الوقف على: ﴿ **عُزَيْرٌ ابْنُ** ﴾ [9]، فلا يبتدئ بـــ (عُزَيْر) ولا بـــ (اِبْنُ) (اِبْنُ) بل بـــ: ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ** ﴾ [2] فقس على هذه الأمثلة ما شاكلها [10]. فالوقف مرتبطٌ

---

[1]- "سورة الفاتحة"، الآية: 1.

[2]- "الوقف القرآني وأثره في التّرجيح عند الحنفية"، ص 21-22.

[3]- "التّمهيد"، ص 82.

[4] - "سورة الفاتحة"، الآية:1.

[5]- "سورة المائدة"، الآية: 51.

[6]- "سورة النّساء"، الآية: 11.

[7]- "دلالات الظّاهرة الصّوتيّة في القرآن الكريم"، ص 98.

[8]- "التّحديد"، ص 383.

[9]- "سورة التوبة"، الآية: 30.

[10]- "التّمهيد"، ص 82.

أشدّ الارتباط بالابتداء؛ إذ يقال: "علم الوقف والابتداء"، فلا يجوز الكلام عن الوقف دون الإشارة إلى الابتداء.

ج – تعريف الإبتداء:

عرّفه الجرجاني (ت816 هـــ) بقوله: الابتداء هو أوّل جزء من المصراع الثّاني [1].

أمّا العلماء المتقدّمين في هذا الفن فلم يعرّفوا الابتداء تعريفًا اصطلاحيًّا، وربّما كان السّبب في ذلك أنّ الوقف كان شغلهم الشاغل، لما له من أثرٍ بالغٍ في توجيه الدّلالة وبيان المراد من الآيات الكريمة، فاختلفوا في تعريفه وأقسامه، بخلاف الابتداء فإنّه يكون بمحض إرادة القارئ. فيما استنبط عبد الكريم إبراهيم تعريفاً اصطلاحيّاً له جعله الإمام ابن الجزري ضمناً في تعريفه للوقف، وهذا الأخير عبارةٌ عن قطع الصّوت زمناً يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة [2]، وبذلك يكون تعريف الابتداء اصطلاحاً:

هو استئناف القراءة بعد الوقف، أو الشروع في التّلاوة بعد قطعٍ أو وقفٍ، فإن كان بعد قطعٍ فعلى القارئ عند الشروع في التّلاوة أن يستعيذ ويبسمل، سواء كان في أوائل السّور أو أوساطها [3].

د – أنواع الابتداء:

الابتداء على حدّ قول السيوطي لا يكون إلاّ اختيارياً، لأنّه ليس كالوقف تدعو إليه ضرورة فلا يجوز إلا بمستقلٍ بالمعنى موفٍ بالمقصود، وهو في أقسامه كأقسام الوقف الأربعة ويتفاوت تماماً وكفايةً وحسناً وقبحاً.

[1]- الجرجاني، "التعريفات"، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت)، ص7.

[2]- "النّشر"، 193/1.

[3]- "الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم"، ص 19، 20.

ففساد المعنى وإحالته، نحو الوقف على: ﴿ **خَتَمَ اللَّهُ** ﴾ [1] قبيحٌ والابتداء باللّه أقبح، والوقف على: ﴿ **عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ** ﴾ [2] و ﴿ **الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ** ﴾ [2] قبيحٌ والابتداء بـــ (اِبْنُ) أقبح وبـــ (عُزَيْر) و (المَسِيحُ) أشـــدّ قبحاً، وقد يكون الوقف حســـناً والابتداء بـــه قبيحاً نحـــو: ﴿ **يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ** ﴾ [3] الوقف عليه حسن والابتداء بـــه قبيحٌ لفساد المعنى؛ إذ يصير تحذيراً من الإيمان باللّه، وقد يكون الوقف قبيحاً والابتداء حميداً، نحو: ﴿ **مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا** ﴾ [4] الوقف على هذا قبيحٌ لفصله بين المبتدأ وخبره، ولأنّه يوهم أنّ الإشارة إلى المرقد والابتداء بهذا كافٍ أو تامٍّ لاستئنافه [5].

فأقسام الوقف والابتداء مرتبطة بمعنى الآيات القرآنية، يقول إبراهيم أنيس: "مرجع أنواع الوقف والابتداء النّظر في معاني الآيات، وتفادي تجزئة المعنى الواحد، وتفادي البدء بما يفسد المعنى، ويقطع من أوصال الآية الواحدة، غير أنّ القرّاء في تخير هذه المواضع كانوا يجتهدون، فأحياناً يقفون على موضعٍ خاصٍّ، وفي بعض الأحيان يتميّز أحدهم بموضع يراه مناسباً لفهمه وتفسيره للآية الكريمة، وهكذا نرى أنّه يترتب على تعدد التّفاسير في بعض الأحيان تعدد مواضع الوقف عند الآية الواحدة [6].

4- مفهوم المفصل الصّوتيّ في تناول الفلاسفة:

أسهم الفلاسفة المسلمين بعلمهم وثقافتهم في شتّى الميادين، فأفادوا الدّراسات اللّغوية عامّةٍ، والدّرس الصّوتيّ خاصّة بإسهاماتٍ مميّزةٍ، لكن لم يتسنّ لنا الإطلاع على

[1]- "سورة البقرة"، الآية: 7.
[2]- "سورة التوبة"، الآية: 30.
[3]- "سورة الممتحنة"، الآية:1.
[4]- "سورة يس"، الآية: 52.
[5]- "الإتقان"، 122/1.
[6]- إبراهيم أنيس، "من أسرار اللّغة"، مكتبة الأنجلو مصرية، ط7، 1985م، ص 220.

آثارهم وما حوتـــه من آراءٍ هامّةٍ نظراً لندرتها، فكانت دراساتهم في الميدان متنوّعة من الدّراسة الأصواتيّة إلى الدّراسة الوظيفيّة.

وفن الكلام أو الخطابة من العلوم الّتي استهوت الفلاسفة للبحث فيه، وبيان ما يزيد من جماله وحليته، فجاء حديثهم عن المفصل الصّوتيّ ضمن هذا الفن لما له من أهميّةٍ كبيرةٍ في القراءة والكتابة؛ إذ يفصل بين مقاطع الكلام وحدوده، فالمعنى إذا انقضى يجب أن يفصل عمّا يليه. وقد تفطن الفلاسفة إلى هذا الدّور الهامّ، والّذي يتأتى بوسيلتين:

أولاهما: استعمال علامات للاتصال والانفصال [1] في الكلام المكتوب، وإن كان هذا العلم متأخرٌ نوعاً ما في العربيّة وهو ما أشار إليه اِبن رشد في وصيته السّادسة؛ إذ يقول: "ينبغي أن يكون الكلام ممّا يسهل تفهم معناه في وقت قراءته بأن تكون فيه علامات للاتصال والانفصال، وذلك شيءٌ لم يوضع بعد في خط لسان العرب، وهو موجودٌ في كثيرٍ من خطوط سائر الأمم [2].

فعلامات الاتصال والانفصال تساعد على بيان ما اتصل من الجمل وما انفصل، فيسهل علينا تفهم معانيها وبيان دلالاتها، "فالكلام إذا لم يحو علامات للاتصال والانفصال فإنّه يكون كثير الرباطات، فتتشابك معانيه وتتداخل، فيعرف بالكلام المعقّد. فلا تتبين في بعض الأحيان إذا كانت بعض الكلمات تنتمي إلى ما سبقها من كلامٍ أو إلى ما يليها، كقول القائل: "إنّ هذه الكلمة إذا كانت بالدّيمومة تكون للرّجل الحكيم، فإنّ قولنا "بالدّيمومة" يحتمل أن يكون من صفة الكلمة حتّى يكون تقديره ذلك أنّ هذه الكلمة إذا كانت بالدّيمومة فإنّها تكون للرّجل الحكيم، ويحتمل أن يكون قولنا "بالدّيمومة" من صفة الرّجل الحكيم فلا

[1] – علامات الاتصال والانفصال تعرف في الدّرس الحديث بعلامات التّرقيم.

[2] – "تلخيص الخطابة، ص 276 – 277.

يكون القول تامّاً ويحتاج إلى جوابٍ، ويكون التّقدير أنّ هذه الكلمة إذا كانت للرّجل الحكيم بالديمومة فيحتاج إلى خبرٍ، وسبب هذا الإشكال عدم علامة الاتصال والانفصال [1].

فالكلام إذا كان تامّاً في مبناه ومعناه انتهى بوقفةٍ كاملةٍ، والّتي تصاحبها نغمة هابطة، وتمثل في الكلام المكتوب النقطة [.]، فيما لو كان الكلام غير تامٍّ بناء ومعنى، كانت الفاصلة هي الّتي تربط ما يسبقها من كلامٍ بما يلحقها، والّتي تكون مصحوبة بنغمةٍ صاعدةٍ دليلاً على عدم تمام المعنى.

فالفصل أساسيٌّ لفهم الكلام إلاّ أنّه في بعض الحالات لا يجب الفصل بين بعض العبارات، وهو ما جعله المحدثين من المواضع الّتي لا يجوز الوقف أو السّكت عليها، كأن نفصل بين المبتدأ وخبره، أو بين الفعل وفاعله أو بينهما وبين المفعول، وكذا بين النعت ومنعوته... إلى غيرها من التّراكيب؛ إذ أنّ معانيها تستلزم ألاّ يفصل بينها لا بعلامات الانفصال ولا بعباراتٍ تشتت ذهن من يستمع إليه، فيصعب تفهم معانيه كأن يقصد أن يدخل المخبِر بين الخَبَر والمخبَر عنه كلاماً كثيراً: مثل قولك: إن كنت مزمعاً حين تكلّمت فكان ها هنا كذا وكذا بحال كذا وكذا على أن أفعل كذا يريد أنّي كنت حين تكلّمت مزمعاً أن أفعل كذا. فإدخال مثل هذا في الوسط ممّا يعسر بـــه تفهم المعنى [1].

وثاني الوسائل الّتي نصّ الفلاسفة على استخدامها قصد فصل المعاني هي: فسحات زمنية يفصلون بها بين الألفاظ لزيادة الفهم، ذلك أنّ الأقاويل الّتي ليست بينها نبرات أنّها قليلة الإقناع وذلك لسببين:

أمّا أحدهما فلأنّ الألفاظ إذا لم يكن بينها فصول زمانية عسر فهم تلك المعاني، لأنّها إذا وردت مشافعةً في الذهن لم يتمكن الذّهن من فهم واحدٍ منها حتّى يرد عليه أخر، شبيه ما يعرض لمن يحب أن يتناول شيئاً من أشياءٍ سريعة الحركة فإنّه لا يتمكن منهـــــا،

[1]- "تلخيص الخطابة، ص 276 – 277.

وأمّا الثّاني فإنّ القول يكون بها غير لذيذ المسموع لأنّه إنّما يلتذ السّامع بالنبرات والوقفات الّتي بين أجزاء القول [1]. فإن لم تكن فسيصبح القول مملولاً.

وهذه الفسحات الزّمنية عبارة عن سكتاتٍ ووقفاتٍ بين وحدات الكلام المعجمية وأجزاءه قصد بيان معانيه، فالكلام إذا لم يحو فصولاً زمانية تفصل وتبيّن أجزاءه عسر فهم معانيه، ذلك أنّ غيابها يجعل الكلام سريعاً فلا يتمكن الذّهن من فهم كلمةٍ حتّى ترد عليه أخرى، فتتداخل الوحدات المعجميّة فيما بينها وتتشابك الجمل والعبارات، فتأتي هذه الفسحات الزّمنية لفصل الكلام وبيان مقاصده.

والفسحات الزّمنية تطابق بوظيفتها مفهوم المفصل الصّوتيّ في الدّرس الحديث، فقد عرّفه « hartman» بأنّه سكتة خفيفة بين كلمات عدة أو مقاطع قصد التّحديد والانتهاء في التّركيب أو المقطع وابتداء تركيبٍ أو مقطعٍ آخر [2].

فالفلاسفة عرفوا المفاصل الصّوتيّة وإن لم يعبـــروا عنها بمصطلحها الحديث، فاستعملوا مصطلح الفسحات الزّمنيّة للدّلالة على مفهومها، كما عبروا عنها بمصطلحاتٍ أخرى كالوقفات والسّكنات والنّبرات والّتي تقترب من بعض مصطلحات الدّرس الحديث، فالوقوفات تقترب من الوقفات، والّتي تستعمل للدّلالة على أحد أقسام المفصل الصّوتيّ في العربيّة إضافةً إلى السّكتات والاستراحات، أمّا السّكنات والنّبرات فتخصّ الأمم الأعاجم، والأزمنة تختلف باختلاف اللّغات والأمم، يقول ابن رشد: الأزمنة ربّما كانت سكناتٍ ووقوفاتٍ على ما عليه الأمر في أوزان العرب، وربّما كانت مركّبة من سكنات ونبرات على ما عليه الأمر في أوزان سائر الأمم [3].

---

[1] – "تلخيص الخطابة"، ص 284.

[2] - Hartman , dictionary of language and linguistics, r, r, k, and storke, f, c, London, 1972, p 121.

[3] – "تلخيص الخطابة"، ص 283– 285.

واشترط الفلاسفة ألاّ تحدث هذه الفسحات الزّمنية إيقاعاً، فينتقل القول من فن الخطابة إلى فن الشعر، فالكلام الخطبي ينبغي أن يكون غير ذي وزنٍ – أي – ألاّ تكون الأزمنة الّتي بين أجزاء المقاطع أزمنة يحدث منها إيقاعٌ وزنيٌّ [1].

وقد قسّم ابن رشد الأقاويل المركّبة – أي الكثيرة الرباطات – إلى ثلاث أصنافٍ [1]، وذلك حسب الأزمنة الّتي تفصل بينها:

– أقاويلٌ موزونةٌ، وهي الّتي يجتمع فيها الإيقاع والعدد، يعني أن تكون الأزمنة الّتي بين أجزائها تحدث إيقاعاً وزنيّاً مع تساوي حروف المقاطع.

– أقاويل لا يكون بين ألفاظها أزمنةٌ، فتنتهي بها كلّ لفظةٍ عند السّامع أو علاماتٍ تدلّ على ماهيتها، وهذا هو الّذي يعرّفه أرسطو باللّفظ السّخيف.

– أقاويل تكون بين ألفاظها المفردة أقوالٌ تنهيها عند السّامع و تفصلها، وذلك إمّا بسكناتٍ أو نبراتٍ، وهذه النّبرات لا تجعل القول موزوناً لأنّها بين الألفاظ، بينما النّبرات الّتي بين المقاطع والأرجل هي الّتي تحدث إيقاعاً مع العدد؛ إذ ينبغي أن تكون في القول الخطبي بقدر ما تتمكّن النّفس من فهمه، فمن الأقاويل ما يباعد بين أجزائها، ومنها ما يتطلب إبعاداً أكثر فصنفها أربعة نبراتٍ [1].

– نبرات تستعمل في إبعاد ما بين المقاطع والأرجل، وهي الّتي تخصّ الوّزن الشّعري، فيكون القول بها موزوناً.

– نبرات تستعمل في إبعاد ما بين الحروف وتخصّ الأغاني.

– نبرات تستعمل في إبعاد مابين الألفاظ المفردة.

– نبرات تستعمل في إبعاد ما بين الأقاويل، والأقاويل صنفان: منها قصار، ومنها طوال، ومنها التّام ومنها غير التّامّ، والتّامّ منها أوّل: وهو القول الجازم والأمر والنّهي وسائر

[1] – "تلخيص الخطابة"، ص 283- 285.

ما يدخل تحتها، ومنها ثوان، وهي الخطب، وهذه الأخيرة لها نبراتها الخاصّة، عدّها ابن رشد ثلاث نبرات تستعمل [1]:

- في نهاية الألفاظ المفردة، والأقاويل القصار الّتي تقرب من الألفاظ المفردة.
- في أطراف الأقاويل التّامة بالوجه الثّاني أو في أنصافها أعني في أجزاء الخطبة الكبرى.
- في نهاية الأقاويل القصار الّتي هي أجزاء الأقاويل الطوال، وهذه النّبرات تستعمل في فصل قولٍ من قولٍ على أن تكون هذه الأقاويل تامّة، أي لا يتعلق معنى الواحدة بالأخرى، وذلك من أجل الفهم الأمثل، "وهذا الصّنف من النّبرات هو قليلٌ كان إنّما يقع في نهايات الأقاويل القائمة بأنفسها، وهذه فيما أحسب هي الّتي تسمّى عند العرب مواضع الوقف. فإنّ العرب إنّما تستعمل أكثر ذلك عوض النّبرات، وقفات [1].

وينبّه ابن رشد إلى أنّه ينبغي على الخطيب أن يتوخى الحذر عند استعماله هذه النّبرات لئلا يصير الكلام موزوناً، ذلك أنّ النّبرات الّتي تستعمل في نهاية الأقاويل القصار جداً، والألفاظ المفردة تضارع الكلام الموزون لقرب مساواة الألفاظ المفردة والأقاويل القصار للمقاطع والأرجل [1].

وينهي ابن رشد حديثه بقوله: "ينبغي أن يعتمد في نهاية الكلام المكتوب إذا تلي على الفصول الّتي في الخطّ، بل إنّما ينبغي أن يعتمد على النّبرات الفاصلة وينطق بها حتّى تتبيّن نهايات القول [1]، أي أنّ علامات الاتصال والانفصال تخصّ الكلام المكتوب فيما النّبرات فتخصّ الكلام المنطوق والمتلوّ.

بعدما بيّنا ماهية المفصل الصّوتيّ في التراث اللّغويّ القديم، سنعرج على الدّرس الحديث لنرى تناول المحدثين له.

---

[1] - "تلخيص الخطابة"، ص 285- 287.

ثانياً: المفصل الصّوتيّ عند المحدثين وأثره في الدّلالة:

توجد في العديد من اللّغات ظواهر صوتيّة تؤدّي وظائف مختلفة، منها ما تساهم بنبرها في بيان معنى المفردات والجمل، فيما تساعدنا بعضها على تمييز أنماط التّراكيب والتّفريق بين أصنافها النّحويّة المختلفة وذلك بتنغيمها، وأخرى تشير إلى نهايات المقاطع والكلمات والجمل، وذلك بما توفّره هذه الظّواهر من وسائل تبيّن لنا متى ينتهي عنصر ومتى يبتدئ لاحق بـــه، وهذه الوسائل تعرف بالمفاصل (Les jonctions)، سنحاول بيان مفهومها، ووظيفتها، وأنواعها في الدّرس اللّسانيّ العربيّ والغربيّ.

1- المفصل الصّوتيّ في الدّرس اللّسانيّ الغربيّ:

عُرف المفصل الصّوتيّ في الدّرس اللّسانيّ الغربيّ بمصطلح (juncture)، أو الانتقال (Transition) [1]، أو كما سمّاه فرانسوا ديـــل "François Dell" بالحـــدود (Les frontières) [2].

1-1 تعريف المفصل الصّوتيّ:

المفصل (Juncture) أو الانتقال (Transition) عبارة عن سكتةٍ خفيفةٍ بين كلماتٍ أو مقاطع في حدثٍ كلاميٍّ بقصد الدّلالة على مكان انتهاء لفـــظٍ ما أو مقطـــعٍ ما وبداية آخـــر [3].

فيما يعرفه جون دوبـــوا « Jean Dubois » بأنّه: "الحـــدّ اللّسانيّ بين مورفيمين،

[1] – "أسس علم اللغة"، ص 95.

[2] - François Dell, « Les règles et les sons : introduction à la phonologie générative », édition Hermann, paris, 2ème édition, 1996, p 38.

[3] – "أسس علم اللغة"، ص 95.

تركيبين، مقطعين، أو جملتين، وظيفته تعيين حدود الوحدات [1]؛ فالمفصل يساعد على بيان بداياتـــها ونهاياتـــها.

1- 2 – رموزه وعلاماته:

يشار إلى المفصل في الكتابة عادة بترك فراغٍ في الكتابة، يقول فرانسوا ديـــل «François Dell »: "حدود الكلمة والمورفيم ليس لها رمزٌ ملموسٌ؛ إذ يستعمل الكاتب علاماتٍ مثل البياض للإشارة إلى حدّ الكلمة، ولا يوجد حدّ كلمةٍ لم يرمز له ببياضٍ [2]، أمّا في الكتابة الصّوتيّة فيمثّل برموزٍ متعدّدةٍ، يقول أندريه مارتيـــني « André Martinet » : "نشير إلى الوقفات (أي المفاصل) عادة بترك فراغٍ في الكتابة الصّوتيّة أو خطٍّ صغيرٍ [3]، أو بالرّمزين (+ و #) [4]. وهما الأكثر استعمالاً وتمثيلاً له في أغلب اللّغات.

1- 3 – تحديد الـــمفصل الصّوتيّ:

قد ترد على المرء أحداث كلاميّة من ثنائياتٍ صغرى، فلا يقف على المتعيّن منها، ولا يميّز الواحدة من الأخرى إلاّ موضع المفصل، فعدّ فونيمًا من فونيمات اللّغة، وهو ما فعله « Dinnacen » ؛ إذ أنّه "حين حصر فونيمات اللّغة الانجليزيّة في خمسةٍ وأربعين فونيمًا ذكر من بينها فونيم المفصل [5].

غير أنّ النّظرة إليه تختلف من لغةٍ إلى أخرى ومن عالمٍ إلى آخر؛ إذ يعتبره مجموعة من الدّارسين من الفونيمات القطعيّة الّتي لا تؤدّي أيّ دورٍ من النّاحيّة الصّوتيّة، فيرى ستوكويل

---

[1] - Jean Dubois, Mathée Giacomo Louis Guapin, Christiane Marcellesi, Jean–Baptiste Marcellesi, Jean-Pierre Mével, «Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage», Larousse, paris, France, 1ère édition, 1994, p 262.

[2] - « Les règles et les sons » , p 38.

[3] - Martinet André, « Eléments de linguistique générale », Armand Colin, Paris, 1998, p 73.

[4] - Jean Dubois, «Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage», p 262.

[5] – "دراسة الصّوت اللّغويّ، ص 196.

« Stockwell » أنه يشتغل بوصفه قطعة أكثر ممّا يشتغل بوصفه فوق قطعة، بحيث إنّه يجتمع مع القطع الصّامتيّة والمصوّتيّة، ويجتمع مع المفاصل الختاميّة [1].

كما لا يعدّون المفاصل أكثر من وسائل ملائمة للكتابة الصّوتيّة، فهي فونيمات تسجّل كأنّها فضاءات تفصل الكلمات بعضها عن بعضٍ "وذلك بواسطة بياضاتٍ، إلاّ أن هذه البياضات تخلو من أيّة قيمةٍ صوتيّةٍ [1].

فيما نجد رأيًا آخر يعتبر المفصل فونيماً فوق قطعياًّ، بوصفه من الوسائل التّطريزيّة [2] الّتي تقتصر على مجال المقطع، فاللّسانيون يرون أنّ "الفونيمات المفصليّة تنزع – على العموم – إلى أن تقترن بحدَّي الكلمة والصّريفة في الفونيمات الأمريكيّة تمامًا مثلما تقتصر – على العموم – الفونيمات فوق القّطعيّة على مجال المقطع، إضافة إلى كونه يُشبه النّبرات والعلوّ الموسيقي أكثر ممّا يشبه المصوّتات والصّوامت [3]. فماريو باي مثلاً يعتبر النّبر والتّنغيم والمفصل ملامح صوتيّة إضافيّة تؤثّر في الأصوات الكلامية أو مجموعاتها ويطلق عليها الفونيمات الإضافيّة أو الثّانويّة [4]، وهكذا فالمفصل شبيهٌ بخاصياته المقترنة بحدود الكلمة والصّريفة بالفونيمات فوق التّركيبيّة فعدّ منها.

1– 4 – أثر الـــمفصل الصّوتي في الدّلالة:

استخدامات المفصل تختلف من لغةٍ إلى أخرى، فهناك من اللّغات ما يستخدمه استخدامًا فونيميًّا للتّمييز بين المعاني، ومنها ما لا يستخدمه؛ وهذا الدّور التّمييزيّ له قسّم العلماء إلى فريقين:

---

[1]– "في الصّواتة الزّمنيّة"، ص 97.

[2] – الفونيمات التطريزية: فونيم فوقطعي، قد يكون نبرةً أو فاصلاً أو نغماً، ويدعى أيضاً فونيماً ثانوياً، ويقابله الفونيم القطعي الّذي ينطبق على الصوامت و المصوّتات ، ينظر: محمّد علي الخولي، "علم اللّغة النظري"، مكتبة لبنان، ط1، 1982م، ص 230 و 275.

[3]– "في الصّواتة الزّمنيّة"، ص 99.

[4]– "أسس علم اللّغة"، ص 92.

فريق يرى أنّه لا جدوى للمفصل ولا أهمّية له في بيان اختلاف الدّلالات، ويرجعون الاختلاف إلى الفونيمات الأساسيّة من صوامت ومصوّتاتٍ، باعتبارها وحداتٍ مميّزةٍ وضروريّةٍ لاِشتغال أيّ لغةٍ، لكن الفونيمات فوق التّركيبيّة لا تؤدّي أيّ دورٍ تمييزيٍّ، يقول أندري مارتيني: "إنّ الفونيمات وحدات مميّزة، بينما لا تعدّ الملامح التّطريزيّة، مثل ملامح التّنغيم مميّزة [1]. وقد نظر إليها جورج مونان "Georges Mounin" أيضاً (أي الفونيمات فوق التّركيبيّة) على أنّها هامشيّة "وغير ضروريّة في التّحديد الخاصّ لأيّة لغةٍ [2].

فيما يرى بعض العلماء أنّ الفونيمات فوق التّركيبيّة كالنّبر والتّنغيم والمقطع لها قيمة تمييزيّة، وينفونها عن المفصل؛ "إذ يدّعي بعض الكتّاب أنّ اختلاف الدّلالة لا يتكوّن من الوقفة، بقدر ما يتكوّن من إعطاء قيّمٍ مختلفةٍ للسّواكن والعلل، وكذلك مخالفة التّنغيم [3]. فهؤلاء لا يفسحون المجال للمفصل لأداء دوره كفونيمٍ تطريزيٍّ.

فريق آخر ذهب إلى أنّ للمفصل قيمة حقيقيّة في بيان اختلاف الدّلالات؛ "إذ يعدّونه من الفونيمات فوق التّركيبيّة أو فوق القطعيّة، وظيفته تعيّين حدود الكلمات، ففي الفرنسيّة مثلاً يسمح لنا المفصل بالتّمييز بين "L'elan" (حيويةٌ واندفاعٌ) و"Les lents" (بطيءٌ ومتمهّلٌ)، أو بين "Des p'tits trous" (حفرٌ صغيرةٌ) و"Des p'tites rous" (عجلاتٌ صغيرةٌ) [4]. وذلك من خلال الفصل بين الوحدات المعجميّة المتداخلة صوتيّاً.

وفي الإنجليزيّة أيضاً يؤدّي دوره التّمييزيّ؛ "إذ تسمح لنا الفونيمات المفصليّة بالتّمييز بين a name (الاِسم) و an aim (الهدف) [5] و"بـــه نستطيع أن نفرّق بين الكلمة

---

[1] - « Eléments de linguistique générale », p 24.

[2] - Georges Mounin, « Clef pour la linguistique », seghers, Paris,, 1987, p 73

[3] – "أسس علم اللّغة"، ص 95.

[4] – Jean dubois, « dictionnaire de lhnguistique et des science du language », p 262, et Fréedéerique Brin, Cathrine Courier, Emanuelle Lederlé, Véeronique masy, Ortho éedition, 2 éme édition, France, « dictionnaire d'orthophonie », p 377.

[5] - Georges mounin , « dictionnaire de linguistique » , quardige, paris, 4 éme édition, 2004,p 189.

المركّبة night rate (التّعرفة اللّيليّة)، وبين كلمة nitrate (نيترات) مع أنّ ترتيب الوحدات الصّوتيّة واحد في الحالتين، وكذلك العناصر العروضيّة الموجودة في الكلمتين [1]، ومن أمثلة استخدام المفصل فونيماً تمييزيّاً في اللّغة الإنجليزية الثّنائيات التّالية [2]:

Grey tape (مسجلة رمادية) ⟵ great ape (غوريلا ضخمة)

Deep end (نهاية قويّة) ⟵ depend (يتوقّف على ، يعتمد)

At ease (السّهولة) ⟵ a tease (السّخرية)

وحتّى ولو لم يؤدّي المفصل دورًا في التّفريق بين الدّلالات فإنّه يؤدّي دورًا ملحوظًا في التّفريق بين نطق الأجانب ونطق أبناء اللّغة [3]، كما لا تفوتنا أهميّته في اِكتساب طريقة النّطق الصّحيحة؛ ذلك أنّ "أحسن طريقةٍ للتّعوّد على النّطق الصّحيح للنّغمات الصّوتيّة والوقفات الموجودة في لغةٍ أجنبيّةٍ، هي نطق الكلمات أو مجموعة الكلمات ببطءٍ مقطعًا مقطعًا، مع الوقفات الصّحيحة بين كلّ مقطعٍ ومقطعٍ، وبالتّدريج يزيد المرء من سرعة نطقه للحدث الكلاميّ حتّى يصل إلى السّرعة العاديّة [3]، للّغة المراد تعلّمها.

وقد أدَّى الخلط في الماضي في أماكن المفصل إلى تغييراتٍ تاريخيةٍ في بعض الكلمات مثل: (an ewt) الّتي تطوّرت إلى (a newt)، ومثل (a napron) الّتي تطوَّرت إلى (an aprun) [4].

وتظلّ قيمة المفصل مستمرة في عصرنا؛ إذ نجد المفصل هو الّذي يساعدنا على أن نـــميّز بين a + nicebox (صندوق محكم) و an + icebox (ثلاجة)، وبين light+

[1] - « Eléments de linguistique générale », p 60.

[2] – عبد القادر عبد الجليل، "علم اللّسانيات الحديثة"، ص379.

[3] – "أسس علم اللّغة"، ص 95– 97.

[4] – "دراسة الصّوت اللّغويّ"، ص 196 و "أسس علم اللّغة"، ص 96.

house keeper (مدبرة نشيطة) و light house + keeper (فنّاري) [4]؛ إذ لا مناص من مفاصل صوتيّةٍ لبيان المعاني المختلفة.

ويلاحظ أنّ الكلام على صويتة المفصل ينبغي أن يقوم على وصف السّلسلة المنطوقة من غير تأثّرٍ بصورة الرّسم، فصلتها بالمشافهة لا بالكتابة؛ إذ الرّسم يميّز بين الألفاظ بما فيه من فواصل، كما رأينا في الأمثلة الإنجليزيّة، وإن كان اللّفظ بها من غير سكتةٍ واحدًا، حيث اِتّفقت الحروف وميّزت الكتابة بفواصلها.

1- 5 – أقسام المـــفصل الصّوتيّ:

اعتمد اللّسانيون الغربيون في تقسيمهم للمفصل على معايير عدّة منها: الحدّة والخفاء، القوّة والضعف، والموقعيّة.

أ – التّقسيم الأوّل:

قسّمه بعض الباحثين حسب الحدّة والخفاء، أو الظهور والخفاء إلى قسمين:

1 – الاِنتقال الخفيّ: ويسمّى مفصل ضيّق (close juncture)، و يمثّله الانتقال بين r و t في (nitrate)، ويعبّر عنه في الكتابة عن طريق علامة ناقص (–) [1].

2 – الاِنتقال الحادّ: ويسمّى مفصل مفتوح (Open juncture)، كالاِنتقال بين night و rate في (night rate)، ويوضّح في الكتابة عن طريق علامة زائد (+) [1]، أو بالعلامة (#) [2]. نمثل لهذين القسمين بالأمثلة التّالية على أن نجعل مصطلح السّكتة بدلاً من الاِنتقال.

كلمتا: an ocean و a notion، النّاطق المتأني يلفظ كلمة (an+ ocean) (بحرٌ محيطٌ) بسكتةٍ ظاهرةٍ على النّون، ويبتدئ بعدها بهمزة قطعٍ، أي: / ء – ن +/ ء و / ش –

1– "أسس علم اللّغة" ، ص 95.

2– "دراسة الصّوت اللّغويّ"، ص 197.

ن/، فإذا خفّفت الهمزة للسّرعة في النّطق بأنّ حذفها ووصل المصوّت الّذي بعدها بالنّون محوّلاً السّكتة الظّاهرة إلى سكتةٍ خفيّةٍ قال: an – ocean أي:(1) /ء – / ن و/ ش – ن/ والنّاطق المتأنّي يلفظ كلمة a+ notion (مفهومٌ، فكرةٌ) بسكتةٍ ظاهرةٍ على الفتحة بعد همزة القطع ثمّ يبتدئ بعدها بالنّون أي: /ء – +/ ن و/ ش – ن/، فإذا أسرع في النّطق فأخفى السّكتة الظّاهرة قال: anotion أي: (2) /ء -/ ن و/ ش – ن/ ويلاحظ أنّ النّطق بالكلمة الأولى (1) والكلمة الثّانية (2) لا يكاد يختلف ممّا يدلّ على أنّ السّكتة الخفيّة ليس من السّهل أن تجعل تمييزيّة [1].

ومن أمثلتهم للسّكتة الظّاهـــرة:

(1)an + icebox (ثلاجةٌ)، و(2) a + nicebox (صندوقٌ محكمٌ)، إذا كان نطق كلٍّ منهما بتأنٍّ، فتكون المقاطع في:

(1): / ء ـــَ ن + / ء ـــً / ي ـــِ س/ ب و ك س/ وفي:

(2): / ء ـــَ +/ ن ـــً / ي ـــِ س/ ب و ك س/، فإذا خفّفت الكلمة (1) بسرعة النّطق بأن حذفت الهمزة من المقطع الثّاني وأعيد التّشكيل المقطعي، لم يتميّز النّطق بها عن النّطق بالكلمة (2) إذا لفظت بالسّرعة المعتادة في الكلام غير المتأني، أي:

(1): / ء ـــَ ن/ ء ـــً...

←/ ء ـــَ / ن ـــً...

(2): / ء ـــَ+ / ن ـــً... بتحوّل السّكتة من ظاهرةٍ إلى خفيّةٍ:

← / ء ـــَ / ن ـــً...[1]

ومن ذلك قولهم:

---

[1]– "أبحاث في أصوات العربيّة"، ص 73، 74.

(3): light house + keeper (فنّاريّ) و (4) light + house keeper (مدبّرةٌ نشيطةٌ)، فههنا لا مناص من سكتةٍ ظاهرةٍ بعد كلمة house في (3) وسكتةٍ ظاهرةٍ بعد كلمة light في (4) ليكون التّمييز بين المعنيين [1].

ب- التّقسيم الثّاني:

اعتمد فيه اللّسانيون الغربيون على الموقعيّة معيّاراً، منهم جورج مونان، فجعله قسمين داخليّ وخارجيّ:

1- المفصل الدّاخلي: يتموقع وسط الكلمة؛ إذ يظهر حدّ الفونيم و المورفيم، وهو ما يسمّى (jointure) [2]، ويكون مصحوبًا بصعودٍ وهبوطٍ في النّغـــم الأوّليّ مثل كلمة farouchement. (faru # ma) [3].

2- المفصل الخارجي: ويسمّى (La pausse virtuelle أو La joncture)، ويقع في الحدّ بين كلمتين [4]، فيساعدنا على التّعرف على حدود الكلمة وسط تيّار الكلام.

ويشير جورج مونان إلى أنّ الأمريكيين يستعملون مصطلحًا واحدًا للدّلالة على النّوعين فيقول: "الأمريكيون يجمعون تحت مصطلح (juncture phonème) المفصل الّذي يكون بين الكلمات، والمفصل الّذي يظهر حدّ المونيم داخل الكلمة [4].

ج – التّقسيم الثّالث:

قسّمت المفاصل الصّوتية إلى داخليّة وخارجيّة، وهذا التّقسيم معتّمدٌ في أغلب اللّغات، فيما جعل "فرانسوا ديـــل" المفاصل الخارجيّة نوعان، أو الحدود على حدّ تعبيره (أشرنا إلى ذلك آنفًا) [5] وذلك في اللّغة الفرنسيّة طبعاً، مع اعتماد عمليّة الرّبط معيارًا

---

[1] – "أبحاث في أصوات العربيّة"، ص 75.

[2] - George Mounin, « Dictionnaire de linguistique », p 189.

[3] - Jean Dubois, « Dictionnaire de linguistique et des sciences de langage », p 262.

[4] - George Mounin, « Dictionnaire de linguistique », p 189.

[5] – أشرنا إلى ذلك في الصفحة 61.

لذلك، يقول: "عملية الرّبـــط [1] في الفرنسيّة تنتج على الأقلّ نوعين من الحدود المتعلّقة بالكلمة، الحدود الضّعيفة والحدود القّويّة [2].

1- الحدود الضّعيفة **(**les frontieres faibles**)**: وهي الّتي تسمح بعمليّة الرّبط، ونرمز لها بالعلامة (#).

2- الحدود القّويّة (les frontieres fortes): والّتي تمنع عمليّة الرّبط، ولتمثيلها نضاعف العلامة (# #).

و لتكون الرّؤية أكثر وضوحًا نمثل لها بالأمثلة التّالية: Petit# و vous # écoutez و écrou va## les# attendre [2].

والرّبط هنا لا يعني ربط الكلمات خطيًّا، وإنّما ربطها كلاميًّا، وقد نبّه "فرانسوا ديـــل" لذلك قائلاً: "ننبّه أنّ وجود علامة واحدة (#) يعني فقط أنّ التّركيب النّحويّ يسمح بعمليّة الرّبط لا أنّ الرّبط له مكانٌ محقّقٌ [2].

فعمليّة الرّبط تعدّ من القّواعد العديدة الّتي تنظّم عمليّة النّطق أو الكلام في العّديد من اللّغات، "فتنصّ قواعد بعضها على وضع العلامة (#) في كلّ نقطةٍ حين ننتقل من كلمةٍ إلى تاليتها، أخرى تعوّض العلامة المفردة (#) بالعلامة المضاعفة (##) في كلّ نقطةٍ حيث لا يسمح التّركيب النّحوي بعمليّة الرّبط [3].

فإمكانية الرّبط من عدمها هي الّتي تحدّد نوعية المفصل عند فرانسوا ديـــل.

6-1 – محو المفاصل (الحدود):

تحدثنا عن المفاصل، وبيّنا مختلف المعايير الّتي استخدمت في تقسيماتها، وفي الختام نشير إلى أنّ من اللّسانيين من ينادي بمحو كلّ الحدود، منهم فرانسوا ديـــل، إذ يقول: "كلّ

[1]– عملية الرّبط في اللّغة الفرنسيّة تعتمد على شرط صـــوتيّ؛ إذ يجب أن تتبع الكلمة المنتهية بصامت بغيرها المنتهية بمصوّت. « Les règles et les sens », p 42.

[2] –Les règles et les sens, p 43.

الحدود (+ و #) تُمحى آليّاً... وحدّي الكلمة ليس لهما بهـــذا الاعتبار تأويلٌ صوتيٌّ، أي أنّه لا تناسبهما في العلامة أمارات ماديّة تخصّصهما في ذاتيهما، إنَّ الحدود ليس لها سوى أثر صوتيّ غير مباشر [1].

فيما يذكر مبارك حنون أن "بازبـــول يدعو إلى عدم محوّ كلّ الحدود [2]، ذلك أنّ لها علامات تمثّلها.

2 – المفصل الصّوتيّ في الدّرس اللّسانيّ العربيّ:

تعدّ دراسة المفصل الصّوتيّ من البحوث الجديدة على الدّرس اللّسانيّ العربيّ؛ إذ لم يعالج لغويونا هذا النّوع من الملامح بالنّسبة للّغة العربيّة [3] معالجةً جادّةً، فلم يحظ باهتمام الدّارسين المحدثين، بل أشـــاروا مجرّد إشاراتٍ إليه.

وننبّه إلى تنوّع مصطلحاته في هذه الدّراسات، يقول حسام سعيد النعيمي: "علماء الصّوت المحدثين الّذين وقفوا عند هذه السّكتة التّمييزيّة وقفة دراسيّة، وأطلقوا عليها مصطلح (Jucture)، ارتضينا أن نجعل مقابله العربي "المفصل" أخذاً بما ورد في (دراسة الصّوت اللّغويّ) من ترجمةٍ [4]. ونبّهنا على قيمته التّمييزيّة بإضافة لفظ صويتة (phonème) إليه، ويمكن أن تجعل: (صويتة الفاصل) أخذاً بما ورد في (معجم علم اللّغة النّظريّ) [5]، أو(صويتة السّكت) أو (السّكتة) أخذاً بـــما ورد عند علمائنا القدماء في كتب التّجويد والقراءات [6]، أو بمصطلح الوقف كما فعل تمام حسان [7].

---

[1] – Les règles et les sens, p 43.

[2] – "في الصّواتة الزّمنيّة"، ص 113.

[3] – "دراسة الصّوت اللّغوي"، ص 313.

[4] – نفسه، ص 196، 197.

[5] – "معجم علم اللّغة النّظري"، ص 142.

[6] – "أبحاث في أصوات العربية"، ص 72.

[7] – "اللّغة العربية معناها ومبناها"، ص 270.

1-2 - تعريف المفصل الصّوتيّ:

أ- **لغة**: المفصل من فصل يفصل فصلاً فانفصل، وفصلت الشّيء فانفصل أي قطعته فانقطع [1]. والفصل: إبانة أحد الشّيئين من الآخر حتّى يكون بينهما فرجة، ومنه قيل المفاصل، الواحد: مفصل [2].

وقول الله عزّ وجلّ: ﴿ **كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ** ﴾ [3] له معنيان: أحدهما: تفصل آياته بالفواصل، وأواخر الآيات في كتاب الله: فواصل بمنزلة قوافي الشّعر، واحدتها فاصلة.

والمعنى الثّاني: فصّلناه: بيّناه، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ **آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ** ﴾ [4]، بين كلّ آيتين آيتين مهلة، وقيل مفصّلاتٍ: مبيّناتٍ [5].

فالمفصل ممّا سبق يعني الفّصل بمهلة قصد البيان.

ب- **اصطلاحاً**: المفصل أو الفاصل [6] فونيم فوقطعيّ يأتي بيـــن كلمةٍ وأخرى أو بين قولٍ وسكونٍ ويعبّـــر عنه بالوقوف [7]، ويشترك كغيـــره من الفونيمات في المساعدة على التّعرف على حدود الكلمة من النّاحية الصّوتيّة وسط التيّار الكلامي [8].

---

[1] – "لسان العرب"، مادة: فصل.

[2] – الرّاغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمّد)، "المفردات في غريب القرآن"، تحقيق: محمّد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2001م، مادّة: فصل.

[3] – "سورة فصّلت"، الآية: 3.

[4] – "سورة الأعراف"، الآية: 133.

[5] – "تهذيب اللّغة"، مادّة: فصل.

[6] – مبارك مبارك، "معجم المصطلحات الألسنية، فرنسي، إنجليزي، عربي"، دارالفكر اللّبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1995م، ص 157.

[7] – "معجم علم اللّغة النّظري"، ص 142.

[8] – عبد القادر عبد الجليل، "الدّلالة الصّوتيّة في لهجة الإقليم الشمالي"، دار صفاء، عمّان، الأردن، ط1، 1997م، ص 82.

أمّا علماء التّجويد فعرّفوه بالسّكت وهو "توقف القارئ عن إصدار الصّوت اللّغويّ في تتابع اصداره السّلسلة المنطوقة وذلك في غير موطن الوقف، ويحدّد في العادة بزمنٍ أقلّ من زمن الوقف الطّبيعيّ الّذي يكون في آخر الجملة أو عند رؤوس الآي [1].

أمّا من أطلقوا عليه الوقف فقد ذكروا بأنّه "يدلّ بوسائله المتعدّدة، على موقعٍ هو في طابعه مفصلٌ من مفاصل الكلام يمكن عنده قطع السّلسلة النّطقيّة، فينقسم السّياق بهذا إلى دفعاتٍ كلاميةٍ تعتبر كلّ دفعةٍ منها إن كان معناها كاملاً واقعة تكميلية منعزلة، أمّا إذا لم يكن معناها كاملاً كالوقف على الشّرط قبل ذكر الجواب مثلاً، فإنّ الواقعة التّكميلية حينئذٍ تشتمل على أكثر من دفعةٍ كلاميةٍ واحدةٍ [2].

أمّا عن رموزه فلم توفّق الكتابة بتمثيل كلّ ما هو منطوق، "فقد أخفقت مثلاً بتمثيل المفصل الصّوتيّ الّذي يحتاج إلى وحدةٍ خطّيةٍ تمثّل الإنتقال بين وحدتي التّركيب [3]، فيرمز له عادةً بالبياض في الكتابة، أمّا الرّموز الّتي خصّه بـــها الدّارسين العرب فتختلف باختلاف التّقسيمات الّتي اعتمدوها في دراستهم، لذا سنرجئ الحديث عنها عند تعرضنا لأقسامه.

2-2 - تحديد الـــمفصل الصّوتيّ وأثره في الدّلالة:

من الملاحظ أنّ الكلام المتواشج الموصول من الصّعب فهم المراد منه، "ذلك أنّه يعسر على المرء تفكيكه إلى وحداته المعجمية المتداخلة صوتيّاً، وهنا تظهر قيمة المفاصل الصّوتية كوسيلة من وسائل تعيين حدود الكلمات، وانفساخ نسيج التّركيب بين جملتين بغية الفصل بين معنييهما [4]، وهذا الدّور الهامّ لها (أي المفاصل) في الدّلالة هو الّذي "جعل العلماء يسمّون هذه السّكتة صويتة (Phonème) مع أنّها عدم - ذلك أنّها - في التّشكيل تمييّزية، فالّذي ميّز لفظة (باب) عن لفظة (ناب) صويتتا: الباء والنون، والّذي ميّز معنى

[1] - "أبحاث في أصوات العربية"، ص 66.

[2] - "اللّغة العربيّة معناها ومبناها"، ص 270.

[3] - "علم اللّسانيات الحديثة"، ص 379.

[4] - "ظاهرة اللّبس في العربية"، ص 26.

السّؤال عن الرّاقي في: ﴿ **من راقٍ** ﴾ [1] عن احتمال المعنيين [2]، هو السّكتة، فمهمّة السّكتة إذن في مثل هذه المواضع لا تختلف عن مهمّة أي صويتةٍ أخرى [3].

عدّ المفصل الصّوتيّ في اللّغة العربيّة على غرار لغاتٍ عديدةٍ فونيماً له أثره على المعنى، يقول أحمد مختار عمر: "على الرّغم من أنّ اللّغويين العرب – قدماء ومحدثين – لم يعالجوا هذا النّوع من الملامح بالنسبة للّغة العربيّة، فنحن ندّعي أنّه موجود فيها، وأنّه يستخدم في الفصحى والعاميات العربيّة استخداماً فونيمياً للتّمييز بين المعاني [4].

واعتبر اللّسانيون العرب المفصل الصّوتيّ من الفونيمات فوق التّركيبية والّتي تكتسب أهمّيّة كبيرة في الدّلالة، "بحيث يمكن عدّها وحدة فونيمية، تمتلك وظيفة تمييزيّة بين معاني التّراكيب اللّغويّة [5]، فالمفصل كغيره من الفونيمات فوق التّركيبية أو السّمات التّحبيريّة المصاحبة للكلام كالنّبر والتّنغيم يميّز النّظام الصّوتيّ للّغة، ويقوم بدورٍ وظيفيٍّ في تحديد دلالة ما ينطق به المتكلّم [6]؛ فهي ظاهرة ذات خطرٍ في صحّة الأداء الصّوتيّ وتجويده، وفي التّحليل التّحليل النّحويّ والدّلاليّ للتّراكيب [7]، إذ تميّز الحدود بين الكلمات والجمل في العديد من اللّغات.

ولبيان دوره كفونيم تمييزيّ نمثل له من الفصحى بكلمة "أوصالي":

أوصى لي : (فعل ماض يعقبه ضمير مجرور).

---

[1]– "سورة القيامة"، الآية: 27.

[2] – معنى (مرّاق) وهو بائع المرقة، أو صيغة المبالغة من المروق وهو (الهروب)، ينظر: صائل رشدي شديد، "عناصر تحقيق الدّلالة في العربيّة، دراسة لسانية"، الأهلية للنّشر والتّوزيع، عمان ، الأردن، ط1، 2004م، ص 99.

[3]– "أبحاث في أصوات العربيّة"، ص 78.

[4] – "دراسة الصّوت اللّغوي"، ص 313.

[5] – "علم اللّسانيات الحديثة"، ص 379.

[6]– عبد الكريم حسام الدّين، "الدّلالة الصّوتيّة"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت)، ص 83، نقلاً عن: "من الصّوت إلى النّص"، ص 65.

[7] – كمال بشر، "علم الأصوات"، ص 553.

أوصالي: (اسم يعقبه ضمير).

أو صال: (في حالة الوقف، حرف عطف يعقبه اسم فاعل).

فلابُد من مفصلٍ صوتيٍّ عند "أوصى + لي" و "أو + صال" [1]، لئلا تشتبه الكلمات وتلتبس الدّلالات.

ومن مثل ما تقدّم بيت الشعر المشهور في البلاغة العربيّة كمثال للجناس...

عَضَنَا الدَّهْرُ بِنَـــابِـــهِ لَيْتَ مَا حَلَّ بِنَـــا بِـــهِ [2].

يقف القّارئ وجاه تماثلٍ صوتيٍّ بين كلمتي: (بنـــابـــه) الأولى و (بنا بـــه) الثّانية، والمستعان بـــه على الإبانة وانتفاء التّداخل بين المعنيّين هو مفصل صوتيّ مقصود في الكلمة الثّانية (بـــنا + بـــه)، فالفصل بين شبها الجملتين هامٌّ لتحديد المعنى المراد، ولدفع سوء الفهم الّذي قد يسببه الوصل؛ إذ تتمظهر شبها الجملتين في هيئة كلمةٍ واحدةٍ (بنابـــه) فتشتبه بالكلمة الأولى والّتي تعني (بأنيابـــه).

أمّا من العاميّة المصريّة فنمثل بما يأتي:

- جَادَ لَكَ:

- إذا نطقت "جَادَلَكَ"، فهي من الجدال.

- و إذا نطقت "جَادَ + لَكَ"، فهي من الجود [2].

- إِنْتُـــوخِبْـــتُمْ:

- إذا نطقت "إِنْتُوخِبْـــتُمْ" فمعناها إنتخبتم (من الانتخاب).

- وإذا نطقت "إِنْـــتُو+ خِبْتُمْ" فمعناها أنتم خبتم (من الخيبة).

[1]- "ظاهرة اللّبس في العربيّة"، ص 27.

[2]- "دراسة الّصوت اللّغويّ"، ص 314.

هذه بعض الثّنائيات الّتي يؤدّي المفصل الصّوتيّ دوراً هامّاً في بيان حدودها ودلالاتها، لكن ليس حدّ المفصل مقتصراً على إقامة حدودٍ بين الكلمات فقط، بل يمتدّ حتّ ليشمل إقامة حدودٍ بين الجمل لفصل بعضها عن بعضٍ [1]، وفي ذلك إبانة عن المعاني المراد توصيلها...

يقول الفرزدق: (ت144هـ) [2].

هَيْهَاتَ قَدْ سَفَّهَتْ أُمَيَّةُ رَأْيَهَا واسْتَجْهَلَتْ سُفَهَاؤُهَا حُلَمَاؤُهَا

حَرْبٌ تَرَدُّدُ بَيْنَهُمْ بِتَشَاجُرٍ قَدْ كَفَّرَتْ آبَاؤُهَا أَبْنَاؤُهَا.

يرى أسعد عرار أنّ موضع النّظر قوله: "واستجهلت سفهاؤها حلماؤها"، ذلك أنّ المرء قد يداخله خاطر مؤداه أنّ الكلام متواشج مؤتلف من فعلٍ وفاعلٍ (سفهاؤها) ومفعولٍ به (حلماؤها)، ولكن هذا خاطرٌ مدفوعٌ بيقين أنّ النّص لم يتجاف عن قواعد السّلامة اللّغويّة، وليس ثمّ بدٌّ من استحضار مفصلٍ صوتيٍّ يؤذن بانفساخ نسيج التّركيب..

واستجهلت + سفهاؤها حلماؤها.

ويغدو الكلام عقبه مستأنفًا، وقبله تامًّا منقطعًا، وكذلك البيت الثّاني [3].

أمّا في كتاب اللّه العزيز، فللمفصل دورٌ هامٌّ في بيان دلالة الآيات ومعانيها، ففي قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِين يَسْمَعُونَ والمَوْتَى يَبْعَثُهُم اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يَرْجَعُونَ** ﴾ [4]، وجود المفصل الصّوتيّ بعد قوله: "يسمعون + والموتى" يعمل على انفساخ نسيج التّركيب،

[1]-"ظاهرة اللّبس في العربيّة"، ص 28.

[2]- الفرزدق، "ديوانه"، ص 154.

[3]- " ظاهرة اللّبس في العربيّة"، ص 28.

[4]- "سورة الأنعام"، الآية: 36.

فيظهر أنّ المعنى تامٌّ عند المفصل، ثمّ استؤنف بكلامٍ جديدٍ مؤتلفٍ من مبتدأ وخبر [1]، ولا يخفى أنّ تغييب المفصل في ذلكم السّياق الشّريف يؤذن باشتباهٍ [2].

2-3 - أقسام المفصل الصّوتيّ:

سار اللّسانيون العرب في تقسيمات المفصل على خطى اللّسانيين الغربيين، وإن اختلفت قليلاً.

أ - التّقسيم الأوّل:

جعله بعض الدّارسين قسمان، وذلك باعتماد الحدّة والخفاء معياراً للتّقسيم:

1- الإنتقال الخفي: ويسمّى المفصل ضيّقاً (close juncture)، ويرمز له في الكتابة بعلامة ناقص (-)، كما يمكن الاستغناء عن الرّمز عن طريق ترك فراغٍ في الكتابة [3]، وهذا النّوع من المفصل أو السّكتة يصعب تمييز موضعها لا سيما في الكلام الّذي ينماز بسرعة النّطق؛ إذ لا يكاد يلاحظ وجودها من عدمه "ممّا يدلّ على أنّ السّكتة الخّفيّة ليس من السّهل أن تجعل تمييزيّة [4]، كونها لا تحدث فرقاً واضحاً في النّطق بين كلمتين متقاربتين.

2- الإنتقال الحاد: ويسمّى المفصل مفتوحاً (open juncture)، ويرمز له في الكتابة بعلامة زائد (+)، أو بالعلامة (#) [5]، وهو من الفونيمات التّمييزيّة، وتظهر هذه السّكتة (أي المفصل) في الكلام المتأنّي؛ إذ أنّ فسحتها الزّمنيّة أكبر من سابقتها، وتتحوّل للسّرعة من ظاهرةٍ إلى خفيّةٍ.

---

[1] - "ايضاح الوقف والابتداء"، ص 632.

[2] - "ظاهرة اللّبس في العربيّة"، ص29.

[3] - "دراسة الصّوت اللّغوي"، ص 197.

[4] - "أبحاث في أصوات العربيّة"، ص 74.

[5] - "دراسة الصّوت اللّغوي"، ص 197.

فمدّة السّكت هي المعيار الأساس في التّفريق بين السّكتتين، فإن طالت المدّة تكون السّكتة ظاهرة وإن قصرت تكون خفيّة، ومن أمثلة السّكتة الخّفيّة في اللّغة العربيّة قولهم: (لُقْمَةٌ تَكْفِينِي إِلَى يَوْمِ تَكْفِينِي)، فمن الصّعب تحديد موضع السّكتة وذلك لسرعة النّطق، يقول سعيد النعيمي: "من التكلّف أن ندّعي أنّنا نحسّ بسكتةٍ بين ياء (تكفي) ونون الوقاية في تكفيني الأولى، وأكثر من ذلك تكلّفاً أن يدّعى الإحساس بـــها بين نون (تكفين) وياء المتكلم في (تكفيني) الثّانية، لأنّهما يشكّلان مقطعاً طويلاً غير قابل للتّجزئة النّطقيّة وإن كانت التّجزئة بالسّكتة الخفيّة.

أي: أ)/ ت – ك / ف – / ن – / و ب) / ت – ك / ف – / ن –/.

فإذا سكت على المقطع الثّاني من (أ) أمكن البدء بعد السّكت بالمقطع الثّالث أي بقاعدته وهي النون، أمّا محاولة السّكت على قاعدة المقطع الثّالث من (ب) فيتعذر البدء بالمصوّت الطّويل لأنّه قمة المقطع، والنّاطق لا يمكن أن يبتدئ بمصوّت أي بقمة مقطعٍ، بل سيؤدّي السّكت إلى سقوط المصوّت الطّويل وإلحاق قاعدته بالمقطع السّابق (الثّاني) ليتحوّل من طويلٍ مفتوحٍ إلى مديدٍ: /ت – ك/ف –/ن –/،/-/.

/ت – ك/ف – ن/. ولا يعود الأمر ذا صلة بالسّكتة [1].

فالمفصل الصّوتيّ يظهر أثره في الكلام المنطوق دون تأثرٍ بصورة الكلام الكتابيّة، يقول النعيمي: "صويتة المفصل متّصلة بالمشافهة لا بالكتابة؛ إذ الرّسم يميّز بين الألفاظ بما فيه من فواصل، كما رأينا في (مرّاق) و (من راق) وإن كان اللّفظ بهما من غير سكتةٍ واحدًا [1].

ب – التّقسيم الثّاني:

ومن الدّارسين من قسّم المفصل إلى عدّة أقسامٍ، دون تفسيرٍ أو بيانٍ لماهية كلّ نوعٍ، أو أمثلةٍ توضيحيّةٍ لها، فـــ "محمّد علي الخولي" جعله سبعة أنواعٍ؛ يقول: "الفاصل فونيم

---

[1]– ينظر: "أبحاث في أصوات العربيّة"، ص 74– 75.

فوقطعيّ [1] يأتي بين كلمةٍ وأخرى أو بين قولٍ وسكونٍ ويعبر عنه بالوقوف. وقد يكون داخليّاً (أي داخل الكلمة) أو خارجيّاً، مفتوحاً أو مغلقاً (أي داخل الجملة)، صاعداً rising أو هابطـــاً falling أو مؤقتاً sustained. ورموزها في اللّغة العربية / / و / / و/ / للصاعد والهابط والمؤقت على التوالي [1].

ج – التّقسيم الثّالث:

قسّم المفصل إلى نوعين وذلك حسب صلته بالتّنغيم، فيذكر حسن العاني "أنّ سلاسل الأصوات تعرض في اللّغة العربيّة نوعين من الوقف (المفصل) نهائيّ وغير نهائيّ [2]، نبيّنهما فيما يلي:

1- الوقف النّهائيّ أو الأخير: يسهل إدراكه لأنّه يدلّ على نهاية التّعبير، وهو عامّة يشخّص بعدّة صفاتٍ نهائيّةٍ للنّمط المنغّم، ويحدّد هذه الصّفات نوع التّعبير، فمثلاً يظهر الوقف الأخير للجملة الخبريّة في تسجيلات الحزمة الضّيّقة على شكل انزلاقٍ متّجهٍ إلى أسفل. وهذا الانزلاق أقصر في الكلمات المفردة منه في الجمل وأشباه الجمل، ذلك أن الكلام في الجمل الخبريّة يكون تامًّا ما يوافق نغمة هابطة "فيرمز له بـــ /↓/ "فيما يرمز له بـــ /↑/ عندما يكون التّنغيم صاعدًا [2].

2- الوقف غير النّهائيّ أو غير الأخير: أقصر مدى بشكلٍ عامٍ من الوقف الأخير، وكما يفهم من اِسمه فإنّه يشير إلى عدم انتهاء التّعبير والتّردد، أو عدم إنهاء الكلام، وعادة يظهر الوقف غير النّهائي في تسجيلات الحزم على هيئة شكلٍ مستوٍ فيرمز له بـــ: /←/، ويظهر في حالات انزلاقٍ خفيفٍ يكون إمّـــا صاعدًا وإمّا هابطًا، وليس لهذا الانزلاق أيّة أهميّةٍ [2].

[1] – فوقطعي: يزامن الفونيم القطعي، وقد يكزن نبرةً أو فاصلاً أو نغماً، ويدعى أيضاً فونيماً ثانوياً، ينظر: "معجم علم اللّغة النظري"، ص 142.

[2]– سلمان حسن العاني، "التّشكيل الصّوتي في اللّغة العربيّة: فونولوجيا العربيّة"، ترجمة: ياسر الملاّح، النّادي الأدبي الثّقافي، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1983م، ص 199.

أمّا من النّاحية العضويّة فكلا النّوعان يصاحبان بوحداتٍ نفسيّةٍ يختلف عددها باختلافهما، "فإذا تضمّن التّعبير وقفًا نهائيًّا فإنّه يشكّل وحدة نفسيّة واحدة، ويسمّى عندئذٍ لفظًا بسيطًا، وإذا كان في التّعبير وقفًا غير نهائيّ واحد أو أكثر فإنّه يتألّف من أكثر من وحدةٍ نفسيّةٍ واحدةٍ، ويسمّى عندئذٍ لفظًا معقّدًا [1].

د – التّقسيم الرابع:

حيث أُتخذت فيه القوّة والضعف معيارين لتقسيم المفصل، فأنتجا المفصل القويّ والمفصل الضّعيف، يقول عبد القادر عبد الجليل: "لا بد من الفصل، وقد يكون الفصل قويّاً، وحينذاك نسمّيه المفصل القويّ (strong-juncture) مثل قول الشاعر [1]:

كُلُّكُمْ أَخَذَ الجَامَ وَلاَ جَـــامَ لَـــنَا.

مَا الَّذِي ضَرَّ مُدِيرَ الجَامِ لَوْ جَامَلَنَـــا.

وضرورة الفصل القويّ واضحة في البيت الأوّل (جام لنا)...أمّا المفصل الضّعيف (weak juncture) فكما هو واضحٌ في البيت الثّاني [2]. (جاملنا).

والجام الأولى بمعنى الكأس، والثّانية من المجاملة، والفصل في البيت الأوّل بين كلمة (جام) وكلمة (لنا) يكون قويًّا لأنّه يفصل بين حدّي كلمتين، بينما هو ضعيفٌ في البيت الثّاني كونه جاء وسط الكلمة بين الفعل (جامل) والضّمير المتّصل (نـــا).

ويعلق سعيد النعيمي على بعض التّقسيمات السّابقة للمفصل، فنجده يستحسن تقسيم "أحمد مختار عمر" المعتمد على أساسٍ صوتيٍّ (صفتا الحدّة والخفاء، أو الظهور والخفاء) فيقول: "وحصر السّكت (المفصل) في الحدّة والخفاء يلاءم العربيّة فيما نراه، لأنّه يتّصل بمدّة السّكت وهو أمرٌ يمكن أن يشار إليه بعدد الحركات كما فعل علماء التّجويد

[1] – "الايضاح في علوم البلاغة"، ص 92.

[2] – ينظر: "علم اللّسانيات الحديثة"، ص 380.

(فالسّكتة اللّطيفة من غير تنفسٍ مقدارها حركتان حال الوّصل) [1]، أمّا عن تقسيم "الخولي" فيذكر أنّ "الصعود والهبوط متّصلان بالتّنغيم وهو أمرٌ غير منضبطٍ في عربيّة اليّوم لارتباطه بالنّطق اللّهجي وتأثره بـــه، أمّا المؤقت فيبدو أنّه يريد به الخفيّ ويكون تكراراً للمغلق، فقد قابل بين المفتوح والمغلق، والدّخليّ والخارجيّ، والصاعد والهابط، وجعل المؤقت مفرداً [2].

والأمر ذاته يقال عن الوقف النّهائيّ والوقف غير النّهائيّ؛ إذ أنّهما ليسا معتمدان لتعلقهما بالتّنغيم.

ويذكر أن الّذين فرّقوا بين مصطلحي مفتوح ومغلق (ضيق) (open & close) اعتمدوا في تفريقهم على حالة الكتابة لا على حالة النّطق، يقول: "الظّاهر أنّ الّذين وضعوا مصطلح (open juncture) ومصطلح (close juncture) كانوا ينظرون إلى رسم الكلمات وما بين رموز الكتابة من تقارب أو تباعد مثل: night rate و nitrate، وفي هذا إقحام ما ليس من الصّوت في الصّوت، ولفظا الحدّة والخفاء أو الظهور والخفاء أولى في وصف الصّوت اللّغويّ [2]، فالمفصل المفتوح يباعد بين كلمتي (night) و (rate) كتابياً، فيما المفصل المغلق أو الضيّق فيسمح باتصالهما كتابياً (nitrate).

أمّا عن الرّموز الّتي جعلوها لكلّ نوعٍ، فليست الأكثر اعتمادًا عند علماء الأصوات يقول النعيمي عن ذلك: "يبدو أنّ الرّموز الّتي ذكرناها آنفاً (أي رموز المفصل الصاعد والهابط وكذا النّهائيّ وغير النّهائيّ) ليست موضع اتفاقٍ، فقد ذكر "أحمد مختار عمر" أنّ المفصل المفتوح يرمز له في الكتابة بعلامة زائد، وقال في حاشية الصفحة نفسها بالعلامة (#)، وقال عن الخفيّ أو الضيّق يرمز له بعلامة ناقص، ونبّه عن إمكان الاستغناء عن الرّمز عن طريق ترك فراغٍ في الكتابة [3].

---

[1]- "الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم"، ص 22.

[2]- "أبحاث في أصوات العربيّة"، ص 73 - 74.

[3]- "دراسة الصّوت اللّغويّ"، ص 197.

2-4 – أنواع المفاصل الصّوتيّة:

المفاصل الصّوتيّة ذات قيمة صوتيّة هامّة، تسهم في صحّة الأداء الصّوتيّ وتجويده، كما تسهم في سلامة التّركيب اللّغوي وفقاً لقواعده، وبيان دلالة التّركيب ومعناه المناسب.

ولا بدّ من الإشارة أنّ وجود المفاصل الصّوتيّة بأنواعها المختلفة وأدائها الصّحيح مرتبطٌ بعنصرين مهمّين من عناصر التّوصيل اللّغوي، فتؤثر فيهما كما تتأثر بهما:

أ- المعنى أو الدّلالة: أي معنى الكلام ودلالته؛ إذ العنصران متلازمان صحّةً وفساداً، فإن صحّ التّركيب صحّ المعنى والعكس بالعكس، فلا يمكن أن يتعارض التّركيب المنتظم للقواعد الصّحيحة مع المعنى الـــمراد.

ب- القواعد النّحوية للّغة العربيّة: فاللّغة العربيّة لها قواعدها وأحكامها الّتي يلتزم بها متكلموها [1].

هذان الأمران ضروريّان في بيان قيمة المفاصل الصّوتيّة بأنواعها الثّلاثة (الوقفة، السّكتة، الاستراحة) في اللّغة العربيّـــة، "فهما يتضافران في إبراز فعاليّة هذه الأنواع وتفاعلها [1]، فهما أمران متكاملان لا يمكن الاعتماد على أحدهما دون الآخر.

والمفاصل الصّوتيّة في اللّغة العربيّة ثلاثة أنواعٍ:

1- **الوقفـــة:** تعدّ مفصلاً من مفاصل الكلام، يمكن عنده قطع السّلسة النّطقيّة، فينقسم السّياق بهذا إلى دفعاتٍ كلاميّةٍ، تُعـــدّ كلّ منها إذا كان معناها كاملاً، واقعة تكميليّة منعزلة [2].

[1]- "الدّراسات الصّوتيّة عند العلماء العرب والدّرس الصّوتي الحديث"، ص 247.

[2]- "اللّغة العربيّة معناها ومبناها"، ص 270.

والوقفة لا تتحقق إلاَّ عند تمام الكلام في مبناه ومعناه، ويعني بذلك أن تكون بنية المنطوق مؤلّفة وفقاً لقواعد اللّغة، ومنسوقة وحداتها في نظمٍ خاصٍّ يطابق المعنى المقصود والغرض المطلوب بحسب الظّروف والحال [1]، فتمام الكلام بناء ومعنى أهمّ شروط الوقفة.

والوقفات عادة ما تصاحب بنغماتٍ خاصّةٍ "فتأتي الوقفة الكاملة مصاحبة بنغمةٍ هابطةٍ، دليلاً على تمام الكلام، ورمزها في الكتابة النقطة [.]، و هذا في الجمل والتّراكيب التّقريريّة [1]، وكذا في الجمل الاستفهاميّة... الّتي لا تتطلب إجابة بنعم أو بلا، وكذلك في الجمل غير المعلّقة [2].

وقد تنتهي بعض الجمل الاستفهامية والمعلّقة بشرطٍ بوقفةٍ من نوعٍ خاصٍّ تعرف "بالوقفة المعلّقة"، وتفيد ارتباط السؤال بما يتّمه ويكمل معناه، وهو الإجابة عنه، والعادة أن يُشار إلى هذا المثال ونحوه في الكتابة بالرّمز [؟] علامة الاستفهام في نهاية السّؤال، وبالنقطة [.] في نهاية الإجابة المتمّمة للرّسالة مبنى ومعنى [3].

ويكون الوقف مصاحباً بنغمةٍ صاعدةٍ في هذه الجمل الاستفهاميّة، والّتي تستوجب الإجابة بنعم أو بلا، وكذا الجمل المعلّقة بشرطٍ [4].

- مواضع الوقفـــة:

مواضع الوقفات من الصّعب حصر أمثلتها لأنّها مرتبطة بنوعيّة التّراكيب وصورها ومعانيها المنتظمة لها، والقاعدة تقول: "شرط الوقف تمام الكلام مع صحّته لغويّاً [5]. لكن يمكننا إلقاء الضّوء على هذه المواضع بذكر ما لا يجوز الوقف عنده.

---

[1]- كمال بشر، "علم االأصوات"، ص 554 – 555.

[2]- "الدّراسات الصّوتيّة عند العلماء العرب والدّرس الصّوتيّ الحديث"، ص 248.

[3]- "فن الكلام"، ص 278.

[4]- "الدّراسات الصّوتيّة عند العلماء العرب والدّرس الصّوتيّ الحديث"، ص 248.

[5]- حسام البهنساوي، "علم ألأصوات"، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، د.ط، 2004م، ص 171.

- لا تجوز الوقفة كما لا تجوز السّكتة أيضا بين المضاف والمضاف إليه؛ لأنّهما – مبنى ومعنى– كالشّيء الوّاحد [1].

- وكذلك الحال بين الفعـــل وفاعـــله، كما لا يجوز الفصل بينهما وبين المفعول به [2].

- ينطبق هذا بتمامه على التّراكيب المكوّنة من الأدوات الخاصّة ومدخولها، ونعني بهذه الأدوات تلك الّتي تؤثر في مدخولها من حيث الإعراب أو المعنى أو كلاهما، كما هي الحال في حروف الجرّ مع الأسماء وأدوات النّصب والجزم مع المضارع وأدوات الاستثناء مع المستثنى، وأدوات النّفي والاستفهام مع ما تدخل عليه من الأسماء والأفعال... الخ.

فهذه التّراكيب ونحوها لا يجوز الفصـــل بين عنصريها بوقفةٍ أو سكتةٍ بحالٍ من الأحوال [3].

- لا مكان للوقفة أو السّكتة بين اسم الإشارة وبدله (أو عطف بيانه)، كما في قوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ** ﴾ [4]، على قراءة من جعل (الكتاب) بدلاً والخبر جملة: (لا ريب فيه) حيث ينتهي التّركيب كلّه بوقفةٍ، دليلاً على تمام الكلام [5].

أمّا إذا كان اسم الإشارة متلوّاً بخبره، فقد تحدث سكتة خفيفة، للدّلالة على أهمّيّة الخبر وتفرده بمضمونه، كما في قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ الكِتَابُ ﴾ [6] على قراءة من وقف على لفظ (الكتاب)، وجعله خبراً لاسم الإشارة، ودليل جواز هذه السّكتة مجيء ضمير الفصل أحيانا بين المبتدأ والخبـــر في مثل هذه الحالة كما في قوله تعالـــى: ﴿ **ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ**

[1] – كمال بشر، "علم الأصوات"، ص 556.

[2] – حسام البهنساوي، "علم الأصوات"، ص 171.

[3] – كمال بشر، "علم الأصوات"، ص 556.

[4]– "سورة البقرة"، الآية: 2.

[5] – "فن الكلام"، ص 279.

[6]– " سورة البقرة"، الآية: 2.

الْعَظِيمُ ﴾ [1]، وكما في قولنا: "هذا هو الرّجل"، أي: الرّجل الكامل الرّجولة، فكأنّ ضمير الفصل جاء معاورًا لهذه السّكتة [2].

– لا تقع وقفةٌ أو سكتةٌ بين النّعت ومنعوته، إلاّ إذا كان النّعت مقطوعاً فتجوز سكتة خفيفة بينهما، دليلاً على عود المتكلّم إلى التّوضيح بذكر المقطوع بإعرابه المخالف لإعراب المنعوت، كما في قولنا مثلاً: "مررت بمحمّد، الطّويل"، بنصب النّعت المقطوع أو رفعه، في حين أنّ المنعوت مجرور [3].

– لا يجوز الفصل بوقفةٍ أو سكتةٍ بين المميِّز (بكسر الياء)، والمميَّز (بفتحها)، كما لا يجوز ذلك بين الحال المفرد وما جاء لبيان حاله، كما في نحو: "جاء علي ضاحكاً"، أمّا إذا كان الحّال جملة، فقد تقع سكتة خفيفة بين الطّرفين مثل: "جاء محمّد، وهو يضحك" [4].

2– **السّكتـــة:** أخفّ من الوقفة وأدنى منها زمناً [5]، وتفيد أنّ ما يسبقها من الكلام متعلّق بما يلحقها، ولهذا سمّاها بعضهم "وقفة أو سكتة معلّقة"، وتعني تغيّر مسيرة النّطق بتغيير نغماته... فتكون مصحوبة بنغمةٍ صاعدةٍ دليلاً على عدم تمام الكلام، وعلامتها في الكتابة الفاصلة [،]، فهي فاصلةٌ واصلةٌ، فاصلةٌ نطقًا واصلةٌ للسّابق باللاّحق بناءً ومعنًى [5].

– مواضع السّكتة:

والسّكتة ترد في مواضع كثيرةٍ، وهي ليست واجبة عند نطق المتكلّمين، وإنّما هي اختيارهم، ومن ثمّ فإنّه يجوز إهمالها ، لكنّ إعمالها أولى على رأي كمال بشر [6].

---

[1]– "سورة التّوبة"، الآية: 72.

[2] –" فن الكلام"، ص 279.

[3] – كمال بشر، "علم الأصوات"، ص 557، و حسام البهنساوي، "علم الأصوات"، ص 171.

[4] – "فن الكلام"، ص 280.

[5]– كمال بشر، "علم الأصوات"، ص 557.

[6]– ينظر: "فن الكلام"، ص 280.

وغالباً ما تأتي السّكتة في الجمل والنّماذج المكوّنة من طرفين، يكمل أحدهما الآخر، كالجمل الشّرطيّة والقول ومقوله. ومن أهمّ هذه المواضع مايلي:

ـ الجمل الشرطيّة: حيث تكون السّكتة بين طرفيها: الشّرط والجواب، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا** ﴾ [1] " [2].

- ومثلها كلّ الجمل المحكومة برابطٍ من الرّوابط العامّة، مثل: بينما، كلّما، لّما، لو، لولا، الخ... ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ **كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا** ﴾ [3]، وقوله: ﴿ **لَوْلاَ أَنْتُم، لَكُنَّا مُؤْمِنِين** ﴾ [4] " [5].

وقوله عزّ وجل: ﴿ **فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ** ﴾ [6].

- تقع السّكتة بين المنعوت والنّعت المقطوع [7].

- هناك إمكانية لسكتةٍ خفيفةٍ بين المبتدأ والخبر إن كانا معرفتين، وبخاصّةٍ إذا كان الخبر محلّى بأداة التّعريف الدّالة على العهد والكمال، وكان المبتدأ اسم إشارة، كما في قوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ** ﴾ [8] على قراءة من جعل الكتاب خبراً.

وكما في قولنا: "ذلك الرّأي (الصّائب)"، ودليل إمكانيـــة هذه السّكتة مجيء ضميـــر الفصل في مثل هذه الحالة بين المبتدأ والخبر: ذلك هو الرّأي (الصّائب) [9].

---

[1]- "سورة الطلاق"، الآية: 2.

[2] - كمال بشر، "علم الأصوات"، ص 557.

[3]- "سورة آل عمران"، الآية: 37.

[4] - "سورة سبأ"، الآية: 31.

[5] - "فن الكلام"، ص 280، 281.

[6]- "سورة البقرة"، الآية: 246.

[7] - حسام البهنساوي، "علم الأصوات"، ص 172.

[8]- "سورة البقرة"، الآية: 2.

[9] - كمال بشر، "علم الأصوات"، ص 558 و حسام البهنساوي، "علم الأصوات"، ص 172.

– تحدث السّكتة أيضاً قبل أداة الاستدراك (لكن) وأداة الإضراب (بل)، وذلك بعد كلامٍ مستدركٍ عليه أو مضروبٍ عنه. والسّكتة هنا فاصلة نطقاً لكنّها في الوّقت نفسه واصلة بناءً ومعنى، بدليل انتهائها بنغمةٍ صاعدةٍ، وهي دليلٌ على عدم تمام الكلام، يظهر ذلك مثلاً في نحو قولنا: "سمعت ما يقولون، ولكنّي غير متأكّدٍ"، وقولنا: "ليس الأمر مقصوراً على ذلك، بل تعدّاه إلى مجالاتٍ أخرى [1].

– تقع سكتة محتملة أو وقفة أحياناً، بعد القول وحكايته، وقد عبّرت اللّغة العربيّة على هذه الحالة بوجوب كسر همزة (إنّ) إشارة إلى هذه الظّاهرة الفاصلة الواصلة، إنّها فاصلة فكسرت همزة (إنّ)، فكأنّها بداية جملة مستقلة، ولكنّها أيضاً واصلة، لأنّ (إنّ) ومدخولها محكيّ بهذا القّول ومفسّر له ومتضمّن مقصوده [2].

ولولا السّكتة الفاصلة نطقاً في هذه الحالة لوجب فتح الهمزة؛ إذ هي دليل الوصل التّام نطقاً وتركيباً ومعنىً.

وعلى هذا يمكن توجيه القراءة الواردة بكسر همزة (إنّ) في قوله تعالى: ﴿ **فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ** ﴾ [3]، وقوله: ﴿ **فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ** ﴾ [4].

قرأ ابن أبي إسحاق بكسر همزة (إنّ) في الآية الأولى [5]، وقرأ عيسى بن عمر بكسر همزة (إنّ) [6] في الآية الثّانية، ولا يمكن تفسير ذلك – في رأينا– إلا بتقدير سكتةٍ فاصلةٍ في النّطق قبل (إنّ) الّتي جاءت مع مدخولها بياناً وتوضيحاً لمضمون الدّعاء في الآية الأولى

---

[1] – "فن الكلام"، ص 281.

[2] – حسام البهنساوي، "علم الأصوات"، ص 172 و "فن الكلام"، ص 281.

[3] – "سورة القمر"، الآية: 10.

[4] – "سورة آل عمران"، الآية: 195.

[5] – ينظر: "البحر المحيط"، 8/ 175.

[6] – نفسه، 3/ 150.

والاستجابة في الثّانية، فكأنّ (إنّ) وقعت حينئذٍ في بداية هذه الجملة التّفسيريّة، أوكأنّ التّقدير، فقال: "إنّي مغلوبٌ" و "إنّي لا أضيع".

أمّا القراءة بفتح الهمزة، فهي الأشهر في الآيتين [1]، فلا سكتة ولا فصل بين طرفي الآيتين، لأنّ (أنّ) (بفتح الهمزة) ذات اِتصالٍ مباشرٍ وثيقٍ بما يسبقها بحكم موقعها الإعرابيّ في هذه الحالة، وكلّ ما يشبهها من حالاتٍ، ونعني بها تلك الحالات الّتي يمكن أن تصوغ من (أنّ) بالفّتح مع مدخولها مصدراً له موقع إعرابيّ في الجملة، رفعًا ونصبًا وجرًّا [2].

3- الاستـــراحة: تعدّ من الفونيمات فوق التّركيبية، وإن كانت أقلّها تأثيراً، يلجأ المتكلّم إليها عندما يطول الكلام – وذلك - لالتقاط النّفس [3]، والاستراحة أقل زمناً من الوقفة والسّكتة؛ إذ لا يكاد يلحظها السّامع غير المجرّب أو أن يتوقع حدوثها، ويسمّيها بعضهم "سرقة النّفس"، وهي في حاجةٍ إلى خبرةٍ ودربةٍ، حتّ لا تمتد في فترتها الزّمنيّة إلى ما يشبه الوقفة أو السّكتة فيفسد المعنى [4].

وليس للاستراحة قواعد ثابتة يمكن تحديدها، لأنّها تتعلّق بقدرة المتكلّم على الاستمرار في الكلام وطول النّفس، مع مراعـــاة فهم المعنى وسلامته، وصحّة التّركيب نحويّاً [5].

وهي تُعَدُّ من الخبرات الخاصّة بصاحبها؛ إذ هناك من النّاس من يستطيع مواصلة الكلام الطّويل، دونما حاجة إلى استراحة، وهناك أناسٌ آخرون لا يستطيعون مواصلة

---

[1]- ينظر: أبو حيان الأندلسي (محمّد بن يوسف)، "تفسير البحر المحيط"، تحقيق: عادل أحمد عبد المجود و علي محمّد عوض، دار الكتب العلمية، ط1، 1993م، 3/ 150، و5/ 175.

[2]- كمال بشر، "علم الأصوات"، ص 260.

[3]- حسام البهنساوي، "علم الأصوات"، ص 172- 173.

[4]- كمال بشر، "علم الأصوات"، ص 560.

[5]- "الدّراسات الصّوتيّة عند العلماء العرب والدّرس الصّوتيّ الحديث"، ص 252.

الكلام الطويل فيستريحون على جملٍ مفيدةٍ أو عباراتٍ قصيرةٍ، لقصر نفسهم من جانبٍ ولتصويب المعنى والعمل على صحّته وصحّة التّركيب النّحويّ من جانب آخر [5].

وبعض قراء القرآن الكريم كثيراً ما يعملون هذه الاستراحة عندما تطول الآية قصداً إلى الإمعان في التّطريب والتّلحين وتلوين الصّوت لجذب المستمعين، وكسب انتباههم، وتعلّقهم بهذا الأداء المطرب المنغوم في رأيهم [1].

تعدّ هذه أهمّ أنواع المفصل الصّوتيّ الّتي ذكرها اللّسانيون الغربيون والعرب، وقد تنبّهوا إلى علاقة المفصل بباقي الظواهر فوق التّركيبيّة، فأشاروا بعض الإشارات لذلك، وهو ما سنتبيّنه في الفصل الثّاني من البحث.

[1]- "فن الكلام"، ص 282.

الفصل الثاني

المفصل الصّوتي

وعلاقته بالظواهر الأدائيّة

الكلام في أيّ لغةٍ من اللّغات سلسلةٌ من الأصوات المتتابعة تأتلف من صوامت ومصوّتاتٍ، تؤدّيها أعضاء النّطق في أشكالٍ متناسقةٍ وتراكيب منتظمةٍ، وهذه الأصوات تكوّن ما يعرف بجزيئات الكلام ولهذا تعرف بالفونيمات الجزئيّة أو التّركيبيّة، والّتي تساهم في بيان المعنى إلى جانب ملامحٍ وتنوعاتٍ صوتيّةٍ أخرى تسمّى الفونيمات الثّانويّة أو الفونيمات فوق التّركيبيّة أو الظواهر الأدائيّة، وتتمثّل هذه الملامح التّمييزيّة في: المقطع، النّبر، التّنغيم، والمفصل.

الـــمفصل الصّوتيّ وعلاقته بالظّواهر الأدائيّة:

وتعتبر الظواهر الأدائيّة ملامح ذات مغزى وقيمة في الكلام المتّصل؛ ولها أثرٌ هامٌّ في توجيه الدّلالة؛ إذ تتآزر جميعاً في بيان معنى الكلام ودلالته، ويرتبط المفصل الصّوتيّ بباقي الظواهر الأدائيّة، وإن لم يكن ارتباطاً جليّاً، سنحاول بيان ذلك الرّابط بعد بيان أثر هذه الظواهر في الدّلالة.

أوّلاً: الـــمفصل الصّوتيّ وعلاقته بالمقطـــع:

يرتبط المفصل الصّوتيّ بالمقطع ارتباطاً وثيقاً؛ إذ يساهمان في بيان المعاني المختلفة للكلام.

1- المقطـــع وأثره في الدّلالـــة:

تختلف الأصوات من حيث قوة إسماعها من صوتٍ لآخر، وهذه الميزة هي الّتي ساعدت على التّفرقة بينها، فترتّب عن ذلك أن تقسّمت الأصوات اللّغويّة إلى قسمين: الصّوامت والمصوّتات.

وعمليّة إنتاج الأصوات تبدأ بإخراج الهواء من الرّئتين واعتراض أعضاء النّطق المختلفة طريق الهواء، وليس إخراج الهواء عمليّة عضويّة تستمر قوّتها دون اختلافٍ، بل إنّ ضغط الهواء يتفاوت من جزءٍ إلى آخر من أجزاء الحدث الكلاميّ، وهذا الضّغط وما يترتب عليه من وضوحٍ ينتج المقاطع الصّوتيّة [1].

[1] – حسام البهنساوي، "علم الأصوات"، ص 149.

1-1- تعريف الـــمقطع:

ما زال تعريف المقطع تعريفاً علميًّا يمثّل صعوبة عند الدّارسين؛ إذ ليس هناك بعد تعريفاً متّفقاً عليه في كلّ اللّغات، وذلك لاختلافه فيها، رغم وجود شيءٍ من التّشابه، فبرز اتجاهان في تعريفه: الاتجاه الفونيتيكي والاتجاه الفونولوجي.

- **الاتجاه الفونيتيكي**: انقسم أصحابه إلى ثلاثة فرقٍ:

اعتمد الفريق الأوّل على العامل الفسيولوجيّ أو العضويّ للنّطق (physiological)، فعرّفوه بأنّه: "قذفةٌ صوتيّةٌ محصورةٌ بين إنطباقين من إنطباقات الجهاز الصّوتيّ [1]. أو كما يعرّفه جون كانتينو بأنّه: "الفترة الفاصلة بين عمليتين من عمليات غلق جهاز التّصويت، سواءً كان الغّلق كاملاً أم جزئياً [2]. لكنّ هذا المعيار إن صلح نظريًّا، لا يصلح للأخذ به عند اتصال المقاطع بعضها ببعضٍ في سلسلة الكلام.

وهناك فريقٌ ثانٍ آثر أصحابه الاعتماد في تعريفه على الجانب السّمعي للكلام (audable)، فالمقطع عند النّطق يكون أوضح وأكثر تأثيراً في السّمع، فهو يمثّل قمة الوضوح لاشتماله عادة على الحركة [3]، فالمقطع تتابعٌ من الأصوات الكلاميّة، له حدٌّ أعلى أو قمّة إسماعٍ طبيعيّةٍ تقعّ بين حدّين أدنيين من الإسماع [4]. لكنّ الاعتماد عليه لم يكن في كلّ الحالات؛ إذ قد يخلو مقطعٌ من المقاطع من المصوّتات.

أمّا الفريق الثّالث فأخد بالجانب الأكوستيكي (acoustic) في تحديده، وذلك بالاعتماد على ما يحدثه نطق المقطع من ذبذباتٍ ذات سماتٍ خاصّةٍ في الهواء، وواضحٌ أنّ هذا المعيار من الصّعب الاعتماد عليه؛ إذ إنّ ذبذبات الهواء الّتي يحدثها النّطق متداخلةٌ ومتّصلٌّ بعضها ببعضٍ إلى

---

[1]- عبد السّلام المسدي، "التّفكير اللّساني في الحضارة العربيّة"، الدّار العربيّة للكتاب، تونس، (د،ط)، 1981م، ص 261.

[2]- جون كانتينو، "دروس في علم الأصوات العربيّة"، ترجمة: صالح القرمادي، تونس، (د،ط)، 1966م، ص 19.

[3]- كمال بشر ،"علم الأصوات"، ص 505.

[4]- تمّام حسان، "مناهج البّحث في اللّغة"، دار الثّقافة، الدار البيضاء، المغرب، (د،ط)، 1979م، ص 171.

درجةٍ عاليةٍ، وإن كان في الإمكان تعرُّف آثار المصوّتات لاتسامها بطبيعتها بشدّة الوضوح السّمعيّ، لكنّ هذا التّعرّف لا يغني في تحديد المقطع [1].

– **الاتجاه الفونولوجي:** لجأ إليه العديد من الدّارسين باعتباره أدقّ وأقرب في تعرُّف المقطع، فعرّفوه بأنّه أصغر وحدةٍ صوتيّةٍ يمكن النطق بها ويستطيع المتكلم أن ينتقل منها إلى غيرها من أجزاء الكلمة [2]، واعتبروه وحدة ذات صفاتٍ وخصائص متميّزةٍ في كلّ لغةٍ، يقول رمضان عبد التواب: "المقطع كميّة من الأصوات، تحتوي على حركةٍ واحدةٍ، يمكن الابتداء بها والوقوف عليها، من وجهة نظر اللّغة موضوع الدّراسة، ففي اللّغة العربيّة مثلاً، لا يجوز الابتداء بحركةٍ، ولذلك يبدأ كلّ مقطعٍ فيها بصوتٍ من الأصوات الصّامتة [3].

1-2- أنواع المقاطع:

أحصى علماء الأصوات أشكالاً متعدّدةً من المقاطع تختلف من لغةٍ إلى أخرى، باختلاف قواعد تشكيلها الصّوتيّ، فقد أورد بايك (pike) عشرة أشكالٍ للمقطع متفاوتة الاستعمال في كلّ لغةٍ [4]. وقد صنّفوها على أساسين:

1- الطول والقصر:

أ- المقطع القصير: هو المقطع الذي يبدأ بصوتٍ صامتٍ، يتلوه مصوّتٌ قصيرٌ، ففي الفعل الماضي (شَرَبَ) ثلاثة مقاطع من هذا النّوع هي: (شَ+رَ+بَ) [5].

ب- المقطع الطّويل: هو المقطع الّذي يتكوّن من صوتٍ صامتٍ يتلوه مصوّتٌ طويلٌ، أو صامتٌ يتلوه مصوّتٌ قصيرٌ، يتبعهما صامت، مثال ذلك المقطعين في الفعل: (قَالَتْ)، فالمقطع الأوّل،

---

[1]- كمال بشر، "علم الأصوات" ، ص 505.

[2]- عبد الصبور شاهين، "القراءات القرآنيّة في ضوء علم اللّغة الحديث"، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (د،ط)، (د،ت)، ص25، و "دراسة الصّوت اللّغويّ"، ص 240.

[3]- رمضان عبد التّواب، "التّطور اللّغوي مظاهره وعلله وقوانينه"، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2، 1990م، ص 94.

[4]- أحمد محمّد قدور، "مبادئ اللّسانيات"، دار الفكر المعاصر، لبنان، دار الفكر، سوريا، ط2، 1999م، ص 111.

[5]- حسام البهنساوي، "علم الأصوات"، ص 149.

وهو (قَا) يتكوّن من صوتٍ صامتٍ ومصوّتٍ طويلٍ، والمقطع الثّاني وهو (لَتْ) يتكوّن من صامتٍ يتبعه مصوّتٌ قصيرٌ، ثمّ صامت [1].

2)- الإنغلاق والإنفتاح:

- فالمقطع المغلق (closed) ينتهي بصوتٍ صامتٍ، والمقطع المنفتح ينتهي بمصوّتٍ [1].

1-3- المقطـــع العربيّ:

المقطع مكوّنٌ عادة من وحدات أصواتيّة، جرى نظام العربيّة على أن تكون مزيجاً من صوامت ومصوّتاتٍ بالشّروط الآتية:

- أن يبدأ بصوتٍ واحدٍ.
- أن يثنى بمصوّت [2].

1-4- أنواع المقاطع العربيّة:

للمقطع في اللّغة العربيّة خمسة أنواعٍ من النّسج، لتمثيلها نرمز للصّوامت بالحرف (ص)، وللمصوّت القّصير بالحرف (م)، وللمصّوت الطّويل بالحرف (مَ) مع اعتباره صوتًـــا واحدًا، مع بيان ما يقابلها في اللّغة الأجنبيّة [3].

[1]- ينظر: "التّشكيل الصّوتيّ في اللّغة العربيّة"، ص 133. و إبراهيم أنيس، "الأصوات اللّغوية"، مكتبة الخانجي، مصر، ط4، 1978م ، ص 159.

[2] – ينظر: برتيل مالمبرج، "علم الأصوات"، ترجمة: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، المنيرة، مصر، (د.ط)، 1984م، ص 164.

[3] -(c=cosonne. V=voyelle).

والأنسجة الخمسة هي:

1- المقطع القّصير المفتوح:

يتكوّن هذا المقطع من صوتٍ صامتٍ ومصوّتٍ قصيرٍ، ويرمز له بـــ (ص م)، ويقابله في اللّغة الأجنبيّة (**CV**) وذلك نحو: بِ = ب — [1]، وهذا النّوع من المقاطع تشترك فيه جميع اللّغات [2].

2-المقطع المتوسّط المفتوح:

يتوالى في هذا المقطع صامتٌ ومصوّتٌ طويلٌ، ورمزه (ص مَ)، ويقـــابله (**CVV**)، وذلك نحو: فِي[3].

3-المقطع المتوسّط المغلق:

يتكوّن من صامتان يتوسطهما مصوّتٌ قصيرٌ، ورمزه (ص م ص)، ويقابله (**CVC**)، وذلك نحو: مِنْ، كَمْ [4].

4-المقطع الطوّيل المغلق بصامتٍ :

يتكوّن هذا المقطع من صامتٍ يليه مصوّتٌ طويلٌ فصامتٌ، ورمزه (ص مَ ص)، ويقابله (**cvvc**) وذلك نحو: بَابْ= ب ا ب [5].

---

[1] – ينظر: إبراهيم أنيس، "الأصوات اللّغوية"، ص 134. و أحمد حساني، "مباحث في اللّسانيات، مبحث صوتي، مبحث دلالي، مبحث تركيبي"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د،ط)، 2003م، ص 94. و عبد الصّبور شاهين، "المنهج الصّوتي للبنية العربيّة، رؤية جديدة في علم الصرف الصّوتيّ"، مؤسسة الرّسالة للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، (د،ط)، 1980م، ص 38.

[2]-« Dictionnaire de linguistique et des siences du language » , p 215.459.

[3] – "التّطور اللّغوي: مظاهره وعلله وقوانينه"، ص 95. و إبراهيم أنيس، "الأصوات اللّغوية"،، ص 134.

[4]– "التّشكيل الصّوتيّ في اللّغة العربيّة"، ص 133. و محمود السعران، "علم اللّغة العام، مقدمة للقارئ العربي"، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط2، 1999م، ص 209.

[5] – ينظر: "التّشكيل الصّوتيّ في اللّغة العربيّة"، ص 133. و "المنهج الصّوتيّ للبنية العربية"، ص 39. و حسام البهنساوي، "علم الأصوات"، ص 151.

5- المقطع الطّويل المغلق بصامتين:

يتشكّل هذا المقطع من صامتٍ فمصوّتٍ قصيرٍ يليه صامتان، ويرمز له بــ (ص م ص ص)، ويقابله (cvcc)، وذلك مثل: نَهْــرْ= ن هــ ر [1].

نشير إلى أنّ المقاطع الخّمسة الأولى الأكثر اعتمادًا عند علماء الأصوات العرب، ينضاف إليها نسجًا سادسًا مكوّنًا من صامتٍ فمصوّتٍ طويلٍ يليه صامتان، ورمزه (ص مَ ص ص)، ويقابله (cvvcc)، ومثاله المقطع الثّاني في (مَهَامْ)، وقد تغاضى عنه كثيرٌ من البّاحثين والدّارسين الصّوتيّين وذلك لقلّته وندرة حدوثه [2].

أمّا تمام حسان فأضاف مقطعاً تشكيليّاً غريباً على اللّغة العربيّة، يتكوّن من مصوّتٍ وصامتٍ (م ص)، مثاله أداة التّعريف (ال) [3].

وتعــدّ المقــاطع الثّلاثة الأولى الأكثر شيوعاً، وهي الّتي تكوّن الكثرة الغالبة من الكلام العربيّ [4]؛ إذ تتكوّن منها كلمات العربيّة في تسعٍ وتسعين في المائة [5].

وتميل اللّغة العربيّة إلى التّنوّع المقطعيّ، وتنفر من توالي المقاطع المتماثلة، فتعمد إلى حذف واحدٍ منها، وهذا ما يسمّيه اللّغويّون بــ "كراهة توالي الأمثال"[6].

فتوالي النّوع الأوّل والنّوع الثّالث جائزٌ مستساغٌ، وإن كانت اللّغة العربيّة في تطوّرها تميل إلى التّخلص من توالي النّوع الأوّل، أمّا توالي النّوع الثّاني فهو مقيّدٌ غير مألوفٍ في الكلام العربيّ، ولا يسمح بتوالي أكثر من اثنين، أمّا النّوعان الرابع والخامس فقليلا الشيوع؛ إذ لا يردان في النّسيج

[1]- ينظر: "التّشكيل الصّوتي في اللّغة العربيّة"، ص 133. و إبراهيم أنيس، "الأصوات اللّغوية"، 134.

[2] - برتيل مالمبرج، "علم الأصوات"، ص 201.

[3]- "مناهج البّحث في اللّغة"، ص 173-174. و "التّطوّر اللّغويّ، مظاهره وعلله وقوانينه"، ص 95.

[4]- إبراهيم أنيس، "الأصوات اللّغويّة"، ص 134.

[5]- برتيل مالمبرج، "علم الأصوات"، ص 165.

[6]- رمضان عبد التّواب، "بحوث ومقالات في اللّغة"، مطبعة الخانجي، القاهرة، ط2، (د،ت)، ص 27. و علي يونس، "بحوث في الشعر واللّغة"، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، (د،ت)، (د،ط)، ص 4.

اللّغويّ العربيّ إلاّ في حالة الوقف، ويختفيان عند تواصل التيّار الكلاميّ ويتحللان إلى مقاطع قصيرةٍ ومتوسطةٍ [1]. فالمقطع الرابع يندر وجوده في حشو الكلام، ومن صور مجيئه وروده في بعض الكلمات ذات الاستخدام النّادر نسبياً [2]، نحـــو قوله عزّ وجلّ: (الضَّالِّينَ) [3]، (الصَّافَّات) [4]، (الحَاقَّةُ) [5]، (مُدْهَامَّتَانِ) [6].

أمّا المقطع الخامس فيندر وجوده في حشو الكلام، لأنّه عسيرٌ على النّطق العربيّ، ولأنّ العربيّة ترفض التقاء السّاكنين، وذلك نحو (بَحْرَكُمْ = ص م ص ص ص + ص م ص)، فيما المقطع السّادس فهو نادر الوجود في النّثر ولا أثر له في الشّعر العربيّ [7].

1-5- أهمّيّة المقطع في الدّلالة :

أنكر بعض الدّارسين فكرة وجود المقطع نظراً لصعوبة تحديد نقطتي بدئه وانتهائه، فهو في نظرهم ظاهرة صوتيّة لا حدود لهـــا، وتجميع الفونيمات في مقاطع مجرد اصطلاحٍ دون تحقّقٍ موضوعيٍّ [8]، وأنّ القسم الوحيد الّذي يتحقّق في الكلام عمليّاً هو المجموعات النّفسيّة الّتي تعود إلى الضّرورة العضويّة للتّنفس[9]، لكنّ الدّراسات التّجريبيّة المعمليّة القائمة على التّسجيلات الفونوغرافيّة لحركة تيّار الكلام، أثبتت أنّ عضلات الصّدر تحدث نبضة منفصلة من الضّغط لكلّ مقطعٍ. فعدّت دراسة الأنظمة المقطعيّة العربيّة، بحـــقٍّ، من المباحث المجدّدة في ميدان الدّرس اللّسانيّ وقد أثمرت

[1] – عبد القادر عبد الجليل، "هندسة المقاطع الصوتية وموسيقى الشعر العربي"، دار صفاء للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 1998م، ص 58.

[2] – المهدي بوروبة، "ظواهر التّشكيل الصّوتي عند النّحاة واللّغويين حتّى نهاية القرن الثّالث الهجري"، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دوله في اللّغة، جامعة: أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2002م، ص 290.

[3] – "سورة الفاتحة"، الآية: 7.

[4] – "سورة الصّافات"، الآية: 1.

[5] – "سورة الحاقّة"، الآية: 1.

[6] – "سورة الرّحمن"، الآية: 64.

[7] – إبراهيم أنيس، "الأصوات اللّغويّة"، ص 135. و "علم اللّسانيات الحديثة"، ص355.

[8] – "دراسة الصّوت اللّغوي"، ص 238.

[9] – عبد القادر عبد الجليل، "الأصوات اللّغويّة"، ص 214-215.

نتائج، وجّهت الجوانب التّحليليّة والتّحويليّة والتّوليديّة للّغة صوب منظوراتٍ جديدةٍ [1]. وتظهر أهمّيّة أهمّيّة المقطع في عدّة عوامل:

– المتكلّمون لا يستطيعون نطق أصوات الفونيمات كاملة بنفسها، وإنّما ينطقون الأصوات في شكل تجمعاتٍ هي المقاطع، ولذا يقال إنّ المقطع هو"الوحدة الأساسيّة الّتي يظهر بداخلها نشاط الفونيم الوظيفي [2]، ولكي تصف المقطع أنت تخبر كيف تشكّله الفونيمات، ولتصف الفونيمات أنت أنت تدرس كيف تنظّم نفسها في المقاطع.

– يشكل المقطع درجة في السلّم الهرميّ للوحدات الصّوتيّة، والّتي تشكّل كلٌّ منها أصغر وحدةٍ تسبقه، فالوحدة اللّغويّة الصغرى هي الفونيم، ثمّ يأتي المقطع المكوّن من فونيماتٍ بترتيبٍ معيّنٍ، ثمّ تأتي مجموعة النّغم [3].

– التّركيب المقطعي يساعد كثيراً في اتخاذ قرارٍ بالنّسبة إلى أفضل تحليلٍ لصوتٍ أو مجموعةٍ صوتيّةٍ، تعدّ من النّاحية الصّوتيّة غامضة [4].

– المقطـــع مجال العمـــل بالنّسبة للطرق الثّلاث الأكثـــر أهمّيّة، والّتي تعدّل أصوات الكلمات وهي:

* النّبر، سواء كان نبر كلمةٍ أو نبر جملةٍ.

* الإطالة ذات المعنى، فلنجعل كلمة معيّنة أكثر تأكّيداً نمدّ مقطعاً معيّناً منها، وهو المقطع المنبور.

---

[1] - عبد القادر عبد الجليل، "الأصوات اللّغويّة"، ص 214-215.

[2] – فرديناند دي سوسيور، "محاضرات في الألسنية العامّة"، ترجمة: يوسف غازي و مجيد النّصر، دار النعمان للثقافة، صيدا، لبنان، (د،ط)، 1984م، ص 57.

[3] – "الدّراسات الصّوتية عند العلماء العرب والدّرس الصّوتي الحديث"، ص 206 .

[4] – "الدّراسات الصّوتية عند العلماء العرب والدّرس الصّوتي الحديث"، ص 206 .

* صعود وهبوط درجة الصّوت، وعادة ما يتطابق التّغيير الملحوظ في منحنى درجة الصّوت مع حدود المقطع [1].

– أثبتت التّسجيلات أنّ المتحدثين الّذين يتكلّمون بمهلٍ، والّذين يظنون أنّهم يتكلّمون في شكل أصواتٍ منفصلةٍ أنّهم واهمون، لأنّهم في حقيقة الأمر ينتجون مقاطع [2].

– المقطع عاملٌ هامٌّ في عملية النّطق، إلاّ أنّ الاختلاف في النّظام المقطعيّ للّغات نادرًا ما يكون فونيميًا، بمعنى أن يؤدّي إلى تغييرٍ في المعنى، فهو أساسيٌّ لاكتساب طريقة النّطق المطابقة لنطق أصحاب اللّغة، وأحسن طريقةٍ للتّعود على النّطق الصّحيح للنّغمات الصّوتيّة وللوقفات الموجودة في لغةٍ أجنبيّةٍ هي نطق الكلمات أو مجموعة الكلمات ببطءٍ مقطعاً مقطعاً، مع الوقفات الصّحيحة بين كلّ مقطعٍ ومقطعٍ، وبالتّدريج يزيد المرء من سرعة نطقه للحدث الكلاميّ حتّى يصل إلى السّرعة العادية [3].

فطريقة النّطق الصّحيحة تساعد على إتقان اللّغة جيّداً ممّا يساهم في بيان دلالة الكلام، وفهم مقاصده، و لم يقتصر دور المقطع على مساعدة النّاطقين فقط بل ساعد في تعليم الصّم، وقد نشر ماريشال (Marichelle) – رئيس مدرسة تعليم الصّم بباريس– نتائج أبحاثه مقرًّا بأهميّة المقطع، وأنّه أحد الأسس المتّينة للتّحليل اللّغوي، وسار في نفس الاتجاه كثيرٌ ممّن طوّروا طريقة المقاطع في تعليم الصّم [4].

– وتعليم هذه الفئة الخاصّة قصد دمجها في المجتمع، ومساعدتها على إيصال صوتها وفهم المراد من كلامها.

[1] – عبد القادر عبد الجليل، "الأصوات اللّغوية"، ص 214.

[2] – "دراسة الصّوت اللّغويّ"، ص 239.

[3] – "أسس علم اللّغة"، ص 97.

[4] – "دراسة الصّوت اللّغويّ"، ص 238.

1-6- المفصـــل الصّوتيّ وعلاقته بالمقطـــع:

الكلام تتابعٌ من الأصوات المنتظمة في شكل مقاطع وألفاظٍ، وكي يكون الكلام مفهوماً يجب أن يقف عند مقاطعه وحدوده [1]، وذلك بوضع علامات للاتصال والانفصال تساعد على بيان ما كتب منه، وكذا فسحاتٍ زمنيّةٍ بين أجزاء المنطوق به، فيعتمد على نبراتٍ فاصلةٍ تبيّن أجزاء القول من نهاياته . وقد ذكر الأحنف بن قيس عن عمرو بن العـــاص أنّه ما رأى رجـــلاً – مثله – تكلّم فأحسن الوقوف عند مقاطع الكلام، وأعطى حقّ المقام، وغاص في استخراج المعنى بألطف مخرجٍ، حتّى كان يقف عند المقطع وقوفاً يحول بينه وبين تبيعته من الألفاظ [1].

فالفصل مهمٌّ لبيان دلالات القول وزيادة الفهم والإقناع، يقول ابن رشد: "الألفاظ إذا لم يكن بينها فصول زمانية عسر فهم تلك المعاني لأنّها إذا وردت مشافعةً في الذهن لم يتمكّن الذهن من فهم واحدٍ منها حتّى يرد عليه أخر، شبيهٌ ما يعرض لمن يحب أن يتناول شيئاً من أشياءٍ سريعة الحركة فإنّه لا يتمكّن منها: وأمّا الثّاني فإنّ القول يكون بها غير لذيذ المسموع لأنّه إنّما يلتذّ السّامع بالنّبرات والوقفات الّتي بين أجزاء القول [2].

وكما تكون النّبرات والوقفات أو السّكنات بين الأقاويل والألفاظ تكون بين المقاطع أيضاً، وهذه الأخيرة تتعدّد أنواعها وتختلف من لغةٍ إلى أخرى، فقد تشيع بعض المقاطع في لغةٍ معيّنةٍ، وتشيع غيرها في لغاتٍ أخرى، إلاّ أنّها تجتمع في وجود فترةٍ زمنيّةٍ تفصل بينها في جميع اللّغات. و"الأزمنة الّتي بين المقاطع ربّما كانت سكناتٍ ووقوفاتٍ على ما عليه الأمر في أوزان العرب، وربّما كانت مركّبة من سكناتٍ ونبراتٍ على ما عليه الأمر في أوزان سائر الأمم [2].

وهذه الفسحة الزّمنيّة الّتي تفصل بين المقاطع هي ما يعرف حديثاً بالمفصل الصّوتيّ، والّذي يتّصل بالمقاطع الصّوتيّة، يقول ماريوباي: "إنّ التّقسيم المقطعي ليرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمفصل حيث

---

[1]- ينظر: "كتاب الصّناعتين"، ص 497.

[2]- "تلخيص الخطابة"، ص 283- 284.

توجد عادة وقفة غير محسوسة غالباً بين المقطعين [1]، أمّا من حيث فترتها الزّمنيّة "فقد تعادل أحياناً المفصل المفتوح (الانتقال الحّاد) [1].

والمفصل بخاصيّته التّمييزيّة كباقي الفونيمات التّركيبيّة الأخرى، يقول سعيد النعيمي: "الّذي جعل العلماء يسمّون هذه السّكتة صويتة (Phonème) مع أنّها عدمٌ، أنّ الصّويتة في التّشكيل تمييزيّة، فالّذي ميّز لفظة (باب) عن لفظة (ناب) صويتتا الباء والنون، والّذي ميّز معنى السؤال عن الرّاقي في: ﴿ **من راقٍ** ﴾ [2] عن احتمال المعنيين، هو السّكتة، فمهمّة السّكتة إذن في مثل هذه المواضع لا تختلف عن مهمّة أيّ صويتةٍ أخرى [3].

إلا أنَّ الفرق بين المفصل وغيره من الفونيمات التّركيبيّة أنّ هذه الأخيرة تدخل في البنيّة التّركيبيّة للمقطع، فيما فونيم المفصل فيعدّ من الفونيمات فوق التّركيبية الّتي تنتمي إلى التّركيب كلّه، وتمتد خلاله كالنّبر والتّنغيم وما إلى ذلك من الظّواهر- غير أنّها – ليست جزءاً من التّركيب نفسه فالمفصل لا يدخل في تركيب المقطع، فلا يسهم في تشكيل قاعدةٍ للمقطع أو قمّةٍ له [3]. فوجود المفصل كعدمه لا أثر ولا تأثير له على المقاطع؛ إذ لا تختلف سواء وجدت السّكتة (أي المفصل) أم لم توجد، ففي لفظ (من راق) مثلاً: نحن أمام مقطعين في الوقف: الأوّل: طويل مغلق، والثّاني: مديد، سواء أدغمنا النون في الراء، أم سكتنا مظهرين صوت النون، أي:

/م – ر/ ر – ق/ أو: /م – ن +/ ر – ق/ [3].

فالمفصل لا يدخل في تركيب المقاطع إذن، إلاّ أنّه يختلف باختلافها حسب اللّغات، فالبنيّة اللّغويّة العربيّة تقوم على ستّة مقاطع، وإن كانت الثّلاثة الأولى الأكثر شيوعاً، وتمثّل الكثرة الغالبة من الكلام العربيّ [4]، فيما في اللّغة الإنجليزية يشيع المقطع (ص م ص) أو (م ص) مثل gen-er-al ،

---

[1]- "أسس علم اللّغة"، ص 96.

[2]- "سورة القيامة"، الآية: 27.

[3]- "أبحاث في أصوات العربيّة"، ص 78.

[4]- ينظر: إبراهيم أنيس، "الأصوات اللّغويّة"، ص 134.

وفي لغاتٍ أخرى مثل الإسبانيّة والإيطاليّة واليابانيّة والأندونوسيّة يفضّل النّموذج (ص م) كما في (ge-ne-ra-le) بدلاً من (ge-ne-ral)، فاختلاف المقاطع يؤدّي إلى اختلافٍ أساسيٍّ في المفصل[1]. ففي الكلمة (ge-ne-ra-le) يكون المفصل عند كلّ مصوّتٍ أي بعد: ge و ne و ra و le، أمّا الكلمة الثّانية (ge –ne -ral) يكون الفصل بعد: ge و ne و ral أي آخر الكلمة، فيما يختفي عند المصوّت (a) لأنّ المقطع (ral) من نوع (ص م ص)، فلا وجود للسّكتة في وسطه.

والاختلاف المقطعي رغم أنّه لا يؤدّي إلى إختلافٍ في الدّلالة إلاّ نادراً، فإنّه يساعد على تعلّم اللّغات يقول ماريوباي عن ذلك: "الاختلاف المقطعي للّغات على الرّغم من النّظرة إليه على أنّه نادراً ما يكون فونيمياً، بمعنى أن يؤدّي إلى تغيير المعنى، أساسيّ لاكتساب طريقة النّطق المطابقة لنطق أصحاب اللّغة [1].

وهنا تظهر صلة المقاطع بالفواصل الصّوتيّة جليّة؛ إذ أنّ "أحسن طريقة للتّعود على النّطق الصّحيح للنّغمات الصّوتيّة وللوقفات الموجودة في لغةٍ أجنبيّةٍ هي نطق الكلمات مقطعاً مقطعاً ببطءٍ، مع الوقفات الصّحيحة بين كلّ مقطعٍ ومقطعٍ، وبالتّدريج يزيد المرء من سرعة نطقه للحدث الكلاميّ حتّى يصل إلى السّرعة العادية [1]، فالفواصل الصّوتيّة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمقاطع؛ إذ تفصل كلّ مقطعٍ عن الآخر.

ثانياً– الـــمفصل الصّوتيّ وعلاقته بالنّبر والتّنغيم:

كما يرتبط المفصل الصّوتيّ بالمقطع يرتبط بالنّبر والتّنغيم؛ إذ يتآزرون جميعاً في بيان معنى الكلام ودلالته.

1- النّبـــر وأثره في الدّلالـــة:

الكلام تتابعٌ من الأصوات المترابطة فيما بينها، ينطقها المتكلّم بضغط أحد أصواتها أو مقاطعها، فيجعله بارزاً واضحًا في السّمع أكثر من غيره، وهذا الضّغط هـــو الّذي يعرف بالنّبـــر، فما هو؟

[1]– ينظر: "أسس علم اللّغة"، ص 96 – 97.

1-1- تعريف النّبــــر:

النّبر وضوحٌ نسبيٌّ لصوتٍ أو مقطعٍ إذا قورن ببقيّة الأصوات في الكلام [1]، ويقع على الصّوت كما يقع على المقطع، ولا يتحقّق هذا إلاّ إذا بذل مجهود أشذ على جميع أعضاء النطق [2]، والّتي يعتريها نشاطٌ فجائيٌّ في أثناء التّلفظ بالمقطع المنبور، فتنشط عضلات الرّئتين، وتقوى حركات الوترين الصّوتيين فيقترب أحدهما من الأخر ممّا يسمح بتسرّب مقدارٍ قليلٍ من الهواء، فتعظم سعة الذّبذبات الصّوتيّة، ويصبح الصّوت عالياً واضحاً في السّمع، ويتحقّق هذا مع الأصوات المجهورة، أمّا مع الأصوات المهموسة فيبتعد أحد الوترين عن الآخر أكثر من ابتعادهما مع الصّوت المهموس غير المنبور، وبذلك يتسرّب أكبر مقدارٍ من الهواء، كما نسجّل نشاطاً غير معهودٍ في باقي أعضاء النّطق الأخرى، كأقصى الحنك واللّسان والشّفتين، ويتحقق هذا مع الصّوت المنبور فقط [3].

فالنّبر يتطلّب جهداً وطاقةً عضليّةً لتحقيقه، وهو نتيجة عدّة عوامل منها: الكميّة والضّغط والتّنغيم، فالضّغط بمفرده لا يسمّى نبراً، وربّما كان ذلك لأنّ النّبر يعرف بدرجة الضّغط على الصّوت أكثر ممّا يعرف بأيّ شيءٍ آخر، ولأنّ الضّغط في صورتيه: صورة القوّة وصورة النّغمة يتسّع مجال تطبيقه على النّبر أكثر ممّا يتسع مجال العوامل الأخرى [4].

2-1- أنواع النّبــــر:

أ- نبر الكلمة المفردة: يخصّ الوحدات الدّلاليّة، والّتي تختلف من حيث عدد مقاطعها، فالكلمة الّتي تأتلف من مقطعٍ واحدٍ يقع النّبر فيها على نواة المقطع، مثل: هذا ⟵ ص مَ.

والكلمة الّتي تتكوّن من مقطعين يقع النّبر الرّئيسي على المقطع الأوّل، ويأخذ المقطع الثّاني نبراً ضعيفاً، مثل: دارس ⟵ ص مَ ⟵ ص مَ ⟵ ص م ص.

1- "مناهج البّحث في اللّغة"، ص 194.

2- رمضان عبد التواب، "مدخل إلى علم اللّغة ومناهج البّحث اللّغوي"، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د،ط)، 1952، ص 86.

3- إبراهيم أنيس، "الأصوات اللّغوية"، 138- 139.

4- حسام البهنساوي، "علم الأصوات"، ص 154. و "علم اللّسانيات الحديثة"، ص 254.

ب- نبر الجملة: تتلوّن الجملة العربيّة وفق أغراض ومقاصد المتكلّمين، وتتوزع بين حالاتٍ مختلفةٍ: التّقرير، الاستفهام، التّوكيد، التّعجب، الإنكار أو أيّة حالاتٍ أخرى، فيأخذ النّبر طريقه عبر السّياق، ويقع النّبر على الكلمة الّتي يراد توكيدها أو الاستفهام أو الإنكار حيث تأخذ نواة مقاطعها النّبر الرّئيسي، مثل:

كسر الطّفل الزّجاج.

كسر الطّفل زجاج النّافذة.

كسر الطّفل زجاج نافذة الدّار.

كسر الطّفل زجاج نافذة دار المدير [1].

3-1- مواضع النّبــــر :

تختلف مواضع النّبر من لغةٍ إلى أخرى، فمنها ما يسير وفق قوانين تضبطه كالعربيّة والفرنسيّة، فالفرنسيّ يضغط عادة على المقطع الأخير من كلّ كلمةٍ، ومنها ما لا يكاد يخضع لقاعدةٍ ما في هذا كالإنجليزية [2].

واللّغة العربيّة لم يبيّن لنا القدامى قواعد تحدّدها، فيما جعل إبراهيم أنيس قوانين تحدّدها وفق ما ينطق بـــها مجيدو القراءات القرآنيّة الآن في مصر، مع الإشارة إلى أنّ قاعدته تعتمد على الأشكال الخمسة الأولى للمقطع العربيّ، دون ذكرٍ للمقطع السّادس الّذي أضافه بعض الدّارسين، يقول: "لمعرفة موضع النّبر من الكلمة العربيّة، ينظر أوّلاً إلى المقطع الأخير، فإذا كان من النّوعين الرابع والخامس كان موضع النّبر، ولا يكون هذا إلاّ في حالة الوقف، وإلاّ نظر إلى المقطع الّذي قبل الأخير، فإن كان من النّوع الثّاني أو الثّالث، حكمنا بأنّه موضع النّبر، أمّا إذا كان من النّوع الأوّل، نظر إلى ما قبله فإن كان مثله أي من النّوع الأوّل أيضاً، كان النّبر على هذا المقطع الثّالث حين نعدّ من آخر

1- "علم اللّسانيات الحديثة "، ص 373.

2- إبراهيم أنيس، "الأصوات اللّغوية"، ص 139 -141.

الكلمة، ولا يكون النّبر على المقطع الرابع حين نعدّ من الآخر إلاّ في حالةٍ واحدةٍ وهي أن تكون المقاطع الثّلاثة الّتي قبل الأخير من النّوع الأوّل [1].

4-1 - أثر النّبـــر في الدّلالـــة:

يعدّ النّبر من الفونيمات فوق التّركيبيّة الّتي تؤدّي دوراً هامّاً في الدّلالة؛ إذ تستعمله بعض اللّغات في التّفريق بين المعاني المختلفة، لكن لا يستخدم النّبر ملمحاً تمييزيّاً دائماً بحيث يكون معنى الطّرف المنبور مخالفاً لمعنى الطّرف غير المنبور، ففي بعض الحالات نجده غير مؤثرٍ البتة في تغيير المعنى، مثلاً: إذا نطقت كلمة (Police) بوضع النّبر على المقطع الثّاني كالمعتاد أو بوضعه على المقطع الأوّل كما ينطقها بعضهم [2].

فيما تظهر قيمة النّبر الدّلاليّة في وظائفه المتعدّدة، منها وظيفة على مستوى الكلام المتّصل وهي تعرُّف بدايات الكلمة ونهاياتها، فالكلمات قد تفقد جزءًا من مكوناتها نتيجة تداخلها أو إدغام أطرافها مع بدايات كلمةٍ لاحقةٍ، فتختفي حدودها فيأتي النّبر لبيانها، ويظهر ذلك خاصّة في اللّغات ذات النّبر الثّابت؛ إذ يخضع لقوانين تحدّده وتضبطه كما هو الحال في اللّغة العربيّة فهي قوانين – وإن كانت متشعّبة تشعّب صور تصريفات الكلمة ومكاناتها – تمكّن العارف من التّنبؤ بمواقع النّبر ودرجاته... وهناك لغات أخرى نبرها أشدّ ثباتاً واستقراراً بلزومه مقطعاً أو مقاطع بذاتها في الكلمة، كاللّغات الفنلنديّة والهنغاريّة والبولنديّة، فالنّبر في اللّغتين الأولتين يقع دائماً على المقطع الأوّل، ومكانه في اللّغة البولنديّة هو المقطع قبل الأخير من الكلمة، ففي هذه اللّغات يرشدنا النّبر بطريقٍ ضمنيّةٍ إلى بدايات الكلمات ونهاياتها [3]. وتعرُّف الكلمة يعني بياناً لمعناها ودلالتها .

[1]– إبراهيم أنيس، "الأصوات اللّغوية"، ص 139 –141.

[2]– "أسس علم اللّغة"، ص 93.

[3]– كمال بشر، "علم الأصوات"، ص 515.

فيما تظهر قيمة النّبر الدّلالية واضحة على مستوى الكلمات في لغاتٍ معيّنةٍ، كاللّغة الإنجليزيّة والألمانيّة والإسبانيّة؛ إذ يعتمد المعنى فيها على نوع النّبر ودرجاته، وعلى مواقعه من الكلمة، وتعرف هذه اللّغات باللّغات النّبريّة.

ففي اللّغة الإنجليزيّة مثلاً: الكلمة (import) إذا ركز في نطقها الإنجليزيّ على المقطع الأوّل تكون الكلمة حينئذٍ اسماً (import)، في حين إذا ركّز نبره على المقطع الثّاني تكون الكلمة فعلاً (import) [1].

ولعلّ من أهمّ اللّغات الّتي تستخدم النّبر في تغيّر مدلولات الكلمات هي اللّغة الصّينيّة [2]. فتغيّر مواقع النّبر يصنّف الكلمات إلى أسماءٍ وأفعالٍ واختلاف الجنس الصرفيّ يؤدّي إلى اختلاف المعنى. وليس الأمر كذلك في العربيّة على مستوى الكلمة [2]، فمعرفة قواعد النّبر وكيفيات توزيعه على التّراكيب المقطعيّة كما في الصّيغ الاشتقاقية لكلمة (كَتَبَ) لا يعني أنّ درجاته متّصلة بهذه الأصول يقول عبد القادر عبد الجليل: "إنّ اختلاف درجات النّبر لا يمتّ بصلةٍ إلى الأصول الاشتقاقيّة، حتّى ولو توحّدت وانتظمت، فإنّ حرّية النّبر تمنحه سمة الانتقال بشكلٍ مختلفٍ [3].

ولا تقتصر وظيفة النّبر الدّلاليّة في اللّغة الإنجليزيّة على تغيير الصّيغ بين الاسمية والفعلية، فقد يكون النّبر العامل الوحيد في التّفريق بين كلمتين وبالتّالي بين معنيين، فكلمة (August) تدلّ على شهر أوت (أغسطس) إذا وقع النّبر على المقطع الأوّل منها، أمّا إذا كان المقطع الثّاني هو المنبور فإنّها تدلّ على صيغة (مهيبٌ وجليلٌ) [4].

---

[1] – حسام البهنساوي، "علم الأصوات "، ص 155.

[2] – كمال بشر، "علم الأصوات "، ص 526.

كتب ـــ ص م^ / ص م / ص م.

يكتب ـــ ص م ص / ص م / ص م.

كتابــة ـــ ص م / ص م^ م / ص م / ص م.

مكتوب ـــ ص م ص/ ص م^ م / ص م.

[3] – عبد القادر عبد الجليل، "الأصوات اللّغوية"، ص 253.

[4] – "دراسة الصّوت اللّغوي"، ص 189.

هذا فيما يخصّ نبر الكلمات، أمّا نبر الجمل أو ما يعرف بالنّبر السّياقيّ فله قيمةٌ واضحةٌ في مجمل اللّغات النّبريّة حيث يتغيّر المعنى بتغيّر مواقع النّبر، أمّا اللّغة العربيّة فلها شبهٌ قريبٌ باللّغات النّبريّة من حيث توظيف النّبر وتوزيع درجاته توزيعاً مناسباً لمقاصد الكلام على مستوى الجملة [1].

وكما للنّبر أثرٌ على الكلام العاديّ، له أثرٌ على كلام اللّه عزّ وجلّ؛ إذ إنّ تغيير موضعه يؤدّي إلى لبسٍ في دلالة الآيات، من أمثلة ذلك:

قوله تعالى: ﴿ **فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ** ﴾ [2]، إذا قرئت كلمة (فَسَقَى) بنبر الفاء، يكون الفعل مشتقاً من (الفسق) لا من (السّقي) [3].

وكذلك قوله تعالى: ﴿ **فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ** ﴾ [4]، إذا قرئت كلمة (فَقَسَتْ) بدون نبر الفاء صار الفعل مشتقاً من (الفقس) لا من (القسوة) [5].

وكذلك قوله تعالى: ﴿ **بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا** ﴾ [6]، إذا تحوّل النّبر عن اللاّم في (لَهَا) يجعل الكلمتين: (أَوْحَى و لَهَا) كلمة واحدة: (أوحالها) بمعنى الوّحل، وهذا نهاية فساد المعنى [7].

وكذلك قوله تعالى: ﴿ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ** ﴾ [8]، إذا تحوّل النّبر عن الرّاء في (رضوا) يصبح يصبح الفعل مشتقاً من (ورض) وليس من (رضي)، وهذا فساد في المعنى أيضاً [9].

ويبقى النّبر في العربيّة من النّوع غير التّمييزيّ، أي لا تأثير له في المعنى، وإذا كان يسهل على السّامع تمييزه، فإنّه يصعب في الوقت نفسه على الدّارس تحديده وتقعيده، وهو أمرٌ عانى منه

[1]- كمال بشر، "علم الأصوات"، ص 519.
[2]- "سورة القصص"، الآية: 24.
[3]- محمّد محمّد داود، "العربيّة وعلم اللغة الحديث"، دار غريب، القاهرة، مصر، (د.ط)،2001م، ص 132.
[4]- "سورة الحديد"، الآية: 16.
[5] - "العربيّة وعلم اللّغة الحديث"، ص 132.
[6]- "سورة الزلزلة "، الآية: 4.
[7]- "العربيّة وعلم اللّغة الحديث"، ص 132.
[8]- "سورة البيّنة"، الآية: 8.
[9]- "العربيّة وعلم اللّغة الحديث"، ص 132.

الأصواتيّون المحدثون من العرب وغيرهم[1]، وإذا أخفق النّبر في دوره التّمييزيّ فإنّه يصبح شواخص تطريزيّة.

2- التّنغيم وأثره في الدّلالة:

يقول الجاحظ: "الصّوت آلة اللّفظ، والجوهر الّذي يقوم به التّقطيع والتّأليف، ولن تكون حركات اللّسان لفظاً، ولا كلاماً إلاّ بالتّقطيع والتّأليف وحسن الإشارة باليد والرأس، وحسن البيان باللّسان مع الّذي يكون، مع الإشارة من الدّلّ، والشّكل، والتفتل، والتثني [2].

وإشارة الجاحظ واضحةٌ إلى الجرس الموسيقي المرافق للحركة أثناء تأدية الفعل الكلاميّ، والّذي يكون مقروناً بما اصطلح عليه بالدّل، والشّكل، والتفتل، والتّثني، وهو دليلٌ على ما للتّنغيم من أهمّيّةٍ في ضبط الكلام قصد إضفاء البيان، وتقوية الدّلالة، وإسراع الفهم، ويعدّ من الجوانب النّطقيّة، والأدائيّة الّتي يحرص علم اللّغة على دراستها .

2-1- تعريف التّنغيم:

التّنغيم أو موسيقى الكلام [3] هو المصطلح الصّوتيّ الدّال على الارتفاع (الصعود) والانخفـــاض (الهبوط) في درجة الجهر في الكلام [4]، فهو التّغيّرات الّتي تحدث في درجة نغمة الصّوت المرتبطة بالاهتزازات النّاتجة عن تذبذب الوترين الصّوتيين [5]، والمؤدّي إلى اختلاف الوقع السّمعيّ؛ إذ الكلام لا يلقى بمستوى واحدٍ نظراً لاختلاف المواقع والحالات النّفسيّة، والّتي تفرز دلالاتٍ متباينةٍ، فالتّنغيم

---

[1] – غانم الحمد القدوري، "المدخل إلى علم أصوات العربيّة "، دار عمار، ط1، 2004م، ص 241.

[2]– الجاحظ (عثمان بن عمرو بن بحر)، "البيان والتبيين"، تحقيق: درويش جويدي، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ط3، 2003م، ص 206.

[3] – إبراهيم أنيس، "الأصوات اللّغوية"، ص 142..

[4]– "علم اللّغة، مقدمة للقارئ العربي"، ص 159.

[1]– هوارية الحاج علي، "الإيحاء الصّوتيّ وأثره في الدّلالة، دراسة نظريّة وتطبيقيّة في سينية البحتري"، مخطوط رسالة قدمت لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، تلمسان، الجزائر، 2007م، ص 212 .

ظاهرةٌ تنتظم التّركيب عن طريق إطلاق نغماتٍ موسيقيّةٍ منتظمةٍ ومتنوّعةٍ في حدثٍ كلاميٍّ معيّنٍ، وذلك لأداء دلالاتٍ معيّنةٍ [1].

ولدرجة الصّوت أهميّة بالغة في بيان الدّلالات المختلفة للكلمات، فالكلام يشتمل على درجاتٍ مختلفةٍ من درجة الصّوت، ما بين عاليةٍ ومنخفضةٍ، مستويةٍ ومنحدرةٍ، تتناسق فيما بينها لتؤدّي الجملة؛ إذ لا تسود نغمة واحدة في كلّ أجزاء الجملة، والتّسلسل الّذي نلحظه في درجة الصّوت يخضع لنظامٍ خاصٍّ يختلف من لغةٍ إلى أخرى، ولا بد من معرفة هذا النّظـــام في اللّغة الّتي يراد تعلّمها، وإلاّ فقد الكلام صبغته الخاصّة، وبعد عن النّطق الطّبيعيّ الخاصّ بكلّ لغةٍ [2]، وبالتّالي الفهم الأمثل له.

2-2- أنواع النّغمات :

يمكن حصر نغمات الكلام الرئيسيّة في نغمتين اثنتين، وذلك بالنّسبة إلى نهاياتها فقط، أمّا إطارها الدّاخلي فينتظم عدداً من التّنويعات الجزئيّة الكثيرة، وإنّما اعتمدنا هذا التّقسيم لتوافقه مع موضوع المفصل الصّوتيّ والّذي تصاحبه هاتين النّغمتين في نهاية الكلام .

أ- **النّغمة الأولى**: تسمّى النّغمة الهابطة (FALLING TONE)، وسمّيت كذلك للاتصاف بالهبوط في نهايتها، على الرّغم ممّا قد تنتظمه من تلويناتٍ جزئيّةٍ داخليّةٍ، وتظهر هذه النّغمة في:

- الجمل التّقريرية: ونعني بها تلك الجمل التّامة ذات المعنى الكامل غير المعلّق، كما في نحو: محمود في البيت [3].

- الجمل الاستفهامية بالأدوات الخاصّة: أي الّتي تحتوي أداة استفهامٍ خاصٍّ، مثل: (فين)، (مين)، (متى)، (إزاي)، كقولنا: محمود فين؟

---

[1] - "مناهج البّحث في اللّغة"، ص 194. -

[2] - إبراهيم أنيس، "الأصوات اللّغويّة"، ص 148.

[3] - يقول كمال بشر: آثرنا التمثيل باللّسان الدّارج لقرب مناله من القارئ العربي وسهولة استيعابه.

- الجمل الطلبية: والّتي تحتوي على فعل أمرٍ أو نحوه، مثل: أخرج برة [1].

ب- النّغمة الثّانية: وتسمّى النّغمة الصّاعدة (RISING TONE)، وذلك لصعودها في نهايتها، بالرّغم من تنوّع أمثلتها الجزئية الدّاخليّة أيضاً، ومن أمثلتها:

- الجمل الاستفهامية الّتي تستوجب الإجابة بلا أو نعم: مثل: محمود في البيت؟

- الجمل المعلّقة: ونعني بها الكلام غير التّام لارتباطه بما بعده، ويظهر ذلك بوجهٍ خاصٍّ في الجزء الأوّل من الجمل الشّرطية، مثل: إذا جيت، نتفاهم.

فالمثال انتهى بنغمةٍ هابطةٍ، لأنّ الكلام قد تمّ وأصبحت الجملة تقريرية، أمّا الجزء الأوّل (إذا جيت) فهو كلامٌ معلّقٌ، أي لم يتم، ويتوقف تمامه على الجواب، ويستدلّ على ذلك في الكتابة العادية بوضع الفاصلة (،) بعده [2].

3-2- التّنغيم وأثـــره في الدّلالة:

يعدّ التّنغيم من الظّواهر الصّوتيّة الّتي تكسو المنطوق كلّه، وتظهر أهمّيّته في إبراز القيم الدّلاليّة للفعل الكلاميّ، فيُهتدى به إلى معرفة المعاني المختلفة وبيان مقاصد الكلام، ففي العديد من اللّغات يستخدم التّنغيم في التّعبير عن دلالات الكلمة المفردة، وتعتبر اللّغة الصينيّة من أشهرها؛ إذ تعدّ درجة الصّوت أو نغمته جزءاً متأصّلاً من الكلمة، "وقيمته الفونيمية تعادل قيمة أصوات العلل أو الأصوات السواكن، ففي هذه اللّغة يمكن أن تنطق (Kanshu) بألحانٍ متعددةٍ فتعني مرة (اقرأ كتاباً) ومرّة (اقطع خشباً)، وكذلك (Fu) تنطق بأربعة ألحانٍ متعددةٍ فتعني مرة (رجلٌ)، ومرة (حظّاً سعيداً)، ومرة (مقرّ الوالي)، ومرة (غنيٌّ) [3]، فاختلاف النّغمات يتبعه تنوّعٌ في الدّلالة وهو ما نلحظه في اللّغة السويدية أيضاً – والّتي تستعمل نغمة نازلة إلى جانب نغمةٍ مركّبةٍ – فكلمة مثل: (anden) مع النّغمة البسيطة النازلة تعني (البطّ)، ومع النّغمة المركّبة تعني (النّفس) أو (الروح)، ومن الدّارسين من

---

[1] – ينظر: كمال بشر، "علم الأصوات"، ص 534- 538. و "دراسة الصّوت اللّغويّ"، ص 227.

[2] – ينظر: كمال بشر، "علم الأصوات"، ص 534- 538. و "دراسة الصّوت اللّغويّ"، ص 227.

[3] – "أسس علم اللّغة"، ص94.

يـــدّعي أنّ توقيعات الطبول المعيّنة من الإفريقيين إنّـــما هي محاكاة لنغمات الكلمات في اللّغات المحلية[2]. وتسمّى اللّغات الّتي يتحدّد معنى كلماتـــها عن طريق النّغمة [1] لغاتٍ نغميّةٍ.

لكن لا يستخدم التّنغيم فونيمًا تمييزيًّا دائمًا في كلّ اللّغات رغم وجوده في معظمها، ففي اللّغة الإنجليزية نادرًا ما تعدّ درجة الصّوت أو التّنغيم وحداتٍ فونيميةٍ، وغالباً ما يظهر أثرها في العبارات أو الجملة، لا في الكلمة المنفردة، لكن بمساعدة الموقف ربّما سبب التّنغيم اختلافاً في المعنى يمكن أن يوصف بأنّه فوينمي، وهناك مثالٌ بيّنٌ لاقى رواجاً بين اللّغويين، وهو يمثّل هذه الظّاهرة خير تمثيلٍ وذلك قولك: what are you reading, shakespeare ? بتنغيمها كما لو كان الشاعر هو المخاطب[2].

واللّغة العربيّة بدورها تستخدم التّنغيم للدّلالة على المعاني الإضافيّة، فالعبارات والجمل تلقى بأنماطٍ تنغيميّةٍ مختلفةٍ، فينبئ اختلافها وفقاً لاختلاف المواقف الاجتماعية، عن حالاتٍ أو وجهات نظرٍ شخصيّةٍ في عملية الاتّصال بين الأفراد كحالات الرّضا، والقبول، والزّجر، والتّهكم، والغضب، والتّعجب، والدّهشة، والدّعاء...[3]

وتصاحب هذه النّغمات بسماتٍ صوتيّةٍ أخرى كالنّبر القويّ لبعض المقاطع وتطويل الحركات، مع بضع الحركات أو الإشارات الجسميّة أيضاً، كرفع اليد أو الحاجب أو هزّ الكتف، أو الابتسام أو تقطيب الوجه، أو رفع الصّوت أو خفضه، وكلّها مع أنمـــاط التّنغيم المختلفة تقود إلى الاختلاف أو التّباين في المعنى السّياقي للعبارة الواحدة [2].

[1] – النّغمة يتصف بها مقطعٌ من المقاطع، فيوصف بأنّه ينطق بنغمةٍ صاعدةٍ أو هابطةٍ أو مستويةٍ، ينظر: "علم اللّغة، مقدمة للقارئ العربي"، ص 160.

[2] – "أسس علم اللّغة"، ص94.

[3] – كمال بشر، "علم الأصوات"، ص539– 540.

ويمكن التّمثيل لها بالجملة العامية: (شفت أخوك)، جملة إثباتية إذا نطقت بتنغيمٍ خاصٍّ، ولكنّها تكون استفهامية إذا نطقت بتنغيمٍ من نوعٍ آخر [1].

وقد يكون تنغيم الكلام هو الفيصل في تصنيف بعض الأساليب والتّراكيب وبيـــان معناها، فأسلوب الاستفهام مثلاً يدرك معناه رغم غياب أداة الاستفهام، كقول عمر بن أبي ربيعة [2]:

ثُمَّ قَالُوا: تُحِبُهَا ؟ قُلْتُ: بَهْرَا   عَدَد النَّجْمِ وَالحَصَا وَالتُرَابِ.

فالأداة الصّوتيّة الممثلة في التّنغيم المتصاعد هي العامل في الحكم على جملة (تحبها) أنّها جملة استفهامية. فيما تشتمل بعض التّراكيب على أدواتٍ استفهاميةٍ، وهي في حقيقة الأمر غير ذلك، مثال ذلك قوله سبحانه وتعالـــى: ﴿ **هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْـــرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا** ﴾ [3]، فأداة الاستفهام (هل) في هذه الحالة لا تفيد الاستفهام لأنّ الدّلالة عن طريق التّنغيم تقتضي التّقرير، ويكون الحرف (هل) بمعنى (قد) [4].

فالتّنغيم يبرز صنف الأساليب والتّراكيب، وبيان صنفها يعني بياناً لمعناها ومقصدها.

ويظهر أثر التّنغيم في القرآن الكريم أيضاً؛ إذ يبيّن مقاصد الآيات ودلالاتها، وهذا ما يلاحظ في الآيات التّالية:

يقول عزّ وجلّ: ﴿ **قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ، قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ** ﴾ [5]، فالتّنغيم في هذه الآية الكريمة في جزئها الثّاني يمثّل محوراً رئيسيًّا في تحديد الأبواب والتّراكيب. فعندما تقرأ جملة (قَالُوا: جَزَاؤُهُ ؟) بنغمة الاستفهام تكون مستفهماً عن جزائهم [6]،

1 – "دراسة الصوت اللّغوي"، ص 315.
2 – عمر بن أبي ربيعة، "ديوانه"، دار القلم، بيوت، لبنان، (د،ط)، (د،ت)، ص 30.
3 - "سورة الإنسان"، الآية: 1.
4 - "الإيحاء الصوتي و أثره في الدّلالة" ، ص115.
5 – "سورة يوسف"، الآيتان:74– 75.
6 – "علم اللّسانيات الحديثة"، ص 377.

وجملة (مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ) تدلّ على التّقرير، والّذي يقرّب معنى الآيات إلى الأذهان ويكشف عن مضانيها [1]، وتقرأ أيضاً على التّعجب والاستهجان (قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُه)، ويمكن أن تقرأ على الانزعاج والتّبرم [2].

وقوله تعالى: ﴿ **يُوسُف أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الخَاطِئِينَ** ﴾ [3]، في هذه الآية حذفت أداة النّداء، واستبدلت بقيمةٍ تعبيريّةٍ أخرى هي التّنغيم [4]، والحذف جاء في المقطع الأوّل (يوسف)؛ إذ حذفت أداة النّداء (يا)؛ لأنّه منادى قريبٌ مفاطنٌ للحديث وفيه تقريبٌ له، وتلطيفٌ لمحله [5]، ومجيء المنادى في الآية دون أداة النّداء لم يعدم أو يلغ وظيفتها ودليل ذلك ورود لفظ (يوسف) بلونٍ نغميٍّ مميّزٍ لها، وهو غير اللّون النّغميّ الّذي نجده في حالة وجود الأداة [6].

ويظهر أثر التّنغيم أيضاً في الآيتين التّاليتين:

– يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ** ﴾ [7].

[1] – ينظر: أحمد مختار عمر، "علم الدّلالة"، مكتبة العروبة للنّشر والتّوزيع، الكويت، (د.ط)، 1982م، ص 13، و محمّد حماسة عبد اللّطيف، "النّحو والدّلالة: مدخل لدراسة المعنى النّحويّ والدّلاليّ"، دار غريب للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 2006م، ص 122 – 123، و مختار عطيّة، "الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز: دراسة بلاغيّة"، دار المعرفة الجامعيّة، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص 202.

[2] – "علم اللّسانيات الحديثة"، ص 377.

[3] –"سورة يوسف"، الآية: 29.

[4] – عبد القادر عبد الجليل، "الأصوات اللّغوية"، دار صفاء للنّشر والتّوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1998م، ص260. و "علم اللّسانيات الحديثة"، ص377.

[5]– "الكشّاف"، 3/ 274. و الكلبي (أبو القاسم محمّد بن أحمد بن حزي)، "التّسهيل لعلوم التّنزيل"، تحقيق: محمّد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1995م، 1/ 409، و الحلبي (أحمد بن يوسف)، "الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت) 6/ 473.

[6] – والي دادة عبد الكريم، "التّنغيم في الّغة العربيّة: دراسة وصفيّة وظيفيّة"، مخطوط رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في اللّغويات"، جامعة: أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2006–2007م، ص 193. و ابن الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين"، تحقيق: جودة مبروك محمّد، مراجعة: رمضان عبد التّواب، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، مصر، ط1، (د،ت)، ص 100.

[7] – "سورة التوبة"، الآية: 62.

- ويقول أيضاً: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [1].

في الآيتين حذفت أداتا الاستفهام، وأقيم التّنغيم مكانهما، والأصل (أيحلفون)، و(أتبتغي) [2].

فالتّنغيم باعتباره فونيمًا تمييزيًّا يؤدّي دوراً هامًّا في توجيه الدّلالة، وإن لم يحظ بدراسةٍ جدّيةٍ من هذا الجانب.

2-4- الــمفصل الصوتيّ وعلاقته بالنّبــر والتّنغيم:

السّكت له دورٌ بارزٌ في تحديد المعنى والفهم الصّحيح والأمثل للكلام، خاصّة لآي القرآن الكريم، وقد ربط ابن الجزري بين صحّة الوقف وسلامة المعنى، فقال، "لّما لم يمكّن القارئ السّورة أو القّصة في نفسٍ واحدٍ، وجب اختيار وقتٍ للتّنفس والاستراحة، وتحتّم أن لا يكون ذلك ممّا يخلّ بالمعنى ولا يخلّ بالفهم؛ إذ بذلك يحصل الإعجاز ويحصل القصد، ولذلك حضّ الأئمة على تعلّمه ومعرّفته [3]. فالسّكت مرتبطٌ أشدّ الارتباط بالمعنى؛ إذ يبيّن أين يجب أن يقف القّارئ وأين يبدأ، على على أن يتماشى ذلك مع ما يقتضيه التّفسير والمعنى الصّحيحين، وأن يتناسب مع وجوه اللّغة والإعراب.

والتّحليل الإعرابيّ نفسه قد لا تفهم أسراره، ولا تُحلّ ألغازه إلاّ بحيلةٍ صوتيّةٍ ألا وهي التّنغيم، والسّكت والقطع والوقف عناصرٌ صوتيّةٌ تؤدّي ما يؤدّي التّنغيم في الكلام [4]؛ فيرتبطون به ارتباطاً وثيقاً؛ إذ يحتاج السّكت أو الوقف غالباً إلى قرينةٍ لإفادة معنى معيّن، ويعدّ التّنغيم أهمّها، كما في قوله عزّ وجلّ : ﴿ **قَالُــوا فَمَــا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ، قَالُــوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ**

1- "سورة التّحريم"، الآية:1.

2 - "علم اللّسانيات الحديثة"، ص 377- 378.

3- "النّشر"، 1/ 182.

4- عبد الحميد السيّد، "دراسات في اللّسانيات العربية، المشاكلة، التّنغيم، رؤى تحليلية"، دار الحامد للنّشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 2004م، ص56.

جَزَاؤُهُ ﴾ [1]، فالوقف على كاذبين بنغمة الاستفهام، يكون المراد منه: ما جزاء من سرق متاعنا؟ فكان جواب إخوة يوسف: أنّ جزاء من وجد الصواع [2] في متاعه فهو جزاؤه، وكأنّ المعنى المراد هو من ثبتت سرقته استحق ما يلحق به من عقابٍ [3].

فالتّنغيم بتعدّد نغماته يرافق المفصل الصّوتيّ، يقول جون دوبوا « Jean dubois »: "المفصل يصاحب بصعودٍ أو هبوطٍ في النّغم الأوّليّ، خاصّة في المفصل الدّاخليّ للكلمة مثل كلمة farouchement [faru#mà]" [4]، وتختلف النّغمات حسب نوع المفاصل "فتصاحب الوقفة الكاملة بنغمةٍ هابطةٍ دليلاً على تمام الكلام – فيما- تكون السّكتات مصحوبة بنغمةٍ صاعدةٍ دليلاً على عدم تمامه [5].

ونظراً للرّابط الّذي يجمع المفصل والتّنغيم، قسّم الخولي المفصل معتمداً على النّغمة المرافقة له، فقال: "الفاصل قد يكون صاعداً (rising) أو هابطاً (falling) ورمز الفاصل الصاعد هو/↑/، ورمز الفاصل الهابط هو /↓/ [6]، فالمفصل المرفوق بنغمةٍ صاعدةٍ سمّاه الفاصل الصاعد، فيما المنتهي بنغمةٍ هابطةٍ سمّاه الفاصل الهابط، وإن كان تقسيمه يبيّن الصّلة بينهما، فهو تقسيم غير معتمدٍ عند أغلب العلماء ذلك أنّ "الصعود والهبوط اللّذان ذكرهما صلتهما بالتّنغيم، وهو أمرٌ غير منضبطٍ في عربيّة اليّوم لارتباطه بالنّطق اللّهجيّ وتأثره به [7].

وهذه الفروقات في درجة الصّوت جعلت عبد الحميد السيّد يتخذها معياراً في تقسيمه لأنواع الوقف أيضاً؛ إذ دعّمها بالنّغمات [8].

[1] – "سورة يوسف"، الآيتان: 74- 75.
[2] – صواع الملك: إناءٌ كان يشرب فيه، ويكال به، ويقال له الصّاع، ينظر: "المفردات في غريب القرآن"، ص 276.
[3] – ينظر: ابن القيّم الجوزية، "بدائع الفوائد"، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، 2/ 74- 75.
[4] - Jean Dubois, « Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage », p : 262.
[5]– "فن الكلام"، ص 278 – 280.
[6] – "معجم علم اللّغة النّظري"، ص 142.
[7]– "أبحاث في أصوات العربيّة"، ص 72 – 73.
[8] – "دراسات في اللّسانيات العربيّة"، ص 60.

// – وقف بنغمةٍ هابطةٍ: يدلّ على انتهاء معنى الجملة، وأنّ فسحة زمنيّة يسيرة ستتبع ذلك قبل استئناف الكلام.

/ – وقف بنغمةٍ متوسّطةٍ لا هابطةٍ ولا صاعدةٍ: تدلّ على عدم تمام الكلام.

T– وقف بنغمةٍ متوسّطةٍ أيضاً: يدلّ على عدم تمام الكلام، وزمن الوقف هنا دون زمن الوقف السّابق ودون تنفسٍ.

والجملة التّالية يمكن تحليلها نحويًّا باعتبار ظاهرتي الوقف والتّنغيم أو السّكت والتّنغيم هكذا:

1- هذا T الرّجل الصّادق.

أو 2- هذا الرّجل T الصّادق //.

أو 3- هذا الرّجل الصّادق I.

في 1): (هذا) مبتدأ، خبره (الرّجل)، و(الصّادق) صفة.

في 2): (هذا) مبتدأ، خبره، (الصّادق) و(الرّجل) بدل.

في 3): يكون (هذا) مبتدأ و (الرّجل) بدل و(الصّادق) صفة [1].

والفيصل في تحليلنا هذا هو اختلاف في مواضع الوقف (أي السّكت)، والّذي يصحبه اختلاف في النّغمات كما أوضحنا.

وهذا بيت جميل بن معمر [2]:

لاَ لاَ أَبُوحُ بِحُبِ بُثَيْنَةَ إِنَّمَا أَخَذَتْ عَلَيَّ مَوَاثِقاً وَعُهُودَا.

---

[1] – "دراسات في اللّسانيات العربيّة"، ص 60.

[2] – جميل بن معمر، "ديوانه"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت)، ص 122.

يقول النّحاة أنّ (لا) الثّانية توكيد للأولى، وبذلك فالسّكت أولى على (لا) الأولى؛ إذ يقف القّارئ وقفة لطيفة ثمّ يستأنف، ومن الواضح أنّ تنغيم الجملة في حـــالة التّوكيد يتطلّب وصل الكلام [1].

وقد أدرك ابن الجزري هذه الصّلة بين السّكت والتّنغيم؛ إذ من خلالهما تبيّن دلالة الجملة في قوله تعالى: ﴿ **وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلاَنا فَانْصُرْنَا** ﴾ [2]، ففصل قوله عزّ وجلّ: "وَارْحَمْنَا أَنْتَ" بسكتةٍ على قوله : "مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا".

فالسّكت وتنغيم الجملة هما اللّذان جعلا ابن الجزري يرى أنّ (مولانا) تحمل معنى النّداء، ولا دليل على هذا المعنى غير ذلك، ولتوضيح المثـــال يمكننا تحليله كالآتي : تقول الآية الكريمة : ﴿ **رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَـــا لاَ طَاقَةَ لَنَا وَأَعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الكَّافِرِينَ** ﴾ [3].

أ- الوقف أو السّكت الأوّل على رأي ابن الجزري وأثر التّنغيم.

وَارْحَمْنَا أَنْتَ

//

مَوْلاَنَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الكَّافِرِينَ .

الكلام محدّدٌ، أي ارحمنا أنت دون غيرك [4].

1- "دراسات في اللّسانيات العربيّة"، ص 63.

2- "سورة البقرة"، الآية: 286.

3- "سورة البقرة"، الآية: 286.

4 - "النّشر"، 1/ 187.

فإدراك ابن الجزري للنّداء المتسبب الوقف به عائد إلى إدراكٍ صوتيٍّ تنغيميٍّ؛ إذ لا دليل على النّداء غيره، فهو خطابٌ من المؤمن إلى ربّه بواسطة الجملة الإنشائية (مولانا)، فالوقف كان وسيلة هامّة في تحميل الجملة معنى النّداء، أمّا المعنى المغاير فسنلحظه في تحليل الوقف الثّاني:

ب- الوقف الثّاني حسب فهم ابن الجزري وأثر التّنغيم.

وَارْحَمْنَا

//

أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الكَافِرِينَ.

جملة أمرية معطوفة على جملة سابقة لها.

وقف

كلام خبري [1].

المعنى اختلف بسبب تغيّر الوقف، وبالتّالي تغيّر تنغيم الجملة وفقاً لذلك، وإدراك ابن الجزري للمعاني المختلفة بناءً على ذلك.

فالتّنغيم والفواصل الصّوتيّة مترابطان أشدّ الارتباط، فالتّنغيم إنّما يتحدّد إطاره وتدرك أنماط نغماته في نهايات الجمل بالفواصل الصّوتيّة، ونعني بها الوقفات والسّكتات والاستراحات، فهما معاً الأمارات الأساسيّة الدّالة على أنماط التّراكيب وكيفيات تكوينها، وبهما أيضاً يمكن تصنيف هذه التّراكيب إلى أجناسها النّحويّة، وتحليلها تحليلاً لغويًّا سليماً [2]، فالمثال الآتي:

محمّد الصّغير، يمكن تحليله نحويًّا، مع مراعاة السّكتة بين المركّب الاسمي (محمّد)، والمركب الوصفي (الصّغير)، بحيث تكون النّغمة هابطة على المركّب الوصفي كالآتي:

---

[1] – "النّشر"، 1/ 187.

[2] – كمال بشر، "علم الأصوات"، ص 532.

1- محمّد + سكتة + الصّغير + نغمة هابطة.

اسم معرفة + صفة معرفة + نغمة هابطة = جملة تامّة.

مبتدأ + خبر ـــــــ تركيب مستقلّ[2].

في حين إذا جعلنا السّكتة في نهاية التّركيب، وأرفقناها بنغمةٍ صاعدةٍ، يصبح التّركيب كالآتي:

2- محمّد + الصّغير + سكتة + نغمة صاعدة.

اسم معرفة + صفة معرفة + نغمة صاعدة = جملة ناقصة.

مبتدأ + صفــة ـــــــــ تركيب غير مستقل[1].

والملاحظ أنّه عند السّكتات تكون المقاطع صاعدة، حيث لم ينته الكلام، ففي المثال: "لا وأيّدك الله": في الدّعاء للشّخص لا عليه، حرص النّحاة على الإتيان بالواو، حتّى لا يحدث اللّبس في الدّلالة على عكس المراد ولكن المقام، وما يصحبه النّطق من خواصٍّ صوتيّة، وكلّها عوامل تعين على المراد من دلالة الدّعاء، وفي هذه الحالة، يمكن الاستغناء عن هذه الواو، بأن نتبع أداة النّفي بسكتةٍ خفيفةٍ، لتكون أداة النّفي في هذه الحالة جملة تامّة بذاتها من عنصرٍ واحدٍ، تعقبها الجملة الأخرى كاملة العناصر النّحويّة[1].

فالتّنغيم والمفاصل الصّوتيّة يساهمان في بيان نوع التّراكيب وصنفها، وبعض الأمثلة والآيات تلقى إلينا بأكثر من وجهٍ إعرابيٍّ، لكن بنظرةٍ فاحصةٍ لأحوالها يتّضح أنّ المسوّغ الحقيقي لها كيفيات أدائها نطقاً، بما يلّفها من ظواهر صوتيّةٍ تمنح التّراكيب ألواناً موسيقية معيّنة تساعد على ترجيح هذا الوجه أو ذاك، ولتأكيد أهميّة دورهما (أي التّنغيم والمفاصل الصّوتيّة) في التّحليل الإعرابيّ نأتي بالمثال التّالي:

---

[1] – "الدّراسات الصّوتيّة عند العلماء العرب والدّرس الصّوتي، ص 250- 251.

يقول تعالى: ﴿ **أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ اَلْسَّمَاء بَنَاهَا** ﴾ [1]، تقرأ الآية الكريمة برفع (السّماء) ونصبها، فالرّفع على أنّ (السّماء) معطوف على الضّمير (أنتم)، فيما النّصب على الاشتغال بتقدير فعلٍ محذوفٍ يفسّره المذكور.

الوجهان صحيحان وفق ما تجيزه قواعد اللّغة، لكن لنتبيّن الفرق بينهما وما نتج عنه من اختلافٍ في نظم الآية وفي دلالتها، يقول كمال بشر: "في رأينا أنّ السّكتة - إيجاباً أو سلباً - هي الفيصل في فهم هذين الوجهين، وتسويغ جوازهما على وجهٍ دقيقٍ، ففي حالة رفع (السّماء) عطفاً على ما قبلها يقتضي النّطق سكتة خفيفة بعدها، مصحوبة بنغمةٍ صاعدةٍ، دليلاً على الاستفهام في هذا الجزء من الآية، ويأتي بقيّتها توضيحاً لمضمون المقصود. والملاحظ أنّ بعض القرّاء يقفون وقوفاً يكاد يكون تامًّـــا بعد كلمة (السّماء) في حالة الرّفع، وهو دليل إمكانيّة وقوع هذه السّكتة [2].

أمّا في حالة النّصب فلا سكتة ولا إمكانيّة لوقوعها بعد كلمة (السّماء)، لاتصالها بما بعدها؛ إذ هي في حكم المفعول للفعل بعدها، بل هي مفعوله عند بعضهم، وهنا تأتي إمكانيّة السّكتة في مكانٍ آخر، هو ما بين (خلقاً) والعاطف (أم) وما يتلوه.

وبهذا التّفسير الصّوتيّ للأداء، المعتمد على الفواصل الصّوتيّة والتّنغيم، يمكن إدراك جواز الوّجهين، كما يمكن إدراك ما نتج عنهما من اختلافٍ في نظم الآية. فعلى الوّجه الأوّل (رفع السّماء)، يكون نظمها على الوّجه التّالي:

أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ اَلْسَّمَاءُ ؟ بَنَاهَا...

في سورة استفهامٍ للجزء الأوّل وعلامته في الكتابة (؟)، يتلوه توضيح للمقصود بالجزء الآخر، أمّا في حالة (نصب السّماء)، فيأتي النّظم بهذه الصورة.

أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا، أَمِ اَلْسَّمَاءَ بَنَاهَا...؟

---

[1]- "سورة النّازعات"، الآية: 27.

[2] - كمال بشر، "علم الأصوات"، ص 561 – 562.

بسكتةٍ خفيفةٍ بعد (خلقاً)، مصحوبة بنغمةٍ صاعدةٍ، دليلاً على أنّ الكلام لم يتم، وتمامه بما بعده من الآية. وقد أشرنا إلى هذه السّكتة في الكتابة بالفاصلة (،) وتكون الجملة كلّها استفهام [1].

فالمفاصل الصّوتيّة والتّنغيم متلازمان؛ إذ يشكلان عاملاً مهمًّا في الإفصاح عن المعاني السّياقية، ولهما دورٌ بارزٌ في دقّة التّحليل اللّغويّ على المستويات كافة، وعلى الأخصّ في حسبانها عاملاً فاعلاً في تصنيف الجمل والعبارات إلى أجناسها النّحويّة المختلفة، وفي توجيه الإعراب كذلك [1]، وهو ما نتبيّنه من المثال الآتي:

قوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ** ﴾ [2].

– قرئت كلمة (الجنّ) بالنّصب في روايةٍ، وبالرّفع في روايةٍ أخرى، وكلتا القراءتين صحيحة بالنّسبة للمعنى الكليّ للآية الكريمة، فالنّصب على أنّ الكلمة بدل من سابقها المنصوب أو هي مفعول به أوّل مؤخر و(شركاء) مفعول به ثانٍ مقدّم، ومن ثمّ لا فصل بينهما في النّطق، والرّفع على أنّها خبر لمبتدأ محذوفٍ، وعلى هذا يقتضي النّطق سكتة خفيفة بين شطري الآية، أي بين كلمة (شركاء) وكلمة (الجنّ) وعلامتها في الكتابة الفاصلة [،] [3]، وهكذا تظهر الصّلة جليّة بين المفصل والتّنغيم ودورهما الفاعل في تصنيف الجمل والعبارات وتوجيه إعرابها.

وكما يرتبط السّكت (أو المفصل) بالتّنغيم يرتبط بالنّبر أيضاً، يقول النعيمي: "السّكتة لا تنفك عن التّنغيم والنّبر، وهما في العربيّة اليوم عادتان نطقيتان تتأثران كثيراً باللّهجات المحليّة [4]. فهي فونيمات تؤدّي الدّور ذاته، فالمفصل مثل النّبر والتّنغيم يميّز النّظام الصّوتيّ للّغة، كما أنّه يقوم بدورٍ وظيفيٍّ في تحديد دلالة ما ينطق به المتكلّم [5].

1– "فنّ الكلام"، ص 282.

2– "سورة الأنعام"، الآية: 100.

3– "فنّ الكلام"، ص 277– 278.

4– "أبحاث في أصوات العربيّة"، ص 78.

5– "الدّلالة الصّوتيّة"، ص 83 نقلاً عن: "من الصّوت إلى النّص"، ص 65.

فالنّبـــر والمفصل يرتبطان معاً، ويتشاركان في بيان المعاني والدّلالات، ففي قوله تعالـــى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾ [1]، لولا تموضع المفصل الصّوتيّ بين حدّي الكلمتين (أوحى) و (لها)، وكذا تموضع النّبر على اللاّم في (لها)، لتمظهرت الكلمتان في هيئة كلمةٍ واحدةٍ (أوحالها)، بمعنى (الوحل)، وهذا نهاية فساد المعنى [2].

فالظّاهرتان الصّوتيّتان تآزرتا في بيان معنى الآية الكريمة، وهو ما نلاحظه أيضاً في الآية التّالية: ﴿ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [3]، فإذا اختفى المفصل الصّوتيّ بعد الواو في (رضوا) وتحوّل النّبر عن الراء فيها، يصبح الفعل مشتقاً من (ورض)، وليس من (رضي)، وهذا فساد في المعنى أيضاً [4].

وهكذا تظهر الصّلة جليّة بين المفصل الصّوتيّ وغيره من الفونيمات فوق التّركيبيّة الأخرى كالمقطع، والنّبر، والتّنغيم؛ إذ أنّ هذه الظّواهر الصّوتيّة تتآزر جميعاً في بيان المعنى المراد للمنطوق.

[1]- "سورة الزلزلة"، الآية: 4 .

[2]- "العربيّة وعلم اللّغة الحديث"، ص 132.

[3]- "سورة البينة"، الآية: 8.

[4]- "العربيّة وعلم اللّغة الحديث"، ص 132.

الفصل الثالث

المفصل الصّوتي وأثره في الدّلالة،

دراسة تطبيقيّة على نماذج من القرآن الكريم

بعد الدّراسة النّظريّة لظاهرة المفصل الصّوتيّ، والّتي أخذت فصلين كاملين من بحثنا، وصلنا إلى الجانب التّطبيقيّ من الدّراسة، وقد رأيت أن أجعل القرآن الكريم مجالاً له، لأنّه كتاب العربيّة الأوّل، ومعجزتها الخالدة، "ومثالها العالي الّذي يجب أن يتّصل به كلّ عربيٍّ أراد أن يكسب ذوقها، ويدرك حسّها ومزاجها، ويستشف أسرارها في البيان وخصائصها في التّعبير والأداء [1].

وقد اخترت أن يكون تطبيقي على نماذج من القرآن الكريم، ليكون التّطبيق أكثر توسّعاً منه في سورةٍ واحدةٍ، خاصّة وأنّه لم تتوفّر العديد من الآيات في سورةٍ واحدةٍ، والّتي يختلف معناها تبعاً لاختلاف السّكت.

وقد اتخذنا رواية حفص لتطبيقنا، ذلك أنّ معظم السّكتات الّتي في القرآن الكريم وردت لحفص [2] عن عاصم [3]، مع العلم أنّنا أشركنا ما ورد بلفظ الوقف أيضاً، والّذي كان له أثرٌ وجيهٌ في الدّلالة، ذلك أنّهما يؤدّيان الوظيفة ذاتها "قطع الصّوت لمعنى دلاليٍّ"، وكذا نظراً لقلّة السّكتات في كتاب الله العزيز.

وقد أوردنا الآيات الّتي اتخذت نماذج لتطبيقنا مرتبة، وفق ترتيب السّور في القرآن الكريم، مع بيان معناها الإجمالي.

نستهل تطبيقنا بالسّكتات الواردة في رواية حفص؛ إذ ورد له عن عاصم ستّة سكتاتٍ في القرآن الكريم، أربعة باتفاقٍ واثنتان باختلافٍ [4]:

أوّلاً: السّكتات الواردة في رواية حفص باتفاقٍ أربع:

[1] – عائشة عبد الرّحمن (بنت الشاطئ)، "التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم"، دار المعارف، مصر، ط5، 1997م، 1/ 3.

[2] – حفص بن سليمان بن المغيرة أبو عمر بن أبي داود الأسدي الكوفي الغاضري البزّار، أخذ القراءة عرضاً وتلقيناً عن عاصم، وكان ربيبه ابن زوجته، توفي سنة (180هـ). ينظر: "غاية النهاية"، 254/1.

[3] – عاصم بن بهدلة أبي النّجود أبو بكر الأسدي، أحد القراء السبعة، وهو الإمام الّذي انتهت إليه رياسة الإقراء بالكوفة بعد أبي عبد الرّحمن السلمي، توفي سنة (127هـ). ينظر: "غاية النهاية"، 328/1.

[4] – "الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم"، ص 22 – 23.

السّكتة الأولى:

يقول سبحانه: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا، قَيِّماً لِيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً** ﴾ [1].

أنزل الله سبحانه وتعالى كتابه القرآن على سيدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم، فهو المقصود بالعبد، "ووصفه بالعبوديّة تشريفاً له، وإعلاماً باختصاصه وقربه [2]. وقد لقّن عباده وعلّمهم كيف يثنون عليه ويحمدوه على أجزل نعمائه عليهم، وهي نعمة الإسلام؛ إذ يقول: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾.

﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾: لم يجعل له شيئاً من العوج، فالمراد نفي الاختلاف والتّناقض عن معانيه، وخروج شيءٍ من الحكمة والإصابة فيه [3].

﴿ قَيِّماً ﴾: جعله قيّماً أي مستقيماً، قال بعضهم: ما فائدة نفي العوج وإثبات الاستقامة؛ إذ أن أحدهما يغني عن الآخر؟ يقول الزمخشري: "فائدته التّأكيد، فربّ مستقيمٍ مشهودٍ له بالاستقامة، ولا يخلو من أدنى عوجٍ عند السّير والتّصفح، وقيل: (قَيِّماً) على سائر الكتب، مصدّقاً لها، شاهداً بصحّتها، وقيل (قَيِّماً) لمصالح العباد وما لا بد لهم من الشّرائع [3].

﴿ لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾: في ختام الآية وعيد وتهديد للمشركين بكتاب الله، وبشرى للمؤمنين الصّالحين بالأجر الحسن في الدّار الآخرة [3].

وقد ورد سكتٌ في الآية الكريمة؛ إذ سكت حفص سكتة لطيفة من غير قطع نفسٍ على الألف المبدلة من التّنوين في قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا ﴾، إشعاراً منه بأنّ

---

[1]- "سورة الكهف"، الآيتان :1 – 2.

[2]- "التّسهيل"، 501/1.

[3]- "الكشّاف"، 3/ 564.

(قَيِّماً) ليس متّصلاً بـــ (عِوَجَا) إنّما هو صفة الكتاب [1]، وكذا الرواية عن نافع [2]، وعـــاصم[3].

والحكمة من وجود السّكتة المفصليّة بين كلمتي (**عِوَجَا**) و (**قَيِّماً**)، الفرار ممّا قد يوهمه الوصل كون (قَيِّماً) وصف لـــ (عِوَجَا)؛ إذ كيف للاعوجاج أن يكون مستقيماً، وقصد بيان أنّ (قَيِّماً) بعده ليس متّصلاً بما قبله في الإعراب، فيكون منصوباً بفعلٍ مضمرٍ تقديره: (أنزله قيّماً) فيكون حالاً من الهاء في أنزله [4]. وخالف هؤلاء جماعة منهم الأخفش (ت207 هـــ) ومجاهد [5]؛ إذ يقولون أنّ (عِوَجَا) رأس آيةٍ، والسّكت يكون على (قَيِّماً)، وجعلوه على التّقديم والتّأخير، والمعنى عندهم: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ قيّماً وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا [6].

وردّ عليهم أبو جعفر بقوله: " أمّا أقوال أهل التّأويل المتقدّمين فإنّما هي تفسيرٌ، وليس يجوز أن يكون السّكت على (قَيِّماً) لأنّ بعده لام (كي) ولابد من أن تكون متعلّقة بما قبلها، ولست أدري كيف أغفل هذا من النّحويين ممّن ذكرنا، والّذي قاله عاصم ونافع ومن تابعهما أبيّن وأولى، ويكون التّقدير: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا، ثمّ قال جلّ وعزّ : (قَيِّماً) أي أنزله قيّماً [7].

---

[1]- "الدرّ المصون"، 435/7.

[2]- الإمام نافع بن عبد الرّحمن بن أبي نعيم بن أبي رويم اللّيثي، أحد القرّاء السّبعة، أخذ القراءة عرضاً عن جماعة من تابعي أهل المدينة، توفي سنة (169هـــ)، له في فن الوقف كتاب: "الوقف التّمام"، ينظر: "الفهرست"، ص 54، و "وفيات الأعيان"، 368/5.

[3]- "القطع والائتناف"، ص 307.

[4]- "النّشر"، 2/ 338.

[5] – أحمد ابن موسى بن العباس أبو بكر بن مجاهد، كبير علماء القراءات وأوّل من سبّعها، توفي سنة: (334 هـــ)، ينظر: "وفيات الأعيان"، 1/ 99.

[6]- الأخفش (سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي)، "معاني القرآن"، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص521، و "القطع والائتناف"، ص307.

[7]- ينظر: "القطع والائتناف"، ص 307-308.

أمّا فيما يخصّ إبدال التّنوين ألفاً يقول أحمد الحلبيّ (ت 756هـــ): "بعض القرّاء يطلق فيقول: يقف على عوجاَ، و لم يقولوا يبدل التّنوين ألفاً، فيحتمل ذلك، وهو أقرب في غرضه ممّا ذكرت، وقد نُقل هذا من ابن غلبون، أعني الإطلاق ثمّ قال: "وفي ذلك نظر أي في إبدال التّنوين ألفاً، فإنّه لو وقف على التّنوين لكان أدلّ على غرضه، وهو أنّه واقف بنيّة الوّصل[1]، لا بنية الإعراض عن القراءة.

السّكتة الثّانية:

يقول تعالى: ﴿ **قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ** ﴾ [2].

الآية الكريمة جاءت سؤالاً من الرّاقدين عن الباعث يقول سبحانه: ﴿ مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ﴾ يقول مجاهد: "إنّ البشر ينامون نومة قبل الحّشر- فيما يرى البعض أنّ – هذا غير صحيح الإسناد، وإنّما الوجه في معنى قولهم (من مرقدنا): أنّها استعارة وتشبيه يعني به أنّ قبورهم شبّهت بالمضاجع لكونهم فيها على هيئة الرقاد، وإن لم يكونوا رقاداً في الحقيقة [3].

والمرقد يكون اسم مصدر أو اسم مكان، والسؤال يستلزم جواباً: ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [4]. أي: بعثكم الرّحمن كما وعدكم وأنبأكم به أنبيائه المرسلون، "ويحتمل أن يكون هذا الكلام من بقية كلامهم أو من كلام الله أو الملائكة أو المؤمنين يقولونها للكفّار على وجه التّقريع [5].

ويظهر السّكت في الآية بعد لفظ (مرقدنا) أي: ﴿ **قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا + هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ** ﴾، فيكون معنى سؤالهم عن البعث من المرقد

[1]- "الدّر المصون"، 7/ 435.
[2]- "سورة يس"، الآية: 52.
[3]- "التّسهيل"، 2/ 226.
[4]- "سورة يس"، الآية: 52.
[5]- "التّسهيل"، 2/ 226.

واضحاً في بداية الآية، ثمّ إجابة الملائكة أو المؤمنين أو إجابتهم أنفسهم في الجزء الثّاني من الآية أي: ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾.

فالسّكت على (مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا) مأثورٌ عن ابن عباس رحمه اللّه تعالى، ويستحب الوقوف عليه لأنّه كلامان على ما روي في التّفسير أنّ الكفّار قالوا: (مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا)، وقالت لهم الملائكة: (هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ)، أي: انقطع الكلام عند (المَرْقَدِ) ثمّ قالت الملائكة: (هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ) ... وكذا روي عن عاصم: أنّه كـــان يقف على (مِنْ مَرْقَدِنَا) [1].

فيما لو وصل الكلام في هذا الموضع، وجاء السّكت بعد اسم الإشـــارة (هذا): أي ﴿ **مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا + مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ** ﴾ ، فيؤدي إلى لبسٍ في معنى الآية الكريمة؛ "إذ يمكن أن يفهم منه أن تكون (ما) نافية لوعد الرّحمن بلفظها ولصدق المرسلين بالتّقدير، أو نفيّ وعد الرّحمن وإثبات صدق المرسلين، وفيه من الاضطراب ما لا يخفى على أنّ لمتمحلٍ أن يقول: ناسب ذلك اضطراب الكفّار في ذلك اليوم [2].

فيما يجوّز ابن الأنباري [3] الوقف على (مِنْ مَرْقَدِنَا) ويبتـــدئ (مَـــا وَعَدَ الرَّحْمَنُ) أي (بعثكم وعد الرّحمن) [4] فتكون (ما) مصدرية أو موصولة، ويكون اسم الإشارة (هذا) صفة لـــ (مَرْقَدِنَا)، وكان تقدير حذفٍ في الكلام، كأنه قيل: ما وعد الرّحمن حقٌّ أو ما شابه، وقال الزجاج: يجوز أن يكون (هذا) اسم إشارة إلى المرقد ثمّ استؤنف: (مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ)، ويضمر الخبر: (حقّ) أو نحوه [5].

---

[1]- "القطع والائتناف"، ص 432.

[2]- "أبحاث في أصوات العربيّة"، ص 68.

[3]- إمام اللّغة محمّد بن القاسم بن محمّد بن بشار بن الحسن أبو بكر بن الأنباري البغدادي، المتوفى سنة (328هـــ)، صنّف في فن الوقف كتاب: "إيضاح الوقف والابتداء في كتاب اللّه عزّ وجلّ"، ينظر: "الفهرست"، ص 54 و112.

[4]- "إيضاح الوقف والابتداء"، ص 853.

[5]- "البّحر المحيط"، 7/ 341.

وتبعه الزّمخشري فقال: "يجوز أن يكون (هذا) صفة للمرقد، و(مَا وَعَدَ) خبر مبتدأ محذوفٍ، أي (هذا وَعَدُ الرَّحْمَنُ)، أو مبتدأ محذوف الخبر، أي (ما وعد الرّحمن وصدق المرسلون حقّ عليكم...) [1]، غير أنّه روي عن حفص عن عاصم سكتة لطيفة على الألف المبدلة من (مَرْقَدِنَا) ثمّ يقول: (مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ) [2].

فوجود السّكت في الآية بعد كلمة (مَرْقَدِنَا)، ساهم في إثبات المعنى الأوّل لها، وهو الأوضح والأبيّن.

السّكتتان الثّالثة والرّابعة:

يقول تعالى: ﴿ **وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ** ﴾ [3].

ويقول سبحانه أيضاً: ﴿ **كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ [4].

نورد في هذه المرّة آيتين معاً، ذلك أنّ الحكمة من السّكت فيهما واحدة، فلم يكن بدٌ من التّكرار، على أن نبيّن المعنى الإجمالي للآيتين كلاًّ على حداً.

المعنى الإجمالي للآية الأولى:

(مَنْ رَاقٍ)، وراقٍ اسم فاعلٍ، إمّا من: "رَقَى، يَرْقِي، من الرُّقْيَةِ، وهو كلامٌ معدٌّ للاستشفاء يرقى به المريض ليشفى، وإمّا من: رَقَى، من الرُقِيِّ وهو الصّعود [5].

يقول الزّمخشري: "قال حاضر صاحبها – وهو المحتضر- بعضهم لبعضٍ (مَنْ رَاقٍ) أيّكم يرقيه ممّا فيه ؟، وقيل من كلام ملائكة الموت، أيّكم يرقى بروحه ؟ ملائكة الرّحمن أم ملائكة العذاب [6].

---

[1]- "الكشّاف"، 6/ 182.

[2]- "النّشر"، 2/ 338.

[3]- "سورة القيامة"، الآية: 27.

[4]- "سورة المطففين"، الآية: 14.

[5]- "لسان العرب"، مادّة: رقى.

[6] - "الكشّاف"، 6/ 271.

المعنى الإجمالي للآية الثّانية:

(بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ) من: "رَانَ، يَرِينُ، رَيْناً، ران فيه النّوم، أي: رسخ فيه، ورانت به الخمر: ذهبت به (بعقله) [1]. ران على قلوبهم: أي غطى على قلوبهم ما كسبوا من الذنوب، فطمس بصائرهم فصاروا لا يعرفون الرّشد من الغيّ [2]، وقال بعض السلف : "هو الذنب على الذنب، حتّى يعمى القلب، وقيل: لّما كثرت ذنوبهم ومعاصيهم أحاطت بقلوبهم. وأصل هذا أنّ القلب يصدأ من المعصية، فإذا زادت غلب الصدأ حتّى يصير ريناً [3].

بيان سبب السّكت في الآيتين:

ورد برواية حفص عن عاصم السّكت على (من) في قوله تعالى: ﴿ **قِيلَ مَنْ رَاقٍ** ﴾ [4]، [4]، وفي قوله عزّ وجلّ: ﴿ **كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ** ﴾ [5] على اللاّم في (بل)، وذلك قصد تفويت الإدغام وإظهار اللاّم والنون لئلا تنقلبا راءً في الوصل فيتوّهم أنّهما كلمة واحدة، يقول ابن الجزري: "وجه السّكت في (مَنْ رَاقٍ) و (بَلْ رَانَ) قصد بيان اللّفظ ليظهر أنّهما كلمتان [6]، ذلك أنّ العرب تدغم النون في الراء، يقول سيبويه (ت 180 هـــ): "النّون تدغم تدغم مع الرّاء لقرب المخرجين على طرف اللّسان... نحو قولك: من راشد، ومن رأيت، وتدغم بغنّةٍ وبلا غنّةٍ [7].

---

[1]- "لسان العرب"، مادّة: ران.

[2]- "التّسهيل"، 1/ 549

[3] – ينظر: ابن قيّم الجوزية (شمس الدّين أبي عبد اللّه محمّد)، "الجواب الكافي لمن سأل عن الدّواء الشافي، أو الدّاء والدّواء"، مكتبة دار البيان، دمشق، سوريا، ط3، 2001م، ص 78.

[4] – "سورة القيامة"، الآية: 27.

[5] – "سورة المطففين"، الآية: 14.

[6]- "النّشر"، 2/ 338.

[7]- "الكتاب"، 2/ 414.

وقرأ بالإدغام جمهور القرّاء، قال ابن خلويه: قوله تعالى: (مَنْ رَاقٍ) أجمع القرّاء على قراءتها بالوصل والإدغام إلاّ ما رواه حفص عن عاصم بقطعها، وسكتةٍ عليها، ثمّ يبتدئ : راقٍ... [1].

فسيبويه ذكر أنّ الإدغام يكون بغنّةٍ وبغير غنّةٍ و لم يذكر الإظهار، فالإدغام أولى في رأيه، وهو ما قاله عن إدغام اللام في الراء أيضاً نحو: هل رأيت، فالإدغام أحسن وأجود، يقول: "تدغم اللام مع الراء نحو: (أشغل رجبة) لقرب المخرجين، ولأنّ فيهما انحرافاً نحو اللام قليلاً وقاربتها في طرف اللّسان، وهما في الشدّة وجري الصّوت سواء، وليس بين مخرجيهما مخرجٌ، والإدغام أحسن [2].

وقرأ به جمهور القرّاء أيضاً في (بَلْ رَانَ) يقول ابن خلويه: "قوله تعالى: (بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم) اتفق القرّاء على إدغام اللام في الراء لقربها منها في المخرج، إلاّ ما رواه حفص عن عاصم من وقوفه على اللام وقفة خفيفة ثمّ يبتدئ: (رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم)، ليعلم بانفصال اللام من الراء؛ إذ إنّ كلّ واحدة منها في كلمة بذاتها، فرقا بين ما ينفصل من ذلك فيوقف عليه، وبين ما يتّصل فلا يوقف عليه، كقولك: (الرّحمن الرّحيم) [3].

فوجوب الإدغام في لام التّعريف لعدم انفصالها عمّا تعرّفه، وجواز الإظهار أو السّكت مع لام (بل) لإمكانية الفصل، وإن كان النعيمي يذكر أنّ عاصما لم يفصل لعلّةٍ إنّما هي لغته يقول: "ذكر سيبويه أنّ الإظهار لغة أهل الحجاز، ومعنى ذلك أن عاصما فيما رواه عنه حفص إنّما قرأ بلغتهم و لم يفصل للعلّة الّتي ذكرها ابن خلويه ومثال ذلك يقال فيما نقل من

[1]- ابن خلويه، "الحجّة في القراءات"، تحقيق: بدر الدّين قهوجي، دار المأمون للتراث، ط1، 1984م، ص 330.

[2]- "الكتاب"، 2/ 414.

[3]- "الحجّة"، ص 338.

رواية قالون [1] لقراءة نافع. قال سيبويه: "وإن لم تدغم فقلت: (هل رأيت) فهي لغة أهل الحجاز، وهي عربيّة جائزة [2].

وقد ذكرنا فيما سبق أنّ الإظهار في الآيتين غرضه بيان اللّفظ ليظهر أنّهما كلمتان لا كلمة واحدة، يقول القرطبي (ت671 هـــ) رضي الله عنه: " أظهر عاصم وقوم النون في قوله: (مَنْ رَاقٍ) واللاّم في قوله تعالى: (بَلْ رَانَ)، لئلا يشتبها بمرّاق وهو بائع المرقة، وبرّان في تثنية البرّ [3].

فالسّكت في الآيتين ذو أثرٍ في المعنى؛ إذ إنّه فرّق بين دلالة السّؤال عن الرّاقي، وهو المراد في الآية الكريمة، وبين ما قد يسبّبه الوصل من اشتباه في المعاني كأن تكون (مرّاق) وهو بائع المرقة على رأي (القرطبي)، أو صيغة مبالغة من (المروق) وهو الهروب والمعنى ليس كذلك [4].

كما تظهر قيمة السّكت واضحة في بيان رسم النون وانفصال الكلمتين، لأنّه لو وقف على القاف فسكنت في الكلام المنطوق، لما علم السّامع معناها؛ إذ لا يدري كيف هي في الرّسم ليرى انفصال النون من الراء.

على أنّ هذا الرأي يحتمل المعارضة يقول حسام النعيمي: "إنّ تنغيم الاستفهام في (مَنْ رَاقٍ) على قراءة الإدغام وإرادة الرّاقي يختلف عنه في نطق (مرّاق) من المروق على تقدير الاستفهام، والمشافهة تظهر ذلك، أو أجهزة الصّوت، ويدفع المعارضة أنّ الإحساس بالاختلاف لا يلاحظ عند السّامعين بسهولةٍ ويسرٍ، ولا سيما في القراءة المستمرة وعدم

---

[1]- الإمام العلاّمة "عيسى بن مينا بن وردان بن عبد الصّمد أبو موسى" الملقّب بقالون، أحد القرّاء المشهورين من أهل المدينة، وكان قالون أصمّاً، يقرأ عليه القرآن وهو ينظر إلى شفتي القّارئ فيردّ عليه اللّحن والخطأ، توفي سنة (220 هـــ)، ينظر: "الفهرست"، ص 26.

[2]- "أبحاث في أصوات العربيّة"، ص 71.

[3]- القرطبي (أبو عبد الله محمّد بن أحمد الأنصاري)، "الجامع لأحكام القرآن"، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط5، 1996م، 2/ 112.

[4]- "عناصر تحقيق الدّلالة في العربيّة: دراسة لسانيّة"، ص 99.

التّوقف للتّأمل، وقد جربت ذلك مع عدد من السّامعين على اختلاف في ثقافاتهم فلم يكن التّمييز ميسوراً لهم [1].

فللسّكت دور هامّ في بيان اختلاف الدّلالات ودرء اللّبس والاشتباه؛ إذ يلاحظ فيما تقدم من أمثلة أنّ تغيّر المعنى لم يكن بسبب صوتٍ منطوق في السّلسلة الكلامية، بل بسبب التّوقف عن النطق آناً، ثمّ مواصلته، فالمؤثر في المعنى انعدام الصّوت اللّغويّ وليس وجود الصّوت اللّغويّ [2].

ثانياً: السّكتات الواردة عن حفص باختلافٍ اثنتان:

السّكتة الأولى:

موضع السّكتة الأولى بين الأنفال والتّوبة [2]، فإنّه يجوز فيه السّكت والقطع والوصل [3]. وقد اختلف الصحابة رضوان اللّه عليهم في السّورتين، هل هما سورة واحدة أم سورتان ؟.

فمن وصل فعلى أنّها سورة واحدة، خاصّة وأنّه لم يفصل بينهما بالبسملة، يقول ابن كثير (ت774هـ): "سورة براءة (أي التّوبة) لا يبسمل في أوّلها لأنّ الصحابة لم يكتبوا البسملة في أوّلها في المصحف الإمام، بل اقتدوا قي ذلك بأمير المؤمنين عثمان بن عفّان رضي اللّه عنه وأرضاه [4]، وكذا كون كلتاهما نزلت في القتال، وتعدّان السّابعة من الطول [5].

---

[1]- "أبحاث في أصوات العربيّة"، ص 72.

[2]- سورة التّوبة لها عدّة أسماءٍ منها: براءة، المقشقشة، المبعثرة، المشردة، المخزية، الفاضحة، المثيرة، الحافرة، المنكلة، المدمدمة، سورة العذاب، لأنّ فيها: التوبة على المؤمنين وهي تقشقش من النفاق أي: تبرئ منه، وتبعثر من أسرار المنافقين، تبحث عنها، وتثيرها، وتحفر عنها، وتفضحهم، وتنكّلهم، وتشرد بهم، وتخزيهم، وتدمدم عليهم، وعن حذيفة رضي الله عنه قال: "إنّكم تسمونها سورة التوبة، وإنّما هي سورة العذاب، واللّه ما تركت أحداً إلاّ نالت منه"، ينظر: "الكشاف"، 5/3.

[3]- "الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم"، ص 24.

[4]- ينظر: ابن كثير (عماد الدّين أبو الفداء إسماعيل الدّمشقي)، "تفسير القرآن العظيم"، تحقيق: السيّد محمّد و السيّد رشاد و فضل العجماوي و أحمد عبد الباقي و عباس قطب، مؤسسة قرطبة، الجيزة، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، الجيزة، مصر، (د،ط)، (د،ت)، 135/7.

[5]- "الكشّاف"، 5/3 - 6.

أمّا من سكت أو قطع فعلى أنّهما سورتان وكانت تدعيان القرينتين – إنّما توهموا أنّهما سورة واحدة، لأنّ في الأنفال ذكر العهود، وفي براءة نبذ العهود [2]، فالسّكت هامٌّ في هذا الموضع لبيان أنّ كلاًّ منهما سورة بذاتها.

فالاختلاف في عدّهما سورة واحدة أم سورتان هو الّذي جعل السّكت مختلفاً فيه في هذا الموضع .

يقول الزّمخشري: "اختلف أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقال بعضهم: الأنفال وبراءة سورة واحدة، وقال بعضهم: هما سورتان، فتركت بينهما فرجة لقول من قال: هما سورتان، وتركت بسم الله الرّحمن الرّحيم لقول من قال هما سورة واحدة [2].

السّكتة الثّانية:

يقول تعالى : ﴿ **مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ، هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ** ﴾ [1].

موضع السّكتة الثّانية في سورة الحاقّة، حيث يسكت القّارئ سكتة خفيفة في نهاية الآية الثّامنة والعشرون على هاء (مَالِيَه) من قوله تعـــالى: ﴿ **مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ، هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ** ﴾.

يقول صاحب المكتفي [2]: "العلّة من السّكت أنّ من أثبتها وصل الكلام ونيّته الوقف عليها، لكنّه لم يسترح بالوقف عليها، بل وصل ونيّته الوقف .

[1]– سورة الحاقّة، الآيتان: 28– 29.

[2] – عثمان بن سعيد بن عمرو المكنى بأبي عمرو الدّاني، كان من حفاظ الحديث ومن الأئمة في علم القرآن وروايته وتفسيره، من مؤلفاته: "المكتفي في الوقف والابتداء"، توفي سنة (444 هـــ)، ينظر: "غاية النهاية"، 1/ 503 وما بعدها.

كما يقول: ذلك في القوافي يوصل البيت بما بعده من الأبيـــات، ولا تحذف الصّلة الّتي للوقف [1]، فيقول [2] :

أَقَلِّي اللَّوْمَ عَاذِلَ وَالعِتَابَا وَقُولِي إِنْ أَصَبْتُ لَقَدْ أَصَابَا.

ثالثاً: الآيات الّتي استعمل فيها مصطلح الوقف بدلاً من السّكت: نوردها فيما يلي على أن نحافظ على المصطلح ذاته (السّكت):

السّكتة الأولى:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ **وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ** ﴾ [3].

تتحدث الآية الكريمة عن فريضة الحجّ والعمرة، فالأوّل لا خلاف بين العلماء في فريضته على كلّ مسلمٍ متى تحققت شروطه.

وقد وردت قراءات في الآية منها:

- القراءة بالنّصب في قوله (والعمرةَ) وهي قراءة الجمهور [4].
- القراءة الشاذّة برفع (والعمرةُ) [5] .

ولعلّ سبب الخلاف بين القراءتين يعود إلى السّكت الوارد في الآية؛ إذ له أثرٌ بارزٌ في الخلاف حول فرضيّة العمرة من عدمها.

---

[1]- الدّاني (عثمان بن سعيد بن عمر)، "المكتفي في الوقف والابتداء"، تحقيق: عبد الرّحمن المرعشلي، مؤسسة الرّسالة، بيروت، لبنان، 1983م، ص 254، نقلاً عن: "الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم"، ص 25.

[2]- ابن جني (أبو الفتح خثمان)، "الخصائص"، تحقيق: محمّد علي النّجار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1987م، 171/1.

[3]- "سورة البقرة"، الآية: 196.

[4] – العكبري (أبو البقاء عبد اللّه بن الحسين)، "التبيان في إعراب القرآن"، تحقيق: محمّد حسين شمس الدّين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ص 136.

[5] – "الدر المصون"، 313/2.

فتموضع السّكتة المفصليّة بعد قوله: (**وَأَتِمُّوا الْحَجَّ**) جعل الكلام بعدها مستأنفاً من مبتدأ وخبرٍ، فقوله: (**وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ**) استئناف.

فمن أعمل السّكتة جعل العمرة غير واجبة، وهو الرّأي عند الحنفيّة، وقد جاؤوا بأدلّةٍ تثبت رأيهم، منها السّكت وما له من تأثيرٍ في المعنى؛ إذ يسكت القارئ في قوله: (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ) على- لفظ - (الحجّ)، والاستئناف بقوله: (وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ) فهي سنّة مؤّكدة، وكان مالك يقول: "العمرة سنّةٌ ولا نعلم أحداً أرخص في تركها [1]. وقد استدلّوا بأدلّةٍ أخرى منها.

من الكتاب: قولــه: ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً** ﴾ [2]، وقوله: ﴿ **وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ** ﴾ [3]، فمطلق اسم الحجّ لا يقع على العمرة، كما أنّه لم يقرن العمرة بالحجّ في الآيتين فدلّ على عدم وجوبها [4].

ومن السنّة: عن جابر قال: "سأل رجل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن الصّلاة والزّكاة والحجّ أواجب هو؟ قال: نعم، فسأله عن العمرة: أواجبة هي ؟ قال: لا وأن تعتمر خيرٌ لك [5].

فيما أصحاب الرّأي الثّاني القّائلين بفرضيّة العمرة وهو قول جمهور العلماء، وهو أحد قولي الشّافعي، وهو المعتّمد عندهم في المذهب، والرّاجح عند الحنابلة، وقول عمر وعلي بن أبي طالب وغيرهم [6].

---

[1]- "الجامع لأحكام القرآن"، 2/ 245.

[2]- "سورة آل عمران"، الآية: 97.

[3]- "سورة الحج"، الآية: 27.

[4]- "الوقف القرآني وأثره في التّرجيح عند الحنفية"، ص 55.

[5]- رواه القرطبي بإسناده في "الجامع لأحكام القرآن"، 2/ 245.

[6]- "البحر المحيط"، 2/ 27.

وقد أهمل أصحاب هذا الرّأي السّكت على كلمة الحجّ، فجعلوا الكلام موصولاً بعضه ببعضٍ، والواو أداة عطفٍ، فهم على نصب (العمرةَ) على العطف على ما قبلها، و(لله) متعلّقٌ بـــ (أتّموا)، واللام لام المفعول من أجله [1]، فعطفوا (العمرة) على (الحجّ) والأصل التّساوي بين المعطوفين.

يقول القرطبي: "في هذه الآية دليلٌ على وجوب العمرة، لأنّه تعالى أمر بإتمامها كما أمر بتمام الحجّ [2]. فالإتمام حسبهم هو الّذي فرض العمرة كالحجّ، يقول أبو حيّان: "الإتمام ضد النّقص والمعنى افعلوهما كاملين ولا تأتوا بهما ناقصين شيئاً من شروطهما وأفعالهما [3].

وقد احتجّ أصحاب هذا المذهب بعدّة حججٍ نحن في غنًى عن ذكرها؛ إذ يهمّنا أثر السّكت في تغيير الدّلالة واختلاف الأحكام، فوجود السّكت رفع (العمرة) فأفادت القراءة إتمام الحجّ، ثمّ استؤنف بكلامٍ جديدٍ يفيد أنّ العمرة لله ويدعو إلى مزيدٍ من الاهتمام بها، ذلك أنّ بعض المشركين كانوا يحجّون لله ويعتمرون للصّنم.

أمّا تغييب السّكت والقراءة بنصب (العمرة) فأفاد مجرّد الأمر بإتمام الحجّ والعمرة بعد الشروع فيهما، يقول عزت شحاتة: "للسّكت دورٌ هامٌّ في اختلاف الأحكام وتعدّدها وتوسعتها، ففي الوصل دلّت الآية على فرضيّة الحجّ، وفي السّكت دلّت على أنّ العمرة لله وليست للأصنام كما كان يفعل المشركون [4].

السّكتة الثّانية :

يقول سبحانه: ﴿ **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ** ﴾ [5].

---

[1]- "الدر المصون"، 2/ 313.

[2]- "الجامع لأحكام القرآن"، 2/ 245.

[3]- "البحر المحيط"، 1/ 71-72

[4]- "الوقف وأثره في التّرجيح عند الحنفية"، ص 58.

[5]- "سورة البقرة"، الآية: 197.

فرض الله الحجّ في أشهرٍ معلوماتٍ، وحثّ على تجنب بعض المحظورات منها الرّفث والفسوق والجدال.

فالرّفث: هو الجماع أو ما فحش من الكلام [1]، لأنّه يفسد الحجّ.

والفسوق: قيل هو الخروج عن حدود الشّريعة، و قيل هو السّباب و التّنابز بالألقاب [3].

والجدال: يقول الزمخشري: "في (الجدال) الأمراء من الرفقاء و الخدم والمكارين [3].

فعلى الحاجّ إذا أحرم اجتناب هذه المحظورات، وقد وردت قراءات عـــدّة في الآية الكريمة منها:

– قرأ بعض القرّاء بالرّفع والتّنوين في الثّلاثة ﴿ فَلا رَفَثٌ وَلا فُسُوقٌ وَلا جِدَالٌ فِي الْحَجِّ ﴾، وروي أنّ عاصما قرأ بالرّفع فيها أيضاً [2]. فـــ (لا) غير عاملة، ورفع ما بعدها بالابتداء، والخبر في الجميع (في الحجّ)، كما جوّز علماء النّحو أن يكون (في الحجّ) خبر الرّفث وهو المبتدأ الأوّل، وحذف خبر الثّاني والثّالث لدلالته عليه، وقيل: إنّ (لا) هنا يجوز أن تكون العاملة عمل ليس فرفعت اسمها[3].

– وقرأ أكثر القرّاء بفتح الثّلاثة من غير تنوينٍ، كحمزة [3] والكسائي، وتفسير ابن عباس يدلّ على أنّها كانت قراءته [4]. وهو مذهب الأخفش، يقول: "فالوجه النّصب لأنّ هذا نفي ولأنّه كلّه نكرة [5].

– قرأ أبو عمرو وابن كثير الأوّلين بالرّفع والآخر بالنّصب لأنّهما حملا الأوّلين على معنى النّهي، كأنّه قيل: فلا يكوننّ رفثٌ ولا فسوقٌ، والثّالث على معنى الإخبار بانتفاء

---

[1]– "الكشّاف"، 1 /407.

[2]– "البحر المحيط"، 2/ 88 ، و "روح المعاني"، 2 /86، و "الكشّاف"،408/1.

[3]– حمزة بن حبيب بن عمارة الزيّات الكوفي، أحد القرّاء السّبعة، توفي سنة (156هـــ)، ينظر: الزركلي، "الأعلام"، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت)، 277/2.

[4]– "القطع والائتناف"، ص 94.

[5] –"معاني القرآن "، ص 150.

الجدال كأنّه قيل: ولا شكّ ولا خلافَ في الحجّ [1]. ووجه القراءة أنّ قوله تعالى: ﴿ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ ﴾ مرفوعين بالابتداء، و(لا) غير عاملة، أمّا (لا) في قوله تعالى (ولا جدال) فهي عاملة وجدال اسمها، (ولا جدال) بالفتح في موضع رفع بالابتداء، وقوله: (في الحجّ) خبرٌ عن الجميع [2].

في القراءتين الأولتين لم يتأثر المعنى الفقهي للآية؛ إذ لم تتغيّر معاني الرفث والفسوق والجدال المذكورين في الآية، أمّا القراءة الأخيرة والّتي اعتمدها الحنفيّة في ترجيح رأيهم فقد ساهم السّكت في توسعة المعنى الفقهيّ المفهوم منها؛ إذ يسكت القّارئ على قوله **(فُسُوق)** بالضّم والتّنوين، فيما تقرأ **(جِدَالَ)** بالفّتح، فيتغيّر المعنى، فيصبح الرّفث والفسوق منهيّاً عنهما، فيما يُنفى الجدال عن مكان الحجّ وزمانه، والّذين كثرت الآراء والخلافات حولهما: "فقريش – مثلاً – كانت تخالف العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة، وكانوا يقدّمون الحجّ سنة ويؤخرونه سنة وهو النّسيء [3]، فرُدّ إلى وقتٍ واحدٍ ورُدّ الوقوف إلى عرفة [4].

فأخبر الله تعالى أنّه قد ارتفع الخلاف في الحجّ، واستدلّ الحنفيّة لرأيهم بأنّ المنهيّ عنه هو: الرّفث والفسوق دون الجدال، لقوله صلّى الله عليه وسلّم: (مَنْ حَجَّ لله فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ، رجع كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ) [5]، فالحديث نهى عن الفسوق والرّفث، و لم يذكر الجدال ذلك ذلك أنّه لم يُرد بالجدال المعنى المعروف: (الجدل المؤّي إلى الغضب) بل خصّ به الجدال المتعلّق بزمن الحجّ ومكانه .

---

[1]-"الكشّاف"، 407/1، 408.

[2]- ابن العربي (أبو بكر محمّد بن عبد الله)، "أحكام القرآن"، تحقيق: محمّد عبد القادر عطا الله، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت)، 191/1.

[3] - النسيء: هو فعيل بمعنى مفعول من قولك: نسأت الشيء فهو منسوءٌ، إذا أخّرته، وانتسأت عنه: تـــأخرت وتباعدت. ينظر: "معجم الصّحاح"، مادة: نسأ.

[4]- "الكشّاف"، 407/1.

[5] - البخاري (أبو عبد اللّه محمّد بن إسماعيل الجعفي)، "صحيح البخاري"، المؤسسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة، الجزائر، (د.ط)، 1990م، 2/ 141.

وقد فهم العلماء الفائدة المرجوة من قراءة السّكت، يقول مجاهد في قوله تعالى: ﴿ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ قال: "قد أعلم الله تعالى أشهر الحجّ فليس فيها شكٌّ أوخلافٌ [1]، أي: لا مجال للنّقاش والجدال فيها.

ويزيد الأمر وضوحاً ابن العربي (ت 543 هـــ) بقوله: " أراد لا جدال في وقته فإنّ الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السّماوات والأرض فعاد بذلك إلى يومه ووقته، وقيل: لا جدال في موضعه فإنّ الوقوف بعرفة لكلّ واحدٍ من النّاس كان من الحُمْسِ [2] أو من غيرهم، وكلا القّولين صحيح، وقد رفع الله تعالى الجدال في الوجهين بين الخلق فلا يكون إلى يوم القيامة، ولهذا قرأه العامّة وحده بنصب اللاّم على التّبرئة دون الكلمتين اللّتين قبله [3]. فأضاف الوقف معنى فقهيّاً جديداً خاصًّا بتحديد مواقيت الحج الزمانيّة والمكانيّة، فاستدل الحنفيّة بهذا السّكت لترجيح رأيهم .

أمّا من قرأ بالوصل فإنّه يدخل الجدال في محظورات الحجّ، فلا يقبل الرّفث والفسوق وكذا الجدال من الحاجّ.

السّكتة الثالثة :

يقول تعالى: ﴿ **زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ [4].

في الآية الكريمة سكتة كان لها بالغ الأثر في بيان معناها واتضاحه، سنبيّن موضعها وأثرها بعد بيان المعنى الإجمالي للآية؛ إذ جاءت هذه الأخيرة إخباراً من الله تعالى على تزيين الحياة الدّنيا للكفّار، وتحسينها لهم بأعينهم، فرضوا بها واطمأنوا إليها، يقول: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا

[1] – "الكشّاف"، 1/ 407.

[2] – الحُمْسُ: قريش وهم سكان الحرم، وكانوا لا يخرجون أيام الموسم إلى عرفات أنّما يقفون بالمزدلفة، ويقولون: نحن أهل الله ولا نخرج من الحرم، ينظر، "لسان العرب"، مادة، حمس.

[3] – "أحكام القرآن"، 191/1.

[4] – "سورة البقرة"، الآية: 212.

الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾، قال الإمام القرطبي: "المزيّن لها هو خالقها ومخترعها وخالق الكّفر، ويزينها أيضاً الشّيطان بوسوسته وإغوائه [1].

وقد جعل الله ما في الأرض زينةً لها ليبلوهم أيّهم أحسن عملاً، فالتّزيين واقعٌ للكلّ، غير أنّ المؤمنين أعرضوا عنها – أي زينة الدّنيا – فلم تفتنهم، فيما تملّكت الكفار فقبلوا بها واستحسنوها وأحبّوها .

وقوله: ﴿ وَيَسْخَرُونَ مِنْ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ الضّمير في (يَسْخَرُونَ) عائدٌ على الّذين كفروا، ومعنى (يَسْخَرُونَ): يستهزئون من المؤمنين لإتباعهم الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، ولفقرهم، وقلّة عددهم، يقول الطّاهر بن عاشور: "وهذه حالة أعجب من الّتي قبلها، وهي حالة التّناهي في الغرور؛ إذ لم يقتصروا على افتتانهم بزهرة الحياة الدّنيا حتّى سخروا بمن لم ينهج على منوالهم من المؤمنين الّذين تركوا كثيراً من زهرة الحياة الدّنيا [2].

وجملة (يَسْخَرُونَ) معطوفة على الجملة الفعلية (زُيِّنَ) ولا يلحظ فيها عطف الفعل على الفعل، لأنّه كان يلزم اتحاد الزّمان، فجاء الأوّل ماضياً لأنّه أمرٌ مفروغٌ منه، وهو تركيب طباعهم على محبة الدّنيا فليس أمراً متجدّداً، فيما جاء الثّاني بالمضارع لأنّه حالة تجدّدٍ كلّ وقتٍ، وقيل هو على الاستئناف أي يكون على إضمارهم التّقدير (وهم يسخرون) فيكون خبر مبتدأ محذوفٍ ويصير من عطف الجملة الاسميّة على الجملة الفعليّة [3].

ثمّ ردّ الله سبحانه على الّذين كفروا بقوله: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَة ﴾، وفوق ظرف مكانٍ، وقد تكون الفوقيّة حقيقية، لأنّ المؤمنين في عليّين في السّماء، والكفار في سجّينٍ في الأرض، وقيل أنّها مجاز بالنّسبة إلى النّعيمين، نعيم المؤمنين في الجنّة، ونعيم الكافرين في الدّنيا، وأمّا بالنّسبة إلى سخرية المؤمنين بهم في الآخرة، وسخرية الكافرين بالمؤمنين في

[1]– "الجامع لأحكام القرآن"، 3/ 28–29.

[2]– ابن عاشور (محمّد الطّاهر)، "تفسير التّحرير والتّنوير"، الدّار التّونسية للكتاب، تونس، (د،ط)، 1984م، 2 /296.

[3]– "البّحر المحيط"، 2/ 139.

الدّنيا، فهم عالون عليهم متطاولون يضحكون منهم [1]، وقال أبو عبيدة: أي أفضل منهم [2].

ويتساءل الزّمخشري فيقول: "فإن قلت: لم قال: (من الّذين آمنوا) ثمّ قال: (والّذين اتقوا)؟ قلت: ليريك أنّه لا يسعد عنده إلاّ المؤمن التّقيّ، وليكون بعثاً للمؤمنين على التّقوى إذا سمعوا ذلك [3].

﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾: "يعني أنّه يوسّع على من توجب الحكمة التوسّعة عليه، كما وسّع على قارون وغيره، فالحكمة منها استدراجهم بالنّعمة، ولو كانت كرامة لكان أولياؤه المؤمنون أحقّ بها منهم [4].

بعد بيان المعنى الإجمالي للآية الكريمة، سنحاول بيان أثر السّكتة المفصليّة في تغيير الدّلالة، فالسّكت على قوله: ﴿ **وَيَسْخَرُونَ مِنْ الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾، والاستئناف بقوله: ﴿ **وَالَّذِينَ اتَّقَوْا** ﴾ لئلا يوهم الظّرفيّة بـ (يَسْخَرُونَ) [5]، ذلك أنّه لو وصل الكلام لصار (فوقهم) ظرفاً لـ (يَسْخَرُونَ) وقبحه ظاهر؛ إذ يوهم أنّ الّذين اتقوا فوق الّذين آمنوا، والمراد غير ذلك، بل هم فوق الّذين كفروا، لأنّ الّذين آمنوا هم الّذين اتقوا، والشّيء لا يكون فوق نفسه، وآثر التّعبير بـ (وَالَّذِينَ اتَّقَوْا) قصد التّنبيه على مزيّة التّقوى، "فيظهر أنّ السّعادة الكبرى لا تحصل إلاّ للمؤمن التّقيّ، ولبعث المؤمن على التّقوى، وليزول قلق التّكرار [6]، أي تكرار عبارة (الَّذِينَ آمَنُوا).

---

[1]- "البّحر المحيط" ، 139/2، و "الكشاف" ، 320/1- 321.

[2]- "القطع والإئتناف "، ص97.

[3]- "الكشّاف"، 1/ 320 – 321.

[4] - "الكشّاف"، 1/ 320 – 321.

[5]- "النّشر"، 1/ 188.

[6]- "البّحر المحيط"، 139/2 .

السّكتة الرابعة:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ** ﴾ [1].

جاءت هذه الآية مناسبة لما قبلها؛ إذ أنّه لما ذكر اصطفاء طالوت على بني إسرائيل، وتفضيل داوود عليهم بإتيانه الملك والحكمة وتعليمه، ثمّ خاطب نبيّه محمّدا صلّى الله عليه وسلّم بأنّه من المرسلين، وكان ظاهر اللّفظ يقتضي التّسوية بين المرسلين، بيّن بأنّ المرسلين متفاضلون أيضاً كتفاضل طالوت على بني إسرائيل [2].

والتّفاضل لا يعلم أسبابه إلاّ الله؛ إذ يرجعها بعضهم إلى أعمالهم وطاعاتهم واجتهاداتهم في العبادة، وما جرى على أيديهم من الخيرات لمصلحة البشر، ومن نصرٍ للحقّ، وما لقوه من أذىً في سبيل ذلك. ومنهم من رأى التّفاضل في تميّز بعضهم على غيرهم بصفاتٍ كتسمية إبراهيم خليلاً، وموسى كليمًا، ومحمّد صلّى الله عليه وسلّم خاتم النبيّين. وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في الآية ثلاثة رسلٍ؛ إذ قال: (مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ)، وهذا موسى عليه السّلام لاشتهاره بهذه الخصلة العظيمة في القرآن، وذكر عيسى عليه السّلام، ووسّط بينهما الإيماء إلى محمّد صلّى الله عليه وسلّم بوصفه بقوله: (ورفع بعضهم درجاتٍ) [3].

وهذه الدّرجات كثيرة عرفنا منها: عموم الرّسالة لكافّة النّاس، دوامها طول الدّهر، ختمها للرّسالات، التّأييد بالمعجزة العظيمة الّتي لا تلتبس بالسّحر والشّعوذة، وبدوام تلك المعجزة، وإمكان أن يُشاهدها كلّ من يؤهل نفسه لإدراك الإعجاز، وبإتيان شريعته على

---

[1] – "سورة البقرة"، الآية: 253.

[2] – "البحر المحيط"، 2/ 282.

[3] – "التّحرير والتّنوير"، 3/ 6 – 8.

رعي المصالح ودرء المفاسد والبلوغ بالنّفوس إلى أوج الكمال، وبتيسر إدانة معانديه له، وتمليكه أرضهم وديارهم وأموالهم في وقتٍ قصيرٍ، وبجعل نقل معجزاته متواتراً لا يجهلها إلاّ مكابر، وبمشاهدة أمّته لقبره الشّريف، وإمكان اقترابهم منه واستئناسهم به صلّى الله عليه وسلّم [2].

وتتموضع السّكتة بعد قوله تعالى: ﴿ **فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ** ﴾، والابتداء ﴿ **مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ** ﴾ لئلا يوهم التبعيض للمفضل عليهم، والصواب جعلها جملة مستأنفة، فلا موضع لها من الإعراب [1]، والسّكتة ضرورية في الآية الكريمة لبيان تفاضل الرّسل بعضهم على بعضٍ، فوجود السّكتة يجعل موسى عليه السّلام من الرّسل المفضّلين، في حين لو وصل الكلام صار الجّار والمجرور (منهم) صفةً لـــ (بَعْضٍ) فيصبح موسى عليه السّلام من الرّسل المفضّل عليهم [2].

وقد قرأ الجمهور بالتّشديد ورفع الجلالة، والعائد عن (من) محذوق تقديره: من كلّمه، وقرئ بنصب الجلالة، والفاعل مستتر في كلّم، يعود على (من)، ورفع الجلالة أتمّ في التّفضيل من النّصب؛ إذ الرّفع يدلّ على الحضور والخطاب منه تعالى للمتكلّم، والنّصب يدلّ على الحضور دون الخطاب منه [3].

فلا تعلّق لهذه الجملة بما سبقها، فأوّل الكلام ذكرٌ لتفضيل بعضهم على بعض بطاعاتهم لا بالمعجزات، ثمّ انتقل إلى ذكر منازلهم، فالنبوّة غير الّذي يستحقونه بالطّاعة [4].

وتجدر الإشارة إلى وجود خلافٍ بين أهل العلم يعود لعدم توافق الآية الكريمة، والّتي تقرّ بتفاضل الأنبياء، مع قول الرّسول صلّى الله عليه وسلّم بعدم تفضيله على الأنبياء، ويوّفق الإمام القرطبي بين ما جاء في القرآن الكريم وما جاء في السنّة بقوله: "إنّ المنع من التّفصيل

---

[1] – "النّشر"، 1/ 188.

[2] – "الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم"، ص 74 – 75.

[3] – "البحر المحيط"، 2/ 282.

[4] – "الكشّاف"، 297/1.

من جهة النبوّة الّتي هي خصلة واحدة لا تفاضل فيها، إنّما التّفضيل في زيادة الأحوال والخصوص في الكرامات والألطاف والمعجزات المتباينات، وأمّا النبوّة في نفسها فلا تفاضل فيها [1].

السّكتة الخّامسة:

يقول تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** ﴾ [2].

قيل إنّ هذه الآية نزلت في الّذين جادلوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في أمر عيسى عليه السّلام، وقيل في أمر هذه الأمّة [3]. وإن كان السّبب الثّاني أرجح لخفاء علمه، بينما وضّح أمر عيسى عليه السّلام لنبيّه، فهو معلومٌ عند أمّته.

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُـــنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ اختلف العلماء بالمراد بالمحكمات والمتشابهات، يقول القرطبي:

- المحكمات من آي القرآن ما عرف تأويله وفهم معناه وتفسيره، والمتشابه ما لم يكن لأحدٍ إلى علمه سبيل ممّا استأثر الله تعالى بعلمه دون خلقه وذلك مثل قيام السّاعة، وخروج يأجوج ومأجوج والدجّال وعيسى عليه السلام.

- المحكم فاتحة الكتاب الّتي لا تُجزى الصّلاة إلاّ بها.

- وقيل: المحكم سورة الإخلاص لأنّه ليس فيها إلاّ التّوحيد.

---

[1]- "الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم"، ص77.

[2] - "سورة آل عمران"، الآية: 7.

[3]- "البحر المحيط"، 2/ 384.

- وقيل: القرآن كلّه محكمٌ لقوله تعالى: ﴿ **كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ** ﴾ [1]" [2].

- وقيل كلّه متشابه لقوله تعالى: ﴿ **كِتَاباً مُتَشَابِهاً** ﴾ [3] "[4].

وردّ القرطبي على القائلين بالقول الأخير: "ليس هذا من معنى الآية في شيءٍ، فإنّ قوله تعالى: ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ﴾، أي في النّظم والوصف وأنّه حقٌّ من عند الله ومعنى: ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا ﴾ أي يشبه بعضه بعضاً ويصدق بعضه بعضاً، وليس المراد بقوله: (آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ) و(أُخَرَ مُتَشَابِهَاتٌ) هذا المعنى، وإنّما التّشابه في هذه الآية من باب الاحتمال والاشتباه من قوله سبحانه: ﴿ **إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا** ﴾ [5]، أي التبس علينا، أن يحتمل أنواعاً كثيرةً غير البقر، والمراد بالمحكم ما في مقابله هذا، وهو ما لا التباس فيه ولا يحتمل إلا وجهاً واحداً [6].

لكن هل للرّاسخين في العلم أي الثّابتون فيه المتمكّنون منه، من تفسير المتشابه أم لا ؟، وهذا التّساؤل قسّم العلماء إلى فريقين اثنين:

فريقٌ أوّلٌ ينفي علم الرّاسخين بتأويل المتشابه، ويستدلّ بسكتٍ ورد في الآية الكريمة، وذلك على لفظ الجلالة (**الله**) من قوله: ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ** ﴾، وقد روي أنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم وقف على قوله: (إلاّ الله) ثمّ استأنف (والرّاسخون)، وعلى هذا السّكت فقوله: (**وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**) ابتداء كلامٍ جديدٍ مقطوعٍ عمّا قبله [7]، يقول النّحاس: "وممّن "وممّن روينا عنه أنّه قال: تّامٌ وما بعده منقطعٌ عنه، نيفٌ وعشرون رجلاً من الصّحابة

[1]- "سورة هود"، الآية: 1.

[2]- "الجامع لأحكام القرآن"، 8/ 86.

[3]- "سورة الزمر"، الآية: 23.

[4] - "الجامع لأحكام القرآن"، 8/ 86.

[5]- "سورة البقرة"، الآية: 70.

[6]- "الجامع لأحكام القرآن"، 5/ 86.

[7]- "البحر المحيط" ، 384/2.

والتّابعين والقرّاء والفقهاء وأهل اللّغة، منهم عائشة رضي اللّه عنها، وابن مسعود، والضحّاك، والكسائي، والأخفش، والفرّاء [1].

وقد رجّح أبو حيان هذا الرأي حيث ذكر: "إنَّ الدّليل إذا دلّ على غير الظّاهر علم أنّ المراد بعض المجازات وليس التّرجيح لبعضٍ إلاّ بالأدلّة، وقد رجّح هذا الرّأي أيضاً بعض العلماء بأنّ الظنّ لا يكفي في القطعيات، ولأنّ ما قبل الآية يدلّ على ذمّ طلب المشابهة، ولو كان جائزاً لم ذم بأن طلب وقت السّاعة تخصيص بعض المتشابهات وهو ترك للظّاهر، ولا يجوز أيضاً لأنّه مدح الرّاسخين في العلم بأنّهم قالوا آمنا به، ولو كانوا عالمين بتأويل المتشابه على التّفضيل لما كان في الإيمان به مدحٌ لأنّ من علم شيئاً على التّفضيل لابدّ أن يؤمن به، وإنّما الرّاسخون يعلمون بالدّليل العقليّ أنّ المراد غير الظّاهر، ويفوضون تعيّين المراد إلى علمه تعالى، وقطعوا أنّه الحقّ و لم يحملهم عدم التّعيّين على ترك الإيمان [2].

أمّا الفريق الثّاني والّذي وصل الآية، فلم يسكت على لفظ الجلالة (الله)، ويرى أنّ قوله سبحانه: (وَالرَّاسِخُونَ) معطوفٌ على اسم الجلالة، وفي هذا تشريفٌ عظيمٌ، وإلى هذا التّفسير مال ابن عباس ومجاهد، والشافعية، وعلى هذا فليس في القرآن آية استأثر الله بعلمها، ويؤيّد هذا أنّ الله أثبت للرّاسخين في العلم فضيلة، ووصفهم بالرّسوخ فآذن لهم مزيّة فهم المتشابه، لأنّ المحكم يستوي في علمه، جميع من يفهم الكلام، ففي أيّ شيءٍ رسوخهم، وحكى إمام الحرمين عن ابن عباس عنه قال في هاته الآية: (أَنَا مِمَنْ يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ) [3]، وإن كان قد عقّب عليه بعضهم، قوله: (أَنَا مِمَنْ يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ)، أي: المتشابه – في قوله – واسطة بين المحكم والمتشابه [4].

---

[1]– "القطع والائتناف "، ص 118.

[2]– الرّازي، (فخر الدّين)، "التفسير الكبير" تحقيق: عماد زكي البارودي، المكتبة التوقيفية، القاهرة، مصر، (د،ط)، 2003م، 1/ 52 و"البحر المحيط"، 2/ 384.

[3]– "التّحرير والتّنوير"، 3/ 54 –65.

[4]– "الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم"، ص 79.

بعد عرض الأدلّة السّابقة تبيّن لنا صحّة قول الجمهور بوجوب السّكت على قوله: (إلاّ الله) والاستئناف بقوله: (وَالرَّاسِخُونَ)، والواو في الآية استئنافية ليست عاطفة وما يؤيّد ذلك "أنه لا يجوز أن ينفي الله سبحانه شيئاً عن خلقه وثبته لنفسه، ثمّ يكون له في ذلك شريك ألا ترى قوله عزّ وجلّ: ﴿ **قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ** ﴾ [1]، وقوله: ﴿ **لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ** ﴾ [2]، ولو كانت الواو في قوله: (والرّاسخون) للنّسق لم يكن لقوله: ﴿ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ [3] فائدة [4].

فللسّكت الأثر البّالغ في عدم خوض العلماء في كلّ المتشابه من القرآن، لأنّ الله اختص به جلالته، ولما كان هناك فائدة من مدح الرّاسخين إذا كانوا مؤمنين نتيجة لعلمهم بتفسيره، إنّما مدحهم لإيمانهم به كونه من الله دون أن يخوضوا فيه.

السّكتة السّادسة:

يقول سبحانه: ﴿ **لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمْ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ** ﴾ [5].

في الآية الكريمة يسكت القارئ سكتة خفيفة على قوله: (**أَغْنِيَاءُ**)، ويستأنف بجملة (**سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا**) لأنّه لو وصل لغير المعنى المراد [6] من الآية الكريمة ولتوهّم أنّ قوله: (سنكتب) من مقول الكافرين، بل هو ردّ من الله تعالى على قولهم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾.

والمعنى الإجمالي للآية يبيّن أهميّة السّكت وصلته بالمعنى، فالسّكت يزيد من جلاءها؛ إذ

---

[1]- "سورة النّمل"، الآية: 65.

[2]- "سورة الأعراف"، الآية: 187.

[3] - "سورة آل عمران"، الآية: 7.

[4]- "الجامع لأحكام القرآن"، 4/ 13.

[5]- "سورة آل عمران"، الآية: 181.

[6]- "الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم"، ص 80.

يفصل قول الكفار الشّنيع عن قول الله سبحانه .

وسبب نزول الآية ما روي عن ابن عباس أنّه قال: "لّما نزل قوله: ﴿ **مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً** ﴾ [1]، قالت اليّهود: يا محمّد: افتقر ربّك، فسأل عبـــاده القرض، فأنزل الله قولـــه : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ [2]، وذكر أنّ فنحاص بن عازوراء اليّهوديّ هو قائلها [3].

ومعنى (لَقَدْ سَمِعَ اللهُ): أنّه لم يخف عليه مقالتهم هذه، إمّا على سبيل الاستهزاء بما نزل من طلب الإقراض، وإمّا على سبيل الجدل والإلزام، لأنّ من طلب الإقراض كان فقيراً، وإمّا على الاعتقاد، ولا يستبعد ذلك عن عقولهم [4]؛ إذ قالـــوا نحو قولـــهم هذا: ﴿ **يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ** ﴾ [5]، وهذا إن دلّ فيدلّ على طغيانهم وتمرّدهم في الكفر.

وقوله: (قَالُوا) بالجمع مع كون القائل واحداً، لرضا البّاقين بذلك كعادة كلام العرب في نسبتها إلى القبيلة فعل الواحد [6].

وردّ الله عليهم بقوله: ﴿ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمْ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾، فقرن قولهم المنكر بفعلٍ شنيعٍ وهو قتلهم الأنبياء بغير حقٍّ، ليبيّن أنّ هاتين الخّطيئتين من مترلةٍ واحدةٍ، يقول الزّمخشري: "قال: (سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا) على وجه الوعيد، أي: سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب...كما لن يفوتنا قتلهم الأنبياء، وقد جعل قتلهم الأنبياء قرينةً له إيذاناً بأنّهما في العظم إخوان، وأنّ هذا ليس بأوّل ما ارتكبوه من العظائم، وأنّهم أصلاء في الكفر ولهم فيه سوابق، وأنّ من قتل الأنبياء لم يستبعد منه الافتراء على الله مثل هذا القول [7].

---

[1]- "سورة البقرة"، الآية: 245.

[2]- "سورة آل عمران"، الآية: 181.

[3]- "تفسير القرآن العظيم"، 282/3.

[4]- "البّحر المحيط"، 3 /135.

[5]- "سورة المائدة"، الآية 73.

[6]- "البحر المحيط"، 135/3.

[1].

وقد أعدّ الله لهـــم عقابهم، فسيجزيهم شرّ جزاءٍ، فقـــال: ﴿ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ ﴾، أي: يقال لهم ذلك تقريعاً وتوبيخاً وتحقيراً وتصغيراً [2]، وهم يعذبون في نار جهنّم فيجتمع العذاب الجسديّ بالعذاب الرّوحيّ.

السّكتة السّابعة:

يقول الله تعالى: ﴿ **وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمْ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ** ﴾ [3].

تتحدث الآية الكريمة عن حكم نكاح أمّ الزّوجة ونكاح الرّبيبة، وذلك لاتصالهنّ بالنّساء، فأمّهات النّساء متّصلات بهنّ كونهنّ أمهاتهنّ، والرّبائب متّصلات بأمهاتهنّ لأنّهنّ بناتهنّ.

والرّبائب هم أولاد المرأة من غير زوجها، مفردها ربيب وربيبة، وسميا بهذا الاسم "لأنّه يربّهما كما يربّ ولده في غالب الأمر، ثمّ اتسع فيه فسميا بذلك وإن لم يربّهما، وقوله: (اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ) يفيد تعليل التّحريم، كونهنّ لاحتضانكم لهنّ – أي الرّبيبات- أو لكونهنّ بصدد احتضانكم، وفي حكم التّقلّب في حجوركم إذا دخلتم بأمهاتهنّ وتمكّن بدخولكم حكم الزّواج، وثبتت الخلطة والألفة، وجعل الله بينكم المودّة والرّحمة، فكانت الحال أن تجروا أولادهنّ مجرى أولادكم، كأنّكم في العقد على بناتهنّ عاقدون على بناتكم – وقوله – (اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ) كناية عن الجماع [4].

اختلف العلماء في حكم نكاح أمّ الزّوجة، وهم فيه على رأيّين:

---

[1]- "الكشّاف"، 667/1.

[2]- "تفسير القرآن العظيم"، 283/3.

[3]- "سورة النّساء"، الآية: 23.

[4]- "الكشاف"، 3/ 53.

الأوّل: وهو قول جمهور العلماء من الحنفيّة والمالكيّة والشّافعيّة، والّذي يحرّم أمّ الزّوجة بمجرد العقد على اِبنتها دون الدّخول بها.

والثّاني: وهو قول علي (ت40 هـــ) رضي الله عنه، وابن عباس، ومجاهد؛ إذ قالوا أنّ أمّ الزّوجة لا تحرم إلاّ بالدّخول باِبنتها، كما لا تحرم ابنتها إلاّ بالدّخول [1].

ويرجع سبب الخلاف بين الفقهاء إلى السّكت الوارد في الآية، حيث يرى جمهور العلماء أنّ الكلام تامٌّ عند قوله: (**وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ**)، فهي جملةٌ مستقلّةٌ قائمةٌ بذاتها تتعلّق بما قبلها ولا تتعلّق ما بعدها، أي بقوله: (وَرَبَائِبُكُمْ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ)؛ إذ إنّ الجملة الأخيرة استؤنف بها.

يقول القرطبي: "(وَرَبَائِبُكُمْ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ)، هذا مستقلٌّ بنفسه، ولا يرجع قوله: (مِنْ نِسَائِكُمْ اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ) إلى الفريق الأوّل بل هو راجع إلى الرّبائب؛ إذ هو أقرب مذكورٍ [2]. واستدلّ الجمهور والحنفيّة على رأسهم في إعمال السّكت بمجموعة من الأدلّة:

- روي عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال في رجلٍ تزوّج امرأة ثمّ طلّقها قبل أن يدخل بها: لا بأس أن يتزوّج ابنتها، ولا يحلّ له أن يتزوّج أمّها [3].

فقول الرّسول لا يحتمل التّأويل، وهذا النّكاح حرامٌ لما له من مساوئ؛ إذ ينشئ الضّغينة بين البنت وأمّها، فيفضي إلى قطع الأرحام وهو حرامٌ، فما أفضى إلى الحرام حرامٌ.

---

[1]- "الدّر المصون"، 4/ 113.

[2]- "الجامع لأحكام القرآن"، 5/ 74.

[3]- "الكشاف"، 3/ 51.

وقوله: (اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ) يحتمل الرجوع إلى الرّبائب أو الرّبائب والأمّهات معاً، فيُردّ إلى أقرب مذكورٍ تغليباً للتّحريم على التّحليل في الفروج، وهكذا هو مقطوع السّلف فيها عند تعارض الأدّلة بالتّحريم والتّحليل عليها [1].

ويضيف ابن العربي: " أنّ كلّ واحدٍ من الموصوفين قد انقطع عن صاحبه وخرج منه بوصفه، فإنّه قال: (وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ) ثمّ قال بعده: (وَرَبَائِبُكُمْ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ)، فوصف وكرّر، وذلك الوصف لا يصحّ أن يرجع إلى الأمّهات، وهو قوله: (اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ)، فالوصف الّذي يتلوه يتبعه ولا يرجع إلى الأوّل لبعده منه وانقطاعه عنه [2].

فيما ذهب علماء البّصرة من النّحويين إلى أنّ عبارة: (اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ) لا يجوز أن تكون صفة لـــ (نِسَائِكُمْ) الأولى والثّانية، أي أن تعود على الأمّهات والرّبائب معًا، يقول: أحمد الحّلبي: "قوله: (اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ) صفة لنسائكم المجرورة بـــ (من)، ولا جائز أن تكون صفة لـــ (نِسَائِكُمْ) الأولى والثّانية لوجهين: أحدهما: من جهة الصّناعة، وهو أن (نِسَائِكُمْ) الأولى مجرورة بالإضافة، والثّانية مجرورة بـــ (من)، فقد اختلف العاملان، وإذا اختلف امتنع النّعت، لا تقول: (رأيت زيدا ومررت بعمرو العاقلين)، على أن يكون العاقلين نعتاً لهما، والثّاني: من جهة المعنى، وهو أنّ أمّ المرأة تحرم بمجرد العقد على البنت دخل بها أو لم يدخل بها عند الجمهور، والرّبيبة لا تحرم إلاّ بالدّخول على أمّها [3].

أمّا أصحاب الرّأيّ الثّاني والّذين لم يعملوا السّكت في الآية وجعلوا (وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ) متعلّقة بقوله: (فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ)، فيجيزون نكاح أمّ الزّوجة إذا لم يدخل بابنتها، وكذا نكاح اِبنتها، أي لا تحرمان إلاّ بالدّخول والنّكاح، ورأوا أنّ عامل الإضافة غير عامل الخفض بحرف الجرّ، لذا أرجعوا قوله تعالى: (اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ) على الرّبائب والأمّهات [4].

---

[1]- "أحكام القرآن"، 1/ 486.

[2] - "أحكام القرآن"، 1/ 486.

[3]- "الدّر المصون"، 2/ 642.

[4]- "أحكام القرآن"، 1/ 489.

وفي الختام نتبيّن أنّ السّكت على قوله: (وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ) والاستئناف بقوله: (وَرَبَائِبُكُمْ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ) ذو أهميّة في بيان اختلاف المعنى، ويعدّ العامل الأهمّ في ترجيح رأي الجمهور القائل أنّ الأمّ يحرم نكاحها بمجرد العقد على اِبنتها، على خلاف الرّبيبة الّتي يشترط في عدم نكاحها الدّخول بأمّها.

السّكتة الثّامنة:

قوله تعالى: ﴿ **إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثاً وَإِنْ يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَاناً مَرِيداً، لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً** ﴾ [1].

في الآية الكريمة خطابان، الأوّل من الله تعالى، والثّاني من الشّيطان لعنة الله عليه، فأوجب الفصل بينهما لبيان تلك الازدواجية، فجاءت السّكتة بعد كلمة: ﴿ **لَعَنَهُ اللَّهُ** ﴾ واستؤنف بقولـــه: ﴿ **وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً** ﴾، لئلا يتوّهم في الوصل أنّ قولـــه: ﴿ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً ﴾ من كلام الله تعالى، بل هو حكاية عن الشّيطان لعنه الله يقول الشّيخ أبو حيّان: "المراد بالشّيطان – إبليس- قاله الجمهور، وهو الصّواب لأنّ ما قاله بعد ذلك [2] مبيّنٌ أنّه هو [3].

والمعنى الإجمالي للآية يبيّن صلة السّكت بالمعنى، فالله تعالى فصل بين ذكر حال المشركين، وما هم عليه من ضلالٍ وكفرٍ بقوله: ﴿ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثاً وَإِنْ يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَاناً مَرِيداً ﴾، والضّمير في (يدعون) للكفّار، ومعناه: يعبدون [4].

أمّا (الإنَاثُ) فالمراد بها عند الجمهور الأصنام الّتي كانوا يعبدونها، وهي اللاّت والعزى ومناة- وقيل-: "لم يكن حيّ من أحياء العرب إلاّ ولهم صنم يعبدونه يسمونه أنثى بني فلان،

[1]- "سورة النساء"، الآيتان:117- 118.

[2]- أي قوله (لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا).

[3]- "البحر المحيط"، 351/3.

[4]- "التّسهيل"، 211/1.

وكانوا يزينونه بالحليّ كالنّساء [3]. وقيل: يراد بها الملائكة، لأنّ بعضهم كان يعبد الملائكة، ويقولون عنها : بنات الله، قال تعالى : ﴿ **وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً** ﴾[1] " [2].

﴿ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثاً وَإِنْ يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَاناً مَرِيداً ﴾، فيدعون: يعبدون كما ذكرنا سابقاً، (إِلاَّ شَيْطَاناً مَرِيداً) يعني إبليس، وإنّما قال يعبدونه لأنّهم يطيعونه في الكفر والضلال، والمريد: هو الشّديد العتوّ والإضلال وهي صفة الشّيطان، و(لَعَنَهُ اللَّهُ) صفة أخرى [3].

فالكفّار بتوليهم عن عبادة الخالق سبحانه وإقبالهم على عبادة الأصنام، إنّما يطيعون الشّيطان الّذي أغراهم وأزّلهم عن الطريق الصّحيح فقال:﴿ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً ﴾ أي:نصيباً مقطوعاً واجباً فرضته لنفسي، والمعنى: أقسمت على أن أتخذ من عبادك الّذين أبعدتني من أجلهم حظّاً مقدوراً معلوماً [4]، فأخصّهم بإضلالي وهم الكفرة والعصاة .

السّكتة التّاسعة:

قوله تعالى: ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً** ﴾ [5].

ينهى الله سبحانه وتعالى أهل الكتاب عن الغلوّ والإطراء في دينهم، وفي تعظيم منزلة عيسى عليه السّلام حتّ رفعوه فوق المنزلة الّتي منحها له سبحانه وتعالى، فرفعوه من منزلة

[1]- "سورة الزخرف"، الآية: 19.

[2]- "البحر المحيط"، 3/351-352.

[3]- "التّسهيل"، 1/211.

[4]- "الكشّاف"، 2 /151.

[5]- "سورة النساء"، الآية: 171.

النبوّة إلى منزلة إلهٍ يعبدونه كما يعبدون الله سبحانه.

وقد دعا سبحانه أهل الكتاب إلى إتباع كتبهم الّتي بين أيديهم؛ إذ أنّهم خالفوها، وقوله: ﴿ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ ﴾ أي: لا تصفوا الله بالحلول والإتحاد في بدن الإنسان أو روحه، واتخاذ الصّاحبة والولد، بل نزّهوه عن هذه الأحوال [1].

ثمّ بيّن سبحانه القول الفصل في شأن عيسى عليه السّلام، فقال: ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾؛ أي: أنّ عيسى بن مريم رسول من رسل الله، وأنّه وجد بكلمة الله وأمره من غير نطفةٍ، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ [2]" [3]. فأثبت أنّه ولد مريم اتصل بها اتصال الأولاد بأمّهاتها، وأنّ اتصاله بالله تعالى من حيث أنّه رسوله، وأنّه موجودٌ بأمره وابتداعه جسداً حيّاً من غير أبٍ، فنفى أن يتّصل به اتصال الأبناء بالآباء.

ثمّ دعا سبحانه أهل الكتاب إلى الإيمان بجميع رسله، وترك الضّلال الّذي يتّبعونه فقال: ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُوا ثَلاَثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ ﴾؛ أي آمنوا بالله الواحد الأحد، وبكافّة رسله المبلّغين لرسالته، ولا تعظّموا بعضهم حتّى تجعلوهم بمنزلة الآلهة، ولا تقولوا: آلهتنا ثلاثة، والنّصارى مع تفرّق مذهبهم يقولون بالتّثليث، ويعنون بالثّلاثة: الثّلاثة أقانيم [4]، فيجعلونه سبحانه جوهراً واحداً له ثلاثة أقانيم، وهي أقنوم الوجود، وأقنوم الحياة، وأقنوم العلم، وربّما يعبّرون عن الأقانيم بالأب والابن وروح القدس، فيعنون بالأب: الوجود، وبالرّوح: الحياة، وبالابن: المسيح [5].

---

[1] – "الكشّاف"، 2/ 575.

[2] – "سورة آل عمران"، الآية: 59.

[3] – "الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم"، ص 85.

[4] – الأقانيم: الأصول، واحدها أقنوم، وقيل هي كلمة روميّة، ينظر: "لسان العرب"، مادة: قنم.

[5] – "الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم"، ص 85.

﴿ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ﴾، تتريه الله من التّثليث، ونفي الولد عنه مطلقاً، وقرأ الحسن البّصري: (إن يكون) بكسر الهمزة، ورفع النون من (يكون) على أنّ (إنّ) نافية، أي: ما يكون له ولدٌ، فعلى قراءته يكون هذا الكلام جملتين، وعلى قراءة العامّة يكون جملةً واحدةً [1]. وحكاية الله أوثق من حكاية غيره، وهي سبّحه تسبيحاً من أن يكون له ولدٌ.

وقد ورد السّكت بعد قوله: (**وَلَدٌ**) واستؤنف بعده بكلامٍ جديدٍ: (**لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**)، فزادت السّكتة المفصليّة من بيان الآية ووضوح دلالتها، ونفت وقوع اللّبس فيها، لأنّه لو وصل لأوهم أنّ ما بعده صفة له، فكان الولد موصوفاً بأنّه يملك ما في السّموات وما في الأرض، والمراد نفي الولد مطلقاً، أمّا "ما بعده فكلامٌ مستأنفٌ مسوقٌ للتّتريه [3]. تتريه الله تعالى عما نسب إليه، يعنّي أنّ كلّ ما فيهما خلقه وملكه، فكيف يكون بعض ملكه جزءاً منه، وعلى أنّ الجزء إنّما يصحّ في الأجسام وهو متعالٍ عن صفات الأجسام والأعراض. ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾ وكلّ إليه الخلق كلّهم أمورهم، فهو الغنيّ عنهم وهم الفقراء إليه [2].

وهذه العبارة الأخيرة من الآية، إشارة إلى دليلٍ آخر عن تتريه الله تعالى نفسه وتعظيمها من أن يكون له ولدٌ، لأنّ الوّكيل بمعنى الحافظ، فإذا استقل سبحانه وتعالى بالحفظ لم يحتج إلى الولد، لأنّ الولد يعين أباه في حياته، ويقوم مقامه بعد وفاته، والله متزّهٌ عن هذا، فلا يتصوّر له ولدٌ عقلاً [3].

السّكتة العاشرة :

يقول تعالى: ﴿ **وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ**

[1]- الألوسي (أبو الفضل شهاب الدّين السيّد محمّد)، "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان، ط4، 1985م، 6/ 37.

[2]- "الكشاف"، 2/ 575.

[3]- "روح المعاني"، 6/ 37.

الْعِقَابِ ﴾ [1].

في الآية الكريمة سكتٌ له بالغ الأهميّة في بيان معناها؛ إذ يسكت القّارئ سكتة خفيفة بعد قوله تعالى: (**أَنْ تَعْتَدُوا**) لأنّه لو وصل بما بعده لصار ما بعده معطوفاً عليه أي: (أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا).

يقول الألوسي رحمه الله: "وجملة ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى** ﴾ استئناف، والسّكت على (تَعْتَدُوا) لازمٌ [2]؛ إذ إنّ الاعتداء منهيٌّ عنه، والتّعاون على البــرّ والتّقوى مأمورٌ به .

والمعنى الإجمالي للآية يزيد من بيان أهميّة السّكت فيها؛ إذ ينهى الله عباده المؤمنين عن أن يحملهم البغض للقوم الّذين صدّوهم عن المسجد الحرام، على أن يمنعوهم بدورهم من دخوله فيقول: ﴿ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا ﴾، و"(يَجْرِمَنَّكُمْ) من جَرَمَ، وهي بمعنى حمل، يقال جرمه على كذا: حمله، وقيل: جرمه: كسبه. و(يُجْرِمَنَّكُمْ) بضمّ الياء من أجرم رباعيّاً، وقيل هو بمعنى (جَرَمَ) كما تقدّم نقله عن الكسائي، والشنآن: البغض وهو أحد مصادر شنئ، وقرئ بسكون النون [3].

(أَنْ صَدُّوكُمْ) قرئ بكسر همزة (إنّ) وفتحها، فمن كسر فعلى أنّها شرطيّة، "وقد استشكل النّاس هذه القراءة [4] من حيث إنّ الشرط يقتضي أنّ الأمر المشروط لم يقع، والغرض أنّ صدّهم من البيت الحرام كان قد وقع، ونزول هذه الآية متأخرٌ عنه بمدّةٍ ... فالجواب عمّا قالوا: من وجهين: أحدهما: أن لا نسلّم أنّ الصدّ كان قبل نزول الآية فإنّ نزولها عام الفتح ليس مجمعّاً عليه، وذكر أنّها نزلت قبل الصدّ فصار الصدّ أمراً منتظراً، والثّاني: أنّه إن سلمنا أنّ الصدّ كان متقدّماً على نزولها فيكون المعنى: إن وقع صدٌّ مثل ذلك

[1]- "سورة المائدة"، الآية: 2.

[2]- "روح المعاني"، 56/6.

[3]- "البّحر المحيط"، 426/3.

[4] - قراءة أبي عمرو وابن كثير.

الصدّ الّذي وقع زمن الحديبيّة – أو يستديموا الصدّ الّذي وقع منهم – فلا يحرمنّكم [1].

أمّا من فتح فعلى أنّها علّة الشنآن، أي: لا يكسبنّكم- أو لا يحملنّكم – بغضكم لقومٍ لأجل صدّهم إيّاكم على المسجد الحرام – الاعتداء –[3] بالانتقام منهم وإلحاق المكروه بهم .

وبعد ما نهى الحقّ سبحانه عباده عن الاعتداء أمرهم بقوله: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ أي: على العفو والإغضاء، ﴿ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ على الانتقام والتّفشي، ويجوز أن يراد العموم لكلّ برٍّ وتقوى، وكلّ إثمٍ وعدوانٍ، وقرئ (وَلا تَعَاوَنُوا)؛ إذ الأصل (تتَعَاوَنُوا) فأدغم [2].

وختم الآية سبحانه بقوله: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾، "فأمر بالتّقوى مطلقة، وإن كان قد أمر بها في التّعاون تأكيداً لأمرها، ثمّ علّل ذلك بأنّه شديد العقاب، فيجب أن يتقى، وشدّة عقابه بكونه لا يطيقه أحدٌ، ولاستمراره [3]، فجاء قوله تذييلاً قصد به إنذار الّذين يتعاونون على الإثم و العدوان .

السّكتة الحادية عشر :

يقول سبحانه: ﴿ **قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ** ﴾ [4].

ورد في الآية الكريمة وقفٌ من نوعٍ خاصٍّ يعرف بوقف المعانقة [5] – وقد آثرنا المحافظة على مصطلح الوقف كونه يعبر عن أحد أنواعه – فيمكن للقارئ الوقف على موضعين من

---

[1] – "الدّرّ المصون"، 3/192– 193.

[2] – "الكشّاف"، 2/194.

[3] – "الكشّاف"، 2/194.

[4] – "سورة المائدة"، الآية: 26.

[5] – وقف المعانقة : هو أن يجتمع وقفان في محلٍّ واحدٍ، يصحّ الوقف على كلّ واحدٍ منهما، لكن إذا وقف على أحدهما امتنع عن الآخر، لئلا يختل المعنى، ويسمى أيضاً وقف المراقبة. ينظر: " البرهان في علوم القرآن "، 1/ 255.

الآية فيختلف معناها تبعاً لاختلافهما، فيجوز الوقف على كلمتي (**عَلَيْهِمْ**)، و(**سَنَةً**) على أن يختار إحداهما لئلا يختل المعنى، فإذا وقف على قوله: (عَلَيْهِمْ) وصلت (سَنَةً) بقوله: (يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ)، والمعنى أنّها محرّمةٌ عليهم وأنّ التّيه أربعين سنةً، أمّا إذا وقف على قوله: (سَنَةً) وصلت (عَلَيْهِمْ) بـــ (أَرْبَعِينَ)، ويكون المعنى أنّها محرّمة عليهم أربعين سنةً، ومدّة التّيه في الأرض غير محدّدةٍ بزمنٍ.

وقد رجعنا في هذا إلى قول أهل التّأويل الّذين يرجع في علم القرآن إليهم، لأنّ المعاني فيه مختلفة، فوجدنا أهل التّأويل قد اختلفوا في ذلك، فقالوا: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ﴾ هو التّمام، أي محرّمةٌ عليهم أن يدخلوها أبداً يتيهون في الأرض أربعين سنةٍ، وقيل في الكلام تقديم وتأخير، والمعنى: يتيهون في الأرض أربعين سنة [1]، فيكون العامل في (أَرْبَعِينَ) هو (يَتِيهُونَ) [2].

وقد رفع هذا بعضهم إلى ابن عباس أنّه قال: "مات موسى وهارون عليهما السّلام في التّيه[3] ولم يدخل أحدٌ ممّن كان في التّيه، وممّن جاوز عشرين سنة مدينة الجبّارين [4]، ولكن فتحها يوشع بعد موسى صلّى الله عليهما [5].

يقول عبد الكريم : أوّل من نبّه على المراقبة في الوقف والابتداء، الإمام الأستاذ أبو الفضل الرّازي— وقد– أخذه من المراقبة في العروض، وهي المراقبة في آخر الشعر عند التجزئة بين الحرفين، وهو أن يسقط أحدهما ويثبت الآخر، ولا يسقطان معاً ولا يثبتان معاً، وهو في (مفاعيل) فلا يجوز أن يتم إنّما هو (مفاعيل) أو (مفاعلن). ينظر: "لسان العرب"، مادة : رقب.

ويرمز لوقف المعانقة أو المراقبة في المصحف الشّريف بثلاث نقاط هكذا ( )، وتكتب على الكلمتين اللّتين بينهما معانقة أو مراقبة على التضاد، والعلّة في اختيار هذا الرّمز أنّ مادة كلٍّ من الكلمتين تحتوي حروفاً مجموع نقاطها ثلاثة، كما تراه في: عنق أو رقب. ينظر: "البرهان في علوم القرآن"، 1/ 149– 150 .

[1]– "القطع والائتناف"، ص 174.

[2]– "البّحر المحيط"، 473/3.

[3] – يقول الزمخشري: "اختلف في ذلك، فقيل: لم يكونا معهم لأنّه كان عقاباً، وقد طلب موسى إلى ربّه أن يفرّق بينهما وبينهم، وقيل: كانا معهم إلاّ أنّه كان روحاً وسلامةً لا عقوبة، وروي أنّ هارون مات في التّيه، ومات موسى بعده فيه بسنةٍ"، ينظر: "الكشّاف"، 224/2.

[4] – الجبّارين: جمع الجبّار، وهو المتكبّر عن عبادة الله، والجبّار من الملوك: العاتي، فيما يرى المفسّرون أنّ المراد به من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ ﴾ المائدة، الآية: 22، هو العظيم والقويّ والطّويل. ينظر: "لسان العرب"، مادة: جبر.

[5] – "القطع والائتناف"، ص 174– 175.

وقد ردّ على القائلين بأنّ في الكلام تقديم وتأخير، أنّه لا ينوى بشيءٍ تقديم وتأخير إلاّ بحجّـــةٍ قاطعـــةٍ [1].

أمّا من وقف على قوله: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ فيكون (يَتِيهُونَ) مستأنفاً – فقد– ذكر أنّهم قاموا في التّيه أربعين سنةً، ثمّ سار موسى صلّى الله عليه وسلّم في بني إسرائيل حتّى فتح مدينة الجبّارين، ويختار هذا القول لأنّه لا اختلاف بين أهل النقل أنّ موسى قتل عوجاً من الجبّارين، ومحالٌ أن يكون قتله قبل التّيه، لأنّه لو قتله قبل التّيه لم يفزع بنو إسرائيل من الجبّارين، ويخافوا على موسى صلّى الله عليه وسلّم [6].

فللوقف وموضعه أثرٌ بارزٌ في اختلاف دلالة الآية الكريمة، وبيان المعنى المتعيّن منها؛ إذ أنّ معناها الإجمالي يتماشى مع موضع الوقف (فَإِنَّهَا)، أي: الأرض المقدّسة، (مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ) لا يدخلونها ولا يملكونها، فإن قلت: كيف يوفق بين هذا وبين قوله: ﴿ **الَّتِي كَتَبَ لَكُمْ** ﴾ [2]، قلت: فيه وجهان: أحدهما: أن يراد كتبها لكم بشرط أن تجاهدوا أهلها فلمّا أبوا الجهاد، قيل: إنّها محرّمة عليهم، والثّاني: أن يراد فإنّها محرّمةٌ عليهم أربعين سنةً، فإذا مضت الأربعون كان ما كتب [3].

﴿ يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ ﴾: التّيه: هو الحيرة [4]، أي: يسيرون متحيّرين لا يهتدون طريقاً، وقد تضافرت أقوال المفسّرين على أنّ التيّه على سبيل خرق العادة...حيث جاز على جماعةٍ أن يسيروا فراسخ يسيرةٍ ولا يهتدون للخروج منها...ويحتمل أن يكون تيههم بافتراق الكلمة وقلة اجتماع الرأي ، فكان التّيه أشدّ عقابٍ لهم، وقال الشّيخ أبو حيّان: "ذكروا أنّ حكمة التّيه هي أنّهم لّما قالوا: ﴿ إنّا ههنا قاعدون ﴾ [5] عوقبوا بالقعود، فصاروا في صورة القاعدين

[1] - "القطع والائتناف"، ص 174- 175.

[2] – "سورة المائدة"، الآية: 2.

[3] – "الكشّاف"، 223/3.

[4] – "لسان العرب"، مادة: تاه.

[5] – "سورة المائدة"، الآية: 24.

وهم سائرون،– كما – ذكر أنّ حكمة كون المدّة الّتي تاهوا فيها أربعين سنة هي كونهم عبدوا العجل أربعين يوماً، فجعل عقاب كلّ يومٍ سنة في التّيه [1]. إلاّ أنّ موسى عليه السّلام ندم لدعائه عليهم، فردّ عليه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾، و(تأس) من: أَسَى، يَأْسَى، أَسَىً شديداً، وهو الحزن [2]، أي: لا تحزن عليهم لأنّهم أحقّاء بالعذاب لفسقهم .

السّكتة الثّانية عشر:

قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [3].

يأمرنا الله سبحانه بعدم موالاة الكفار من يهودٍ ونصارى، وسبب نزول الآية موالاة عبد الله بن أبي بن مسلول ليهود بني قينقاع، وخلع عبادة بن الصّامت الحلف الّذي كان بينه وبينهم [4]. فلا يجب موالاتهم، فهم أعداء الإسلام وأهله.

وقد وردت في الآية الكريمة سكتة فصلت ما سبقها من كلام عمّا لحقها، يقول الأخفش: "يقول تعالى: ﴿ **لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ** ﴾ ثمّ قال: ﴿ **بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** ﴾ على الابتداء [5]، أي: يجب السّكت على قوله: (وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ)، ذلك أنّه لو وصل لأوهم أنّ جملة (بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) صفة لأولياء، فيكون النّهيّ عن اتخاذهم أولياء كون بعضهم أولياء بعضٍ، فإن زالت هذه الصّفة أمكن اتخاذهم أولياء، إنّما نهى الله عن ذلك مطلقاً، وجملة (بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) لا محل لها لأنّها مستأنفة، سبقت تعليلاً للنّهي المتقدّم [6].

---

[1]– "البّحر المحيط"، 473/3.

[2]– "معاني القرآن"، ص 392.

[3]– "سورة المائدة"، الآية: 51.

[4]– "التّسهيل"، 240/1.

[5]– "معاني القرآن"، ص 395.

.[1]

ومعنى الآية يوضّح أهميّة السّكت فيها، فالله سبحانه نهانا عن اتخاذ – اليهود والنّصارى – أولياء ننصرهم ونستنصرهم ونؤاخيهم ونعاشرهم معاشرة المؤمنين؛ إذ يقـــول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ﴾، ثمّ علّل الحقّ سبحانه نهيّه بقوله: ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ وهي جملة استئنافية جاءت لتعليل النّهيّ، ومعناها "إنّما يوالي بعضهم بعضاً – أي اليهود والنّصارى – لإتحاد ملّتهم واجتماعهم في الكفر، فما لمن دينه خلاف دينهم من موالاتهم [2].

ثمّ قال: ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾، جاءت هذه الجملة نتيجة لما سبقها، أي: من اتخذهم أولياء فهو منهم، وفي القول "تغليظٌ في الوعيد، فمن كان يعتقد معتقدهم فهو منهم من كلّ وجهٍ، ومن خالفهم في اعتقادهم وأحبّهم فهو منهم في المقت عند الله واستحاق العقوبة [3].

السّكتة الثّالثة عشر:

يقول تعالى: ﴿ **وَقَالَتْ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ** ﴾ [4].

في الآية الكريمة يسكت القّارئ على قولـــه: ﴿ **وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا** ﴾ ويستأنف بقولـــه: ﴿ **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** ﴾، ولا يجوز وصله لأنّه لو وصل لتوهّم أنّ قوله تعالى: (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ) من مقول اليهود ومفعول لـــ (قَالُوا) وليس كذلك، بل جملة (بَلْ يَدَاهُ

[1]– "الدّرّ المصون"، 4 /299.

[2]– "الكشّاف"، 249/2.

[3]– "التّسهيل"، 240/1.

[4]– "سورة المائدة"، الآية: 64.

مَبْسُوطَتَانِ) جاءت ردّاً لقولهم: ﴿ **يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ** ﴾. وقد أفردت في قول اليهود وثنّيت في قوله سبحانه ليكون ردّ قولهم وإنكاره أبلغ وأدلّ على إثبات غاية السّخاء ونفي البخل عنه سبحانه، وذلك أنّ غاية ما يبذله السخيّ بما له من نفسه أن يعطيه بيديه جميعاً [1]. وقد أجزل الله علينا بنعمائه الّتي لا تعدّ ولا تحصى.

قال الإمام النّووي [2]: "ومن الآداب إذا قرئ نحو قوله تعالى: ﴿ **قَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ** ﴾ [3]، و﴿ **وَقَالَتْ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ** ﴾ [4]، من كلّ ما يوهم أن يخفض صوته بذلك؛ إذ كلّ ما خطر بالبّـــال أو تُوهِّم بالخيـــال فالله تعالى على خلافه [5].

ومعنى الآية يوضّح لزومية السّكت؛ إذ يخبرنا الله تعالى أنّ اليهود أصابتهم سنة جهدٍ فقالوا: (يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ)، وكان الّذي قال هذه المقالة الشنيعة فنحاص [6]، ونسبت إلى جملة اليهود لأنّهم رضوا بقوله [7] فأشركوا فيه.

وذكر الأخفش: "أنّ اليّد في قوله: (يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ) وكذلك في قوله: (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ) أنّـــها (العطيّة والنّعمة)، فكما يقول: إنّ لفلانٍ عندي يـــداً، أي نعمة، وقال: ﴿ **أُوْلِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ** ﴾ [8]، أي أولي النّعم [9]، وغلّ اليد كناية عن البّخل وبسطها كناية

---

[1]- "الكشّاف"، 267/2.

[2] – شيخ الإسلام، محيي الدّين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرّي بن حسن، ولد في محرّم سنة إحدى وثلاثين وست مئة، قرأ القرآن ببلده، وقدم دمشق بعد تسع عشرة سنة من عمره، لزم العلم والعلماء ليلاً ونهاراً نحو عشرين سنة، حتّى فاق الأقران، أخذ في التّصنيف في حدود الستين وستمائة إلى أن مات سنة: 676هـ. ينظر: "رياض الصّالحين"، ص 9 – 10.

[3]- "سورة المائدة"، الآية: 64.

[4]- "سورة التّوبة"، الآية: 30.

[5]- "الإتقان في علوم القرآن" ، 185/1.

[6]- قال ابن عباس: "نزلت الآية في فنحاص، وقيل :فيه وابن صوريا وحازر بن عازر، وهم علماء اليّهود"، ينظر: "البحر المحيط"، 93/3. 93/3.

[7]- "التّسهيل"، 243/1.

[8]- "سورة ص"، الآية: 45.

[9]- "معاني القرآن"، ص 396.

كناية عن الجود، ومنه قوله تعالـــى: ﴿ **وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ** ﴾ [1]، أي: لا تبخل كلّ البخل ولا تجد كلّ الجود، فبسط اليّد وقبضها عبارتان وقعتا وقعتا متعاقبتين للبخل والجود.

(غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ)، الغلّ هنا قد يراد به البخل أو من غلّ الأيدي أي: تقييدها، ويقول الزّمخشري: "(غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ) يجوز أن يكون معناه الدّعاء عليهم بالبخل والنّكد، ومن ثمّ كانوا أبخل خلق الله وأنكدهم، ويجوز أن يكون الدّعاء عليهم بغلّ الأيدي حقيقة، يغلّلون في الدّنيا أسارى وفي الآخرة معذّبين بأغلال جهنّم [2]، والدّعاء هنا ليس دعاءً من الله تعالى؛ إذ هو من ندعوه ونرجو منه استجابة دعاءنا، لكنّه بمثابة تعليمٍ من اللّه لنا بأن ندحض أقوالاً مثل هذه تسيء إلى الله وندعو على قائلها.

(بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ): جاءت الجّملة ردّاً على قول اليّهود، فهي تعبّر عن إنعامه وجوده، "فهو الوّاسع الفّضل، الجزيل العطاء، الّذي ما من شيء إلاّ عنده خزائنه، وهو الّذي ما بخلقه من نعمةٍ فمنه وحده لا شريك له، الّذي خلق كلّ شيءٍ ممّا نحتاج إليه في ليلنا ونهارنا، وحضرنا وسفرنا، وفي جميع أحوالنا، كما قال: ﴿ **وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوه وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ** ﴾ [3].

السّكتة الرّابعة عشر:

قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [4].

يبيّن الله سبحانه كفر طائفةٍ من النّصارى والّذين قالوا: ﴿ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ ﴾،

[1]- "سورة الإسراء"، الآية: 29.

[2]- "الكشّاف"، 266/2.

[3] - "سورة النّحل"، اللآية: 18.

[4]- "سورة المائدة" الآية: 73.

ويريدون بذلك أنّ الله تعالى وعيسى وأمّه مريم آلهة واحدة، ويؤكّده قوله: ﴿ **أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ** ﴾ [1]. وهذا أمرٌ معروفٌ بطلانه، فأوجب الفصل بين كلام النّصارى القائل بالتثليث: (إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ)، وكلام الله القائل بوحدانيته سبحانه: (وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ) بسكتةٍ تزيد من جلاء معنى الآية ووضوحها؛ إذ إنّ تغييبه في هذا السّياق الشّريف قد يأذن باشتباهٍ، "وقد ألزم السجاوندي [2] السّكت على (ثَالِثُ ثَلاثَةٍ) والابتداء (وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ)، لئلا يوهم أنّه من مقولهم، ولم يوصل لتعجيل التّنزيه [3].

فالنّصارى يقولون: جوهرٌ واحدٌ، ثلاثة أقانيم: أبٌ وابنٌ وروحٌ قدس، وهذه الثّلاثة إلهٌ واحدٌ، وزعموا أنّ الأب إلهٌ والابن إلهٌ، والرّوح إلهٌ، والكلّ إلهٌ واحدٌ، وهذا معلوم البطلان ببديهة العقل: أنّ الثّلاثة لا تكون واحداً، وأنّ الوّاحد لا يكون ثلاثةً، ولم يُرى مقالة في الدّنيا أشدّ فساداً وأظهر بطلاناً من مقالة النّصارى [4]، لذا كان الفصل واجباً بين هذا القول وقوله: (وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ)، ومعناه أنّه لا يوجد إلاّ إلهٌ واحدٌ لا ثاني له، وهو الله وحده لا شريك له "فوصف بالوحدانيّة، وأكدّ ذلك بزيادة (من) الاستغراقية لحصرّ إلهيّته [5]، وتثبيت صفة الوحدانية.

ثمّ يبيّن الحقّ سبحانه عاقبة الكافرين إن استمرّوا في قولهم فقال: ﴿ وَإِنْ لَمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي: "إن لم ينتهوا عن افترائهم، واعتقادهم في عيسى أنّه هو الله وأنّه ثالث ثلاثةٍ أوعدهم بإصابة العذاب الأليم في الدّنيا بالسبيّ والقتل، وفي الآخرة بالخلود في النّار، و(لَيَمَسَّنَّ) جواب قسمٍ محذوفٍ تقديره: (والله وَإِنْ لَمْ يَنتَهُوا

---

[1]- "سورة المائدة "، الآية: 116.

[2]- هو محمّد بن طيفور المكنى بأبي عبد اللّه والمعروف بالسجاوندي، له في علم الوقف كتاب: "الوقف والابتداء" وكتاب "وقوف القرآن"، توفي سنة 560 هـــ. ينظر: "غاية النهاية"، 2/ 157.

[3]- "النّشر"، 188/1.

[4]- "البّحر المحيط"، 544/3 و "التّفسير الكبير"، 20/2.

[5]- "البّحر المحيط "، 544/3.

عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [1]، وذلك قصد تأكيد النّهي عن مقولهم.

وقد عبّر الحقّ عزّ وجلّ بالظّاهر فقال: (لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ) مقام المضمر (لَيَمَسَّنَّهُمْ) لأنّ في إقامة الظّاهر مقام المضمر فائدة أخرى، وهي الإعلام في تفسير (الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ) أنّهم بمكان الكفر، ولتكرير الشّهادة عليهم بالكفر في قوله (لَقَدْ كَفَرَ)، فتكون (من) للبيان كالّتي في قوله: ﴿ **فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنْ الأَوْثَانِ** ﴾ [1]، ويجوز أن تكون للتّبعيض على المعنى، ليمسنّ الّذين بقوا على كفرهم منهم، لأنّ كثيراً منهم تابوا من النّصرانية [2].

فالفصل بالسّكت هامّ في الآية الكريمة لبيان كلام الله من كلام الكفرة، وبهذا المعنى المتعيّن من الآية .

السّكتة الخّامسة عشر:

يقول عزّ وجلّ: ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ** ﴾ [3].

نجد في الآية الكريمة سكتاً كان له بالغ الأثر في بيان المعنى المتعيّن منها، والّذي يتموضع بعد قوله: (**أَبْنَاءَهُمْ**) لأنّه لو وصل الكلام لتُوهّم أنّ ﴿ **الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ** ﴾ نعتاً لأبناء ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه المؤمنين، وكي لا يوهم أيضاً أنّ (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ) صفة للظّالمين، فيتغيّر المراد من الآية.

فقوله: ﴿ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ جملةٌ مستأنفةٌ، فأعرب ﴿ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ مبتدأ والخبر (فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ)، و(الَّذِينَ خَسِرُوا) على هذا أعمّ من أهل الكتاب الجاحدين من المشركين [4].

---

[1]- "سورة الحج"، الآية: 30.

[2]- "الكشاف"، 276/2، و "البحر المحيط"، 544/3، و "روح المعاني"، 208/6 .

[3]- "سورة الأنعام"، الآية: 20.

[4]- "البّحر المحيط"، 97/4.

فوجود السّكت في الآية يزيد من وضوحها؛ إذ يخبرنا سبحانه أنّ أهل الكتاب من اليهود والنّصارى يعرفون رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بحليّته ونعته الثابت في الكتابين معرفة خالصة، فيقول: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ [1]، والضّمير في (يَعْرِفُونَهُ) عائد على الرّسول صلّى الله عليه وسلّم [2] وذلك عند جمهور الفقهاء .

(كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ): لا تختلط على أحدٍ وجوه أبناءه بغيرهم فيعرفونهم "بحلاهم ونعوتهم لا يخفون عليهم ولا يلتبسون بغيرهم، وهذا استشهاد لأهل مكة بمعرفة أهل الكتاب به- صلّى الله عليه وسلّم- وبصحّة نبوّته [3]، ويدلّ على هذا حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع عبد الله بن سلام [4].

ثمّ يبيّن الحقّ سبحانه أنّه بسبب بعدهم عن الحقّ وعنادهم وتمرّدهم لا يؤمنون بما جاء به صلّى الله عليه وسلّم، فيقول: ﴿ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾، يقول الزّمخشري : ﴿ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ من المشركين، ومن أهل الكتاب الجاحدين، (فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ) به، جمعوا بين أمرين متناقضين فكذبوا على الله بما لا حجّة عليه، وكذبوا بما ثبت بالحجّة البيّنة، والبرهان الصّحيح، حيث قالوا: ﴿ **لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا** ﴾ [5]، فأظلّهم عنادهم وحاد بهم عن الصّراط المستقيم .

السّكتة السّادسة عشر:

[1]- "الكشّاف"، 331/2.

[2]- "البّحر المحيط"، 97/4.

[3]- "الكشّاف"، 331/2.

[4] – قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : "إنّ الله أنزل نبيّه بمكّة، أنّكم تعرفونه كما تعرفون أبناءكم، فكيف هذه المعرفة ؟ فقال عبد الله بن سلاّم، نعم أعرفه بالصّفة الّتي وصفه الله بها في التوراة فلا أشك فيه، وأمّا ابني فلا أدري ما أحدثت أمّه ". ينظر: "البّحر المحيط"، 97/4.

[5]- "سورة الأنعام"، الآية: 148.

يقول الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمْ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ** ﴾ [1].

تتحدث الآية عن استجابة الكفّار لما جاء به رسولنا؛ إذ يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ أي: يستجيب للإيمان الّذين يسمعون سماع قبولٍ وإصغاءٍ، كما قال سبحانه: ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ** ﴾ [2]، ويستجيب بمعنى يجيب، وفرّقوا بين أجـــاب واستجاب، بأنّ استجاب فيه قبول لما دعي إليه ﴿ **فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنْ الْغَمِّ** ﴾ [3]. وليس كذلك أجاب لأنّه قد يجيب بالمخالفة [4].

والمدعوون للاستجابة في الآية غير مبالين لما يدعون إليه، يقول الزّمخشري: "إنّ الّذين تحرص عل أن يصدّقوك بمنـــزلة الموتى الّذين لا يسمعون، إنّما يستجيب من يسمع لقولـــه : ﴿ **إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى** ﴾ [5]، فمثّل لقدرته على إلجائهم للاستجابة بأنّه هو الّذي يبعث الموتى من القبور يوم القيامة ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ للجزاء [6]، أي يبعث الله الموتى من مستجيبٍ وغير مستجيبٍ ليجازيهم على أعمالهم.ومن أجل وضوح معنى الآية وجلاءه وجب الفصل بسكتةٍ بين قوله: ﴿ **إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ** ﴾ وهو التّمام عند نافع والأخفش، ويستأنف بقوله: ﴿ **وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمْ اللَّهُ**﴾ [7]، والظّاهر أنّها جملة مستقلّة من مبتدأ وخبر [8].

---

[1]- "سورة الأنعام"، الآية: 36.

[2]- "سورة ق"، الآية: 37.

[3]- "سورة الأنبياء"، الآية: 88.

[4]- "البحر المحيط"، 4/ 123.

[5]- "سورة النّمل"، الآية: 80.

[6]- "الكشاف"، 2/ 242.

[7]- "القطع والائتناف"، ص 191.

[8]- "إيضاح الوقف والابتداء"، ص632.

فالفصل لازمٌ لئلا تلتبس دلالة الآية الكريمة من الوصل، الّذي قد يوهم أنّ الموتى يسمعون ويستجيبون، فتغييب السّكت في هذا السّياق الشّريف قد يأذن باشتباه.

السّكتة السّابعة عشر:

يقول تعالى: ﴿ **وَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً** ﴾ [1].

ينهى الله سبحانه بقوله: ﴿ وَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ ﴾ نبيّه صلّى الله عليه وسلّم عن الحزن من قول الكفّار المتضمّن لتكذيبهم والطّعن فيما جاء به، وتشاورهم على هلاكه، فكلمة (قَوْلُهُمْ) حذفت صفته لفهم المعنى؛ إذ التّقدير: (لا يحزنك قولهم الدّال على تكذيبك)، وحذف الصّفة وإبقاء الموصوف قليلٌ بخلاف عكسه [2].

﴿ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً ﴾ يعني القّدرة والغلبة لله، فهو إخبارٌ في ضمنه وعد للنّبي صلّى الله عليه وسلّم بالنّصر وتسلية له [3].

وفي الآية الكريمة يسكت القارئ على كلمة (**قَوْلُهُمْ**)، ويستأنف بكلامٍ جديدٍ: ﴿ **إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً** ﴾، وقد كسرت همزة (إنّ) لهذا الغرض (أي على الاستئناف) [4]، وهذا الاستئناف جاء بمثابة جوابٍ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّ قائلاً قال: لم لا يحزنه قولهم ؟، فأجيب بقوله: ﴿ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً ﴾.

فالسّكت على (قولهم) ينبغي أن يعتمد ويقصد لئلا يُتوّهم أنّ قول: ﴿ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً ﴾ من قول الكفّار، وإن كان من المستحيل أن يتوّهم أحدٌ أنّ هذا من مقولهم، إلاّ

[1]- "سورة يونس"، الآية: 65.

[2]- "البحر المحيط"، 234/6.

[3]- "التّسهيل"، 1/ 384.

[4]- "القطع والائتناف"، ص 252.

من لا يعتبر بفهمه [1]؛ إذ لو كان من قولهم لما كانوا كفّاراً ولما حزن النّبي صلّى الله عليه وسلّم.

السّكتة الثّامنة عشر:

يقول عزّ وجلّ : ﴿ **أُوْلَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمْ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ** ﴾ [2].

يخبرنا الحقّ سبحانه بأنّه كان قادراً على تعذيب الكفّار في الحياة الدّنيا لو أراد ذلك، لكنّه أراد انظارهم وتأخير عقابهم فقال: ﴿ أُوْلَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ ﴾ أي: لم يكونوا بالّذين يعجزون ربّهم بهربهم منه في الأرض إذا أراد عقابهم والانتقام منهم، ولكنّهم في قبضته وملكه لا يمتنعون عنه إذا أرادهم، ولا يفوتونه إذا طلبهم، فهذا دليلٌ على أنّهم لا قدرة لهم على الفرار [3].

يقول الزّمخشري: "يحتمل أن يريد بقوله: ﴿ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ أنّهم جعلوا آلهتهم أولياء من دون الله، وولايتها ليست بشيءٍ، فما كان لهم في الحقيقة من أولياء، ثمّ بيّن ونفى كونهم أولياء بقوله: ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ فكيف يصلحون للولاية ؟ [4]، أي أنّه نفى السّمع والإبصار على الأولياء فيما ينفيهما بعضهم عن الكفّار .

وقوله: ﴿ يُضَاعَفُ لَهُمْ الْعَذَابُ ﴾ كلامٌ معترضٌ وهو إخبارٌ من الله سبحانه أنّه يضاعف لهم العذاب يوم القيامة أي: يشدّد ويكثّر حتّى يكون ضعفي ممّا كان، وهذا استئناف إخبار

[1]- "الدّر المصون"، 6/ 233.

[2] - "سورة هود"، الآية: 20.

[3]- "التّفسير الكبير"، 501/16.

[4]- "الكشّاف"، 45/3.

عن حالهم في الآخرة، لأنّهم جمعوا إلى الكفر بالبّعث: الكذب على الله، وصدّ عباده عن سبيل الله [1].

فجملة: ﴿ يُضَاعَفُ لَهُمْ الْعَذَابُ ﴾ استئنافية سبقها سكتٌ على قوله: (**أَوْلِيَاءَ**) وهو ضروريٌّ لبيان معنى الآية: يقول ابن الجزري: "الوقف على قوله: ﴿ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ والابتداء ﴿ يُضَاعَفُ لَهُمْ الْعَذَابُ ﴾ لئلا يوهم الحاليّة أو الوصفيّة [2]، فيصير قوله: (يُضَاعَفُ لَهُمْ الْعَذَابُ) صفة لـــ (أَوْلِيَاءَ)، فيكون تضعيف العذاب للأولياء، فيثبت وجودهم، والمراد نفي ذلك مطلقاً، بل تضعيف العذاب لمتخذي الأولياء .

يقول أحمد الحلبي: "الجملة من قوله: (يُضَاعَفُ) مستأنفة، وقيل: إنّ الضمير من قوله: (مَا كَانُوا) يعود على آلهتهم، أي فما كان لهم في الحقيقة من أولياء، وإن كانوا يعتقدون أنّهم أولياء، فعلى هذا يكون (يُضَاعَفُ لَهُمْ الْعَذَابُ) معترضاً [3].

السّكتة التّاسعة عشر:

يقول سبحانه: ﴿ **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ، إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [4].

الآيتان الرابعة والخامسة من سورة النّور تتحدثان عن الرّمي وأحكام الكاذب فيه، يقول تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ﴾، والرّمي هو القذف، و"هذا الأخير يكون بالزّنى وبغيره، والدّليل على أنّ المراد بالقذف في الآية الكريمة هو الزّنى شيئان: "أحدهما ذكر المحصنات عقيب الزّواني ﴿ **الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ** ﴾ [5]،

[1]- "البحر المحيط"، 212/5.

[2]- "النّشر"، 188/1.

[3]- "الدّر المصون"، 302/6- 303.

[4]- "سورة النّور"، الآية: 4 – 5.

[5] – "سورة النور"، الآية: 2 – 3.

﴿**الزَّانِي لا يَنكِحُ إلاَّ زَانِيَةً** ﴾ [1]، والثّاني اشتراط أربعة شهداء، لأنّ القذف بغير الزّنى يكون فيه شاهدان [1].

القاذف إذا لم يأت بأربعة شهداءٍ على ما قذف به المحصنات جزاؤه ثلاثة أحكامٍ: الجلد ثمانين جلدةً، بطلان الشّهادة، والحكم بتفسيقه إلى أن يتوب، فإن عجز عن الإتيان بالشّهداء فقد أجمع الفقهاء على وجوب إقامة الحدّ عليه، على خلافٍ بينهم في حالة عفو المقذوف، كما اختلفوا في لزومه للأحكام قبل إقامة الحدّ.

فحكم ردّ شهادة القاذف معلّق عند أبي حنيفة باستيفاء الحدّ، فإن شهد قبل الحدّ قبلت شهادته، فإذا استوفي لم تقبل شهادته أبداً وإن تاب وكان من الأبرار الأتقياء، أمّا الشّافعي رضي اللّه عنه فيعلّق ردّ شهادة القاذف إن تاب ورجع عن القذف.

وسبب الخلاف أنّ في الآية استثناءً (إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا) تقدم قبله ثلاثة أحكامٍ، و هي الحدّ وردّ الشّهادة والتّفسيق، فاتفق على أنّ الاستثناء لا يرجع إلى الحدّ، وأنّه لا يسقط عنه بالتّوبة، وأنّه راجعٌ إلى التّفسيق، وأنّ ذلك يزول عنه بالتّوبة، فيما اختلف هل يرجع إلى ردّ الشّهادة أم لا [2] ؟

واستدل الحنفيّة لرأيهم بسكتٍ في الآية كان له أكبر الأثر في التّمسك بمذهبهم؛ إذ يقولون: "لا تقبل شهادة القاذف وإن تاب، وتقبل شهادة المحدّود من غير القذف إن تاب [3].

ذلك أنّ السّكت على قوله: ﴿ **وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً** ﴾ جعل جزاء الشّرط الّذي هو: الرّمي: الجّلد وردّ الشّهادة عقيب الجلد على التّأبيد فكانوا مردودي الشّهادة عنده في أبدهم وهو مدّة حياتهم، وجعل قوله: ﴿ **وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ** ﴾ مستأنفاً غير داخلٍ في حيّز الشّرط، كأنّه حكاية حال الرّامين عند الله بعد انقضاء الجملة الشّرطيّة (إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا)

[1]- "الكشّاف"، 4/ 268.

[2]- "التّسهيل"، 2/ 83.

[3]- "البحر المحيط"، 6/ 432 - 433.

استثناء من الفاسقين [1]. أي يعود الاستثناء على الجملة الأخيرة وهي نفيّ الفسق، لا على الجمل الثّلاث. ذلك أنّ الاستثناء إذا تعقّب جملاً يصلح أن يتخصّص كلّ واحدٍ منها بالاستثناء أن يجعل تخصيصاً في الجملة الأخيرة [2].

أمّا الشّافعيّة، فقالوا بأنّ المحدود تقبل شهادته بعد التّوبة، ذلك أنّ التّمام عندهم (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)، وجعلوا الواو للعطف ومعناه الجمع بين المعاني أي: لا تقبلوا لهم شهادتهم وفسوقهم، فلمّا جاء الاستثناء بعدهما كان مسلّطاً عليهما [3]، أي على قبول الشهادة ونفيّ الفسق.

فللسّكت تأثيرٌ على الحكم الفقهيّ في الآية، فوجوده يرجّح قول الحنفيّة في عدم قبول شهادة القاذف حتّ مع توبته، فتكون الواو استئنافية، وما بعدها كلامٌ مستأنفٌ مكتفٍ بذاته، فلا يعود الاستثناء إلاّ على الجملة الأخيرة أي على الفسق، فيما تغيّبه من الآية يجعل الواو أداة عطفٍ فيعود الاستثناء على الجمل الثّلاث، فتقبل شهادة القاذف بعد توبته.

والرأيّ الرّاجح أنّ الاستثناء يعود على الجمل الّتي تسبقه ترجيحاً للقاعدة النّحويّة، إلاّ ما قام الدّليل على عدم شموله، فقبول شهادة القاذف بعد توبته هو رأي الجمهور وهو الأرجح عندهم.

السّكتة العشرون:

قوله تعالى: ﴿ **فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [3].

[1]- "الكشّاف"، 4/ 269.

[2]- "البحر المحيط"، 6/ 432.

[3]- "سورة العنكبوت"، الآية: 26.

تعدّ الآية الكريمة من الآيات الّتي يختلف معناها باختلاف موضع السّكت فيها، والّذي يفصل قوله: ﴿ **فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ** ﴾ عن قوله: ﴿ **وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾، لأنّه لو وصل الكلام لصار قوله: ﴿ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي ﴾ من قول لوط عليه السّلام، وليس الأمر كذلك، لأنّ أهل التأويل يقولون: "إنّ الّذي هاجر إبراهيم، قال ابن جريح: صدقه لوط وقال إبراهيم: إنّي مهاجرٌ إلى ربّي [1].

ومعنى الآية يبيّن أثر السّكتة المفصليّة في ذلك ويوضّحه، فالله سبحانه وتعالى يخبرنا أنّ لوط عليه السّلام آمن وصدّق سيدنا إبراهيم عليه السّلام، فالفاء في قوله (فَآمَنَ) أفادت مبادرة لوط بالتّصدّيق، والاقتصار على ذكره يدلّ على أنّه لم يؤمن بإبراهيم أحدٌ من قومه إلاّ لوط عليه السّلام حين رأى النّار لم تحرقه، وكان ابن أخي سارة، أو كانت بنت عمّه، والضمير في (قَالَ) عائد على إبراهيم، وهو الظّاهر ليتناسق مع قوله: ﴿ **وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ** ﴾ [2]، وكذا قوله: ﴿ **وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنْ الصَّالِحِينَ** ﴾ [3]، فكلّ هذه الضّمائر تعود على إبراهيم – فيما يرى بعض المفسّرين أنّه – يعود على لوط [3].

وقوله: ﴿ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي ﴾ "جملة استئنافية يفيد معناها مهاجراً [4] من خالفني من قومي متقرّباً إلى ربّي، وقيل: إلى حيث أمرني بالهجرة إليه، وقيل– كذلك – إلى حيث لا أمنع عبادة ربّي [5]. وختم بقوله: ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾، فـــ (العَزِيزُ): هو الغالب على

---

[1] – "القطع والائتناف"، ص 394.

[2] – "سورة العنكبوت"، الآية: 27.

[3] – "البحر المحيط"، 7/ 144.

[4] – المهاجر في عرف الشريعة من ترك وطنه رغبة في رضا الله، وعرف بهذا الاسم أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (المهاجرون) قبل فتح مكة، وقيل: إنّ إبراهيم هاجر من (كوثى) وهي سواد الكوفة إلى (حران) ثمّ منها إلى فلسطين، ومن ثمّ قالوا لكلّ نبيٍّ هجرة ولإبراهيم هجرتان، وكان معه في هجرته لوط وامرأته سارة، وهاجر وهو ابن خمسٍ وسبعين سنة، ونزل إبراهيم في أرض فلسطين، وترك لوط في سدوم – وهي المؤتفكة على مسيرة يومٍ وليلةٍ من قرية إبراهيم عليهما السلام – وسيدنا إبراهيم أوّل من هاجر في الله تعالى. ينظر: "البّحر المحيط"، 7/ 144 – 145، و "الكشّاف"، 4/ 546، و "التّسهيل"، 2/ 157، و "روح المعاني"، 24/ 152.

[5] – "الكشاف"، 4/ 546 و "البحر المحيط"، 7/ 144 – 145.

أمره " الّذي لا يُذلّ من عبده؛ إذ يمنعني من أعدائي، و(الحَكِيمُ)، الّذي يضع الأشياء مواضعها، فلا يأمرني إلاّ بما هو مصلحتي[1].

السّكتة الحادية والعشرون:

قوله تعالى: ﴿ **فَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ** ﴾ [2].

﴿ لا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ ﴾: وردت هذه العبارة في الآية الخامسة والستين من سورة يونس، "وهي نهيٌّ للنّبيّ عن الحزن، وهذه المرّة لقولهم أنّه ساحرٌ وشاعرٌ [3]، وذلك قصد التّهوين عليه وتسليته.

﴿ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ أي: نعلم بما يخفونه في صدورهم وما يظهرونه من أقوالهم وأفعالهم فنجازيهم على ذلك [4].

وقد تموضع السّكت بعد كلمة (**قَوْلُهُمْ**)؛ إذ تمّ الكلام عندها، واستؤنف بكلامٍ جديدٍ، ﴿ **إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ** ﴾ [5]، وجاء تعليلاً صريحاً للنّهي، ففصلت عمّا سبقها لئلا تصير جملة التّعليل من مقول الكفار.

---

[1] - "الكشاف"، 4/ 546 و "البحر المحيط"، 7/ 144 - 145

[2] – "سورة يس"، الآية: 76.

[3] – "الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم"، ص 106.

[4] – "روح المعاني"، 23/ 52.

[5] – "القطع والائتناف"، ص 434.

السّكتة الثّانية والعشرون :

يقول تعالى: ﴿ **فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ** ﴾ [1].

في قوله عزّ وجلّ سكت يزيد من بيان معناه؛ إذ يسكت القّارئ على قوله: ﴿ **فَتَوَلَّ عَنْهُمْ** ﴾، ويُستأنف الكلام بقوله: ﴿ **يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ** ﴾، ذلك أنّه لو وُصل قوله: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ بـــ ﴿ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ ﴾ لصار (يَوْمَ) ظرفاً لفعل الأمر (تَوَلَّ) فيفسد المعنى، بل هو ظرف لـــ (يَخْرُجُونَ) من قوله سبحانه: ﴿ **يَخْرُجُونَ مِنْ الأَجْدَاثِ** ﴾ [1] "[2].

يقول أحمد الحلبيّ: "يوم منصوب إمّا بـــ (اُذْكُرْ) مضمرة، وهو أقربها، وإمّا بـــ (يَخْرُجُونَ) بعده وإليهما ذهب الزّمخشري أيضاً، وأمّا بقوله: (فَتَوَلَّ) فهو ضعيفٌ جدّاً، لأنّ المعنى ليس أمره بالتّولية عنهم يوم النّفخ في الصّور [3].

ومعنى الآية يبيّن أهميّة السّكت لما له من تأثيرٍ على المعنى؛ إذ يأمر الله سبحانه نبيّه محمّدا صلّى الله عليه وسلّم بقوله: (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ)، "أي: أعرض عن الكفار لعلمك أنّ الإنذار لا يغني فيهم [4]، وهنا تمّ الكلام، ثمّ استؤنف بقوله: (يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِي)، لأنّ المعنى ليس الأمر بالتّولية عنهم في يوم النّفخ في الصّور، أو بحذف الخافض، أي: فتولّ عنهم إلى يوم، قاله الحسن وضعّف من حيث اللّفظ والمعنى [5]" [6].

﴿ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ ﴾ حذفت الواو من (يَدْعُ) في الرّسم إتباعاً للنّطق، كما تقدم في (يُغْنِي) [7]، والياء من (الدَّاعِ) تخفيفاً، أجريت مجرى ما عقبها وهو التّنوين، فكما حذفت معه

---

[1]- "سورة القمر"، الآية: 6 -7.

[2] - "الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم"، ص 107.

[3]- "الدّرّ المصون"، 125/10.

[4]- "الكشّاف"، 655/5 ، و "البّحر المحيط"، 8 /172.

[5] - أمّا من جهة اللّفظ فحذف (إلى)، وأمّا من جهة المعنى فإنّ توليه عنهم ليس معنيّ بـــ (يوم يدع الدّاع)، ينظر: "البحر المحيط"، 172/8.

[6]- "الدّرّ المصون"، 125/10.

[7] - "سورة القمر"، الآية: 5.

حذفت معها، والدّاعي هو إسرافيل أو جبرائيل أو ملك غيرهما موكّل بذلك [1]، فأسقطت الياء اكتفاءً بالكسرة منها كقوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ** ﴾ [2].

﴿ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ ﴾ أي: "إلى أمرٍ فظيعٍ وقرأ الجمهور (نُكُرٍ) بضم الكاف، وهو صفة على (فُعُل) وهو قليل في الصفات، وقرأ الحسن وابن كثير بإسكان الكاف، كما قالوا: شُغْل، وشُغُل، عُسْر، وعُسُر، وقرأ مجاهد: (نُكُرٍ) فعلاً ماضياً مبنيّاً للمجهول، أي جهل فنكر، وقال الخليل: النّكر: نعت للأمر الشّديد، تنكره النّفوس، لأنّها لم تعهد مثله، وهو يوم القيامة [3]، فينال المشركين فيه عذاب شديد.

السّكتة الثّالثة والعشرون :

يقول تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمْ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ** ﴾ [4].

الآية الكريمة من الآيات الّتي يختلف معناها باختلاف موضع السّكت فيها؛ إذ جاءت إخباراً من الله سبحانه أنّ المؤمنين بالله ورسله بمنزلة الصّدّيقين، أو بمنزلة الصّدّيقين والشهداء، وذلك راجعٌ لاختلاف القراءة، فهم الّذين سبقوا إلى التّصدّيق والاستشهاد في سبيل الله، يقول: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمْ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾.

﴿ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ مثل أجر الصّدّيقين والشهداء مثل نورهم، يقول الزّمخشري: "فإن قلت: كيف يسوّى بينّهم في الأجر ولا بد من التّفاوت؟ قلت: المعنى: أنّ الله يعطي المؤمنين أجرهم ويضاعفه لهم بفضله، حتّى يساوي أجرهم مع إضعافه أجـــر أولئك [5]، وذلك لمنـــزلتهم الكبيرة عنده .

---

[1]- " البّحر المحيط"، 173/8، و "الدّرّ المصون"، 125/10، و "الكشّاف"، 655/5.

[2]- "سورة ق"، الآية: 41.

[3]- "البّحر المحيط"، 8 /173.

[4]- "سورة الحديد"، الآية: 19.

[5]- "الكشّاف"، 49/6.

والآية الكريمة اختلف القرّاء في موضع السّكت فيها، قال جماعة من أهل التأويل: "إنّ التّمام عند ﴿ أُوْلَئِكَ هُمْ الصِّدِّيقُونَ ﴾ منهم ابن عباس، وقال مسروق: هي خاصّة لـــ (**الصِّدِّيقُونَ**) وقال الضحّاك: (**وَالشُّهَدَاءُ**) منفصلٌ ممّا قبله. فيما يرى ابن مجاهد أنّ الكلام متّصلٌ، قـــال: "هو متّصلٌ وكلّ مؤمن صدّيق شهيد، والتّمام عند: ﴿ **لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُـــمْ** ﴾ [1].

فالسّكت بعد لفظ (الصِّدِّيقُونَ) أي: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمْ الصِّدِّيقُونَ + وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيم ﴾، يجعل معنى الآية يحمل وصف المؤمنين بالله ورسله هم الصّدّيقون، ثمّ إخبار عن الشّهداء بأنّ لهم أجرهم ونورهم عند ربّهم، ويثلّث بذكر الّذين كفروا بأنّهم أصحاب الجحيم. فالآية تعرض ثلاثة أصنافٍ: المؤمنين، الشّهداء، والكفّار، ولكلّ صنفٍ وصفه [2].

أمّا السّكت على لفظة (رَبِّهِمْ) أي: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمْ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ + لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيم ﴾، يجعل الآية تحمل وصف المؤمنين بالله ورسله بأنّهم صدّيقون وشهداء عند ربّهم، وبأنّ لهم أجرهم ونورهم، ووصف الكافرين بأنّهم أصحاب الجحيم، فتعرض بذلك الآية صنفين: المؤمنين والكفّار [3].

يقول أبو حيّان: "(وَالشُّهَدَاءُ)، الظّاهر أنّه مبتدأ خبره ما بعده، فيقف على (الصِّدِّيقُونَ) وإن شئت فهو من عطف الجمل، وهذا قول ابن عباس، ومسروق والضحّاك أنّ الكلام تامٌّ في قوله (الصِّدِّيقُونَ)، واختلف هؤلاء فبعض قال: الشّهداء هم الأنبياء يشهدون

[1] – "القطع والائتناف"، ص 517.

[2] – "أبحاث في أصوات العربيّة"، ص 68.

للمؤمنين بالصّدّيقية، لقوله: ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ** ﴾ [1]. وبعض قال: هم الشّهداء في سبيل الله تعالى، استأنف الخبر عنهم، فكأنّه جعلهم صنفاً مذكوراً وحده لعظم أجرهم، وقال ابن مسعود، ومجاهد، وجماعة: (وَالشُّهَدَاءُ) معطوفٌ على (الصِّدِّيقُونَ) والكلام متّصلٌ، يعنون من عطف المفردات، فبعض قال جعل الله كلّ مؤمنٍ صدّيقاً وشهيداً قال مجاهد، وفي الحديث: (مُؤْمِنُوا أُمَّتِي شُهُدَاء)... وبعض قال: وصفهم بالصّدّيقية والشّهادة من قوله تعالى : ﴿ **لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ** ﴾ [2] ..."[3]

فالسّكت إذن يعتبر مؤثراً هامّاً في المعنى الإجمالي للآية؛ إذ إنّ اختلاف موضعه يؤدّي إلى اختلاف دلالة الآية الكريمة.

[1]- "سورة النساء"، الآية: 41.

[2]- "سورة البقرة"، الآية: 143.

[3]- "البّحر المحيط"، 8/222- 223.

خـــاتمة

بعد الجهد المتواضع الّذي بذلته في بحث "المفصل الصّوتيّ وأثره في الدّلالة، دراسة نظريّة وتطبيقيّة على نماذج من القرآن الكريم"، توصلت إلى جملةٍ من النتائج أهمّها:

- مصطلح المفصل الصّوتيّ ليس متداولاً بقدر غيره من مصطلحات الظواهر الأدائيّة الأخرى، كالنّبـــر، والتّنـــغيم، والمقـــطع، والأمر ذاته يقال عن دراسته والبحث فيه؛ إذ لم يحظ بعد بدراسةٍ وافيةٍ لكلّ جوانبه، خاصّة في اللّغة العربية؛ إذ تظلّ الدّراسات الغربيّة أكثر اهتماماً بـــه.

- دراسته ليست جديدة على الدّرس العربيّ؛ إذ أنّه عولج في الدّراسات القرآنية القديمة ضمن بحوث السّكت والوقف، أمّا في كلام العرب فكانت البلاغة أهمّ العلوم اللّغويّة الّتي حوت إشاراتٍ إليه في باب الفصل والوصل وكذا أبواب الجناس المركّب.

- اختلاف رموزه وتعددها، وإن كانت علامة الزائد أكثر تمثيلاً له في أغلب اللّغات، أمّا أقسامه فاختلفت باختلاف المعايير المعتمدة في كلّ تقسيم.

- المفصل الّذي يختصّ بالحدود بين المقاطع و الفونيمات يكون لبيان حدودها لا أكثر، لكن ما اختص منه ببيان حدود الكلمات والجمل فله أثرٌ هامٌّ في الدّلالة في العديد من اللّغات، منها اللّغة العربيّة، خاصّة إذا تعلّق الأمر بالوقوف القرآنية؛ إذ أنّ الغاية منها ليست استراحة القارئ ليستعيد نفسه قصد الاستمرار في القراءة فحسب، بل لإظهار دلالة الآيات وتدبّر معانيها، وإن كان قليل من علماء القراءة اهتمّ ببيان الحكمة من هذه الوقوف.

- استدلال بعض المذاهب الفقهيّة كالحنفيّة مثلاً بالوقف والسّكت (أي المفصل) في ترجيح آراءهم الفقهيّة.

- للمفصل دورٌ هامٌّ في اختلاف وتوسعة بعض الأحكام الفقهيّة كما كان واضحاً في فرضيّة العمرة.

- المفاصل الصادرة في القراءات الشاذّة لا تقوى في التّرجيح على القراءة الصّحيحة.

وفي الختام أشكر الله تعالى على توفيقي على إتمام هذا البحث، والّذي أتمنّى أن أكون قد وفقت فيه ولو بالقليل والحمد لله الّذي هدانا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا اللّه.

قائمة المصادر

والمراجع

المراجع العربيّة:

* القرآن الكريم ، برواية حفص.

1- إبراهيم أنيس: -"الأصوات اللّغوية"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط1، 1981م.

2- -"من أسرار اللّغة"، مكتبة الأنجلو المصرية، ط7، 1985م.

3- ابن الأنباري: -"الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين"، تحقيق: جودة مبروك محمّد، مراجعة: رمضان عبد التّواب، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، مصر، ط1، (د،ت).

4- -"إيضاح الوقف والابتداء في كتاب اللّه عزّ وجلّ"، تحقيق: محي الدّين عبد الرّحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة، دمشق، سوريا، (د،ط)، 1971م.

5- ابن الجزري: -"التمهيد في علم التّجويد"، تحقيق: فارس بن فتحي بن إبراهيم، دار ابن الهيثم، القاهرة، مصر، ط1، 2006م.

6- -"غاية النهاية"، مكتبة المتنبي، القاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت).

7- -"النّشر في القراءات العشر"، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، ط1، 2002م.

8- ابن جني: -"الخصائص"، تحقيق: محمّد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1987م.

9- ابن خلكان: -"وفيات الأعيان وأبناء الزمان"، دار الثقافة، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت).

10- ابن خلويه: -"الحجة في القراءات"، تحقيق: بدر الدّين قهوجي، دار المأمون للتراث، ط1، 1984م.

11- ابن رشد: -"تلخيص الخطابة"، تحقيق: عبد الرّحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت).
12- ابن عاشور: -"تفسير التّحرير والتّنوير"، الدّار التّونسية للكتاب، تونس، (د،ط)، 1984م.
13- ابن العربي: -"أحكام القرآن"، تحقيق: محمّد عبد القادر عطا، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت) .
14- ابن عقيل: -"شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك"، تحقيق: محمّد محي الدّين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت).
15- ابن القيّم الجوزية: -"بدائع الفوائد"، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت).
16- -"الجواب الكافي لمن سأل عن الدّواء الشافي، أو الدّاء والدّواء"، مكتبة دار البيان، دمشق، سوريا، ط3، 2001م
17- -"زاد المعاد في هدي خير العباد"، تحقيق: حمدي بن محمّد نور الدّين آل نوفل، مكتبة المورد، القاهرة، مصر، ط10، 2006م.
18- ابن كثير: -"تفسير القرآن العظيم"، تحقيق: مصطفى السيّد ومحمّد العجماوي ومحمّد رشاد وعلي عبد الباقي وحسن قطب، مؤسسة قرطبة، الجيزة، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، الجيزة، (د،ط)، (د،ت).
19- ابن منظور: -"لسان العرب"، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.
20- ابن النّديم: -"الفهرست"، دار المعرفة، بيروت، لبنان،(د،ط)، (د،ت).
21- ابن يعيش: -"شرح المفصّل"، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، (د،ط)، (د،ت).
22- أبو حيان الأندلسي: -"تفسير البحر المحيط"، تحقيق، عادل أحمد عبد الجود وعلي محمّد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993م.
23- أحمد حساني: -"مباحث في اللّسانيات، مبحث صوتي، مبحث دلالي، مبحث تركيبي"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د،ط)، 2003م.

24- أحمد محمّد قدور: -"مبادئ اللّسانيات"، دار الفكر المعاصر، لبنان، دار الفكر، سوريا، ط2، 1999م.

25- أحمد مختار عمر: -"دراسة الصّوت اللّغوي"، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط3، 1985م.

26- -"علم الدّلالة"، مكتبة العروبة للنّشر والتّوزيع، الكويت، (د،ط)، 1982م.

27- الأخفش: -"معاني القرآن"، تحقيق: عبد الأمير أمين الورد، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.

28- الأزهري: -"تهذيب اللّغة"، تحقيق: أحمد عبد الرّحمن مخيمر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.

29- الألوسي: -"روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط4، 1985م.

30- امرؤ القيس: -"ديوانه"، دار صادر، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت).

31- البخاري: -"صحيح البخاري"، المؤسسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة، الجزائر، (د،ط)، 1990م.

32- برتيل مالمبرج: -"علم الأصوات"، ترجمة: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، المنيرة، مصر، (د،ط)، 1984م.

33- تمام حسان: -"اللّغة العربية معناها ومبناها"، دار الثقافة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، (د،ط)، (د،ت).

34- -"مناهج البحث في اللّغة"، دار الثقافة، المغرب، (د،ط)، 1979م.

35- الجاحظ: -"البيان والتّبيين"، تحقيق: درويش جويدي، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، (د،ط)، 2003م.

36- الجرجاني: -"أسرار البلاغة في علوم البيان"، تحقيق: محمّد الأسكندراني ومحمّد مسعود، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د،ط)، 2005 م .

37- -"كتاب دلائل الإعجاز"، تحقيق: محمود محمّد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، دار المدني، جدة، السعودية، ط3، 1992م.

38- جرير: -"ديوانه"، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د،ط)، 1978م.

39- جميل بن معمر: -"ديوانه"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت).

40- جون كانتينو: -"دروس في علم أصوات العربية"، ترجمة: صالح القرمادي، تونس، (د،ط)، 1966م.

41- الجوهري: -"معجم الصّحاح"، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2008م.

42- حسام البهنساوي: -"الدّراسات الصّوتية عند العلماء العرب والدّرس الصّوتي الحديث"، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1، 2005م.

43- -"علم الأصوات"، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، (د،ط)، 2004م.

44- حسام سعيد النعيمي: -"أبحاث في أصوات العربية"، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط1، 1998م.

45- الحلبي: -"الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت).

46- الحموي: -"معجم الأدباء"، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط3، (د،ت).

47- خالد قاسم بن دومي: -"دلالات الظاهرة الصّوتية في القرآن الكريم"، جدارا للكتاب العالمي، عمان، الأردن، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، (د،ط)، 2006م.

48- الخطيب القزويني: -"الإيضاح في علوم البلاغة"، تحقيق: محمّد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت).

49- الخليل بن أحمد الفراهيدي: -"معجم العين"، تحقيق: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، دار الرّشيد، بغداد، العراق، (د،ط)، (د،ت).

50- الدّاني: -"التّحديد في الإتقان والتّسديد في صنعة التّجويد"، مطبعة الخانجي، مصر، (د،ط)، 1983م.

51- -"المكتفي في الوقف والابتداء"، تحقيق: عبد الرّحمن المرعشلي، مؤسسة الرّسالة، بيروت، لبنان، (د،ط)، 1983م.

52- الرّازي: -"التفسير الكبير" تحقيق: عماد زكي البارودي، المكتبة التوقيفية، القاهرة، مصر، (د،ط)، 2003م

53- -"نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز"، تحقيق: نصر الله حاجي مفتي أوغلي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.

54- الرّاغب الأصفهاني: -"المفردات في غريب القرآن"، تحقيق: محمّد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2001م.

55- رمضان عبد التواب: -"مدخل إلى علم اللّغة ومناهج البّحث اللّغوي"، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د،ط)، 1952.

56- -"بحوث ومقالات في اللّغة"، مطبعة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2، 1988م.

57- -"التطوّر اللّغوي، مظاهره وعلله وقوانينه"، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2، 1990م.

58- الزركشي: -"البرهان في علوم القرآن"، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.

59- الزركلي: -"الأعلام"، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت).

60- الزمخشري: -"الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"، تحقيق: عادل أحمد وعلي محمّد عوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998م.

61- زهير بن أبي سلمى: -"ديوانه"، تحقيق: حمدو طماس، دار المعرفة، لبنان، ط2، 2005م.

62- السكاكي: -"كتاب مفتاح العلوم"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت).

63- سلمان حسن العاني: -"التشكيل الصّوتي في اللّغة العربية، فونولوجيا العربية"، ترجمة: ياسر الملاح، النادي الأدبي الثقافي، جدّة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1983م.

64- سيبويه: -"الكتاب"، تحقيق: عبد السّلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، (د،ت).

65- السيوطي: -"الإتقان في علوم القرآن"، دار الفكر للطباعة والنّشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.

66- -"الاقتراح في أصول النّحو"، دار السعادة، القاهرة، مصر، (د،ط)، 1976م.

67- -"همع الهوامع وشرح جمع الجوامع"، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر، ط1، 2006م.

68- صائل رشدي شديد: -"عناصر تحقيق الدّلالة في العربية"، الأهلية للنّشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 2004م.

69- عائشة عبد الرّحمن: -"التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم"، دار المعارف، مصر، ط5، 1997م

70- عبد الجليل مصطفاوي: -"ظاهرة الفصل والوصل بين النّحو والبلاغة"، مخطوط رسالة قدمت لنيل شهادة الماجستير، جامعة حلب، سوريا، 1987م.

71- عبد الحميد السيّد: -"دراسات في اللّسانيات العربية، المشاكلة، التنغيم، رؤى تحليلية"، دار الحامد للنّشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 2004م.

72- عبد الرّحمن مبروك: -"من الصّوت إلى النّص نحو نسق منهجيّ لدراسة النّص الشعري"، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2002م.

73- عبد السّلام المسدي: -"التفكير اللّساني في الحضارة العربية"، الدار العربية للكتاب، تونس، ط2، 1986م.

74- عبد الصّبور شاهين: -"المنهج الصّوتي للبنية العربيّة، رؤية جديدة في علم الصرف الصّوتيّ"، مؤسسة الرّسالة للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، (د،ط)، 1980م.

75- -"القراءات القرآنيّة في ضوء علم اللّغة الحديث"، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (د،ط)، (د،ت).

76- عبد العزيز عتيق: -"علم البديع"، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، (د.ط) 2004م.

77- عبد العليم إبراهيم: -"الإملاء والترقيم في الكتابة العربية"، مكتبة غريب، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت).

78- عبد الفتاح بسيوني: -"علم البديع، دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع"، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر، ط22، 2004م.

79- عبد القادر عبد الجليل: -"الأصوات اللّغوية"، دار صفاء، عمّان، الأردن، ط1، 1998م.

80- -"الدّلالة الصّوتية والصّرفية في لهجة الإقليم الشمالي"، دار صفاء للنّشر والتّوزيع، ط1، 1997م.
81- -"علم الصرف الصّوتي"، دار أزمنة، الأردن، 1998م.
82- -"علم اللّسانيات الحديثة"، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 2002م.
83- -"هندسة المقاطع الصوتية وموسيقى الشعر العربي"، دار صفاء للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 1998م.
84- عبد الكريم إبراهيم عوض صالح: -"الوقف والإبتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم"، دار السلام للطباعة، مصر، ط1، 2006م.
85- عبد الكريم حسام الدّين: -"الدّلالة الصوتية"، عالم الكتب، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت).
86- عبد اللّطيف شريفي، زبير دراقي: -"الإحاطة في علوم البلاغة"، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د.ط)، 2004م.
87- عزّت شحاتة كرار: -"الوقف القرآني وأثره في الترجيح عند الحنفية "، مؤسسة المختار للنّشر والتوزيع، القاهرة، مصر،ط2، 2006م.
88- العسكري: -"كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر"، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1989م.
89- العكبري: -"التبيان في إعراب القرآن"، تحقيق: محمّد حسين شمس الدّين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م.
90- علي يونس: -"بحوث في الشعر واللّغة"، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، (د،ت)، (د،ط).
91- عمر بن أبي ربيعة: -"ديوانه"، دار القلم، بيوت، لبنان، (د،ط)، (د،ت).
92- غانم الحمد القدوري: -"المدخل إلى علم أصوات العربيّة "، دار عمار، ط1، 2004م.

93- فرديناند دي سوسيور: -"محاضرات في الألسنية العامّة"، ترجمة: يوسف غازي و مجيد النّصر، دار النعمان للثقافة، صيدا، لبنان، (د،ط)، 1984م.

94- الفرزدق: -"ديوانه"، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

95- القرطبي: -"الجامع لأحكام القرآن"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط5، 1996م.

96- الكلبي: -"التسهيل لعلوم التنزيل"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1995م.

97- كمال بشر: -"علم الأصوات"، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2000م.

98- -"فن الكلام"، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (د.ط)،2003م

99- الكوفي: -"الوقف في كتاب اللّه عزّ وجلّ"، تحقيق: أبو بشير و محمّد خليل الزروق، مراجعة: عز الدّين بن زغيبة، مركز جمعة ماجد للثقافة والتراث، دبي، الإمارات العربيّة المتحدة، (د،ط)، 2002م.

100- ماريو باي: -"أسس علم اللّغة"، ترجمة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1983،2م.

101- مبارك حنون: -"في الصواتة الزمنية، الوقف في اللّسانيات الكلاسيكية"، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2003م.

102- مبارك مبارك: -"معجم المصطلحات الألسنية، فرنسي، إنجليزي، عربي"، دارالفكر اللّبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1995م

103- المبرد: -"المقتضب"، تحقيق: محمّد عبد الخالق عظيمة، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1963م.

104- محمّد حماسة عبد اللّطيف: -"النّحو والدّلالة: مدخل لدراسة المعنى النّحويّ والدّلاليّ"، دار غريب للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 2006م.

105- محمّد رشاد الحمزاوي: -"المصطلحات اللّغوية الحديثة في اللّغة العربية"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الدار التونسية للنشر، تونس، (د.ط)، 1987م.

106- محمّد علي الخولي: -"معجم علم اللّغة النظري"، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1982م.

107- محمّد عيد شبايك: -"الفاصلة القرآنية"، دار حراء، القاهرة، مصر،ط1، 1993م.

108- محمّد محمّد داوود: -"العربية وعلم اللّغة الحديث"، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (د،ط)، 2001م.

109- محمّد محي الدّين عبد الحميد: -"منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل"، دار الفكر، بيروت ، لبنان، ط1، (د،ت).

110- محمود السعران: -"علم اللّغة، مقدّمة للقارئ العربي"، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط2، 1999م.

111- مختار عطيّة: -"الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز: دراسة بلاغيّة"، دار المعرفة الجامعيّة، مصر، (د.ط)، (د.ت).

112- منير سلطان: -"الفصل والوصل في القرآن الكريم، دراسة في الأسلوب"، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، ط 2، 1997 م.

113- المهدي بوروبة: -"ظواهر التاشكيل الصّوتي عند النحاة واللّغويين حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مخطوط رسالة قدمت لنيل شهادة دكتوراه في اللّغة، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2002م.

114- مهدي أسعد عرار: -"ظاهرة اللّبس في اللّغة العربية: جدل التواصل والتفا صل"، دار وائل للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 2003م.

115- النحّاس: -"القطع والائتناف أو الوقف والابتداء"، تحقيق: أحمد فريد المزيري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002م.

116- النّووي: -"رياض الصّالحين من حديث سيّد المرسلين"، تحقيق: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد، دار ابن الجوزي، المملكة العربيّة السعودية، ط4، 1425هـ.

117- هوارية الحاج علي: -"الإيحاء الصوتي وأثره في الدّلالة، دراسة نظرية وتطبيقية في سينية البحتري"، مخطوط رسالة قدمت لنيل شهادة الماجستير، إشراف: المهدي بوروبة، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2006م - 2007م.

118- والي دادة عبد الكريم: -"التّنغيم في الّغة العربيّة: دراسة وصفيّة وظيفيّة"، مخطوط رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في اللّغويات"، جامعة: أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2006-2007م.

المراجع الأجنبيّة:

119- François Dell: -«les règles et les sons:Introduction à la phonologie générative» .Edition: Herman, Paris, 2éme édition,1996.

120- Frédérique Brin, Cathrine Courier, Emanuelle Lederlé, Véeronique Masy: -« Dictionnaire d'orthophonie », Ortho édition, 2 éme édition, France.

121- George Mounin: - « Dictionnaire de linguistique», quardige, France, 4 éme édition, 2004.

122- -« Clef pour la linguistique », seghers, Paris, 1987.

123- Hartmann:- « Dictionary of language and linguistics », r, r, k, and storke, f, c, london, 1972.

124- Jean Dubois- Mathée Giacomo Louis Guapin, Christiane Marcellesi, Jean–Baptiste Marcellesi, Jean-Pierre Mével: - «Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage», Larousse, Paris, France, 1ère édition, 1994.

125- Martinet André: - « Elément de linguistique générale », Armand Colin, Paris, 1998.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة ..... (أ)
الـــمدخل: مفاهيم المفصل الصّوتيّ في التراث اللّغويّ القديم وأهميّته ..... (01)
مفاهيم المفصل الصّوتيّ في التراث اللّغويّ القديم ..... (02)
أهمية المفصل الصوتي ..... (09)
الفصل الأول: المفصل الصّوتيّ في تناول الدّارسين القدامى والمحدثين..... (15)
المفصل الصّوتيّ في تناول الدّارسين القدامى..... (16)
المفصل الصّوتيّ في تناول النّحاة ..... (16)
المفصل الصّوتيّ في تناول البلاغيين..... (28)
علـــم الفصل ..... (29)
القطـــع ..... (30)
القطـــع وجوباً..... (30)
القطـــع إحتياطاً..... (31)
الاستئنـــاف ..... (32)
المفصل وعلامات التّرقيم ..... (35)
الجنـــاس ..... (37)
تعريف الجناس..... (39)
جناس التّركيب..... (40)
الجناس الملفـــق..... (43)
المفصل الصّوتيّ في تناول القرّاء..... (44)
السّكت القرآنيّ ..... (44)
تعريف السّكت القرآني..... (45)
مقداره الزّمنيّ ..... (45)

ما يسكت عليه..... (47)
الوقف القرآنيّ..... (51)
تعريف الوقف القرآني..... (51)
أنواع الوقف القرآني..... (51)
تعريف الابتداء..... (54)
أنواع الابتداء..... (55)
المفصل الصّوتيّ في تناول الفلاسفة..... (56)
المفصل الصّوتيّ في تناول المحدثين وأثره في الدّلالة..... (61)
المفصل الصّوتيّ في الدّرس اللّسانيّ الغربيّ..... (61)
تعريف المفصل الصوتي..... (61)
رموزه وعلاماته..... (62)
تحديد الـــمفصل..... (62)
أثر المفصل الصّوتيّ في الدّلالة..... (63)
أقسام المفصل الصّوتيّ..... (66)
التّقسيم الأوّل..... (66)
التّقسيم الثاني..... (68)
التّقسيم الثالث..... (68)
محو المفاصل..... (70)
المفصل الصّوتيّ في الدّرس اللّسانيّ العربيّ..... (70)
تعريف المفصل الصّوتيّ..... (71)
تحديد المفصل الصّوتيّ وأثره في الدّلالة..... (72)
أقســـام المفصل الصّوتيّ..... (77)
التّقسيم الأوّل..... (76)
التّقسيم الثاني..... (77)

التّقسيم الثالث ..... (78)
التّقسيم الرّابع ..... (79)
أنواع المفاصل الصوتية ..... (81)
الوقفة ..... (81)
مواضع الوقفة ..... (82)
السّكتة ..... (84)
مواضع السكتة ..... (84)
الاستراحة..... (87)
الفصل الثاني: الـــمفصل الصّوتيّ وعلاقته بالظواهر الأدائيّة ..... (89)
المفصل الصّوتيّ وعلاقته بالمقطع ..... (90)
المقطع وأثره في الدّلالة ..... (90)
تعريف المقطع ..... (91)
أنواع المقاطع..... (92)
المقطع العربيّ ..... (93)
أنواع المقاطع العربيّة ..... (93)
أهمّية المقطع ..... (96)
المفصل الصّوتيّ وعلاقته بالمقطع ..... (99)
المفصل الصّوتيّ وعلاقته بالنّبر والتّنغيم ..... (101)
النّبر وأثره في الدّلالة ..... (101)
تعريف النّبر ..... (102)
أنواع النّبر ..... (102)
مواضع النّبر ..... (103)
أثر النّبر في الدّلالة ..... (104)
التّنغيم وأثره في الدّلالة ..... (107)

تعريف التّنغيم ..... (107)
أنواع النّغمات ..... (108)
التّنغيم وأثره في الدّلالة ..... (109)
الـــمفصل الصّوتيّ وعلاقته بالنّبر والتّنغيم ..... (113)
الفصل الثّالث: المفصل الصّوتيّ وأثره في الدّلالة، دراسة تطبيقيّة على نماذج من القرآن الكريم..... (122)
السّكتات الواردة في رواية حفص باتفاقٍ أربع..... (124)
السّكتة الأولى ..... (124)
السّكتة الثّانية ..... (126)
السّكتتان الثّالثة والرابعة..... (128)
السّكتات الواردة عن حفص باختلافٍ اثنتان..... (132)
السّكتة الأولى..... (132)
السّكتة الثانية ..... (133)
الآيات الّتي استعمل فيها مصطلح الوقف بدلاً من السّكت ..... (134)
السّكتة الأولى..... (134)
السّكتة الثانية ..... (137)
السّكتة الثالثة ..... (140)
السّكتة الرابعة ..... (142)
السّكتة الخامسة..... (144)
السّكتة السادسة ..... (148)
السّكتة السابعة ..... (149)
السّكتة الثامنة ..... (152)
السّكتة التاسعة ..... (154)
السّكتة العاشرة..... (156)

السّكتة الحادية عشر ..... (158)
السّكتة الثانية عشر ..... (160)
السّكتة الثالثة عشر ..... (162)
السّكتة الرابعة عشر..... (164)
السّكتة الخامسة عشر ..... (165)
السّكتة السادسة عشر..... (167)
السّكتة السابعة عشر..... (168)
السّكتة الثامنة عشر ..... (169)
السّكتة التاسعة عشر ..... (170)
السّكتة العشرون ..... (173)
السّكتة الحادية والعشرون ..... (174)
السّكتة الثّانية والعشرون ..... (175)
السّكتة الثّالثة والعشرون..... (176)
خاتمة ..... (179)
قائمة المصادر والمراجع ..... (182)
فهرس الموضوعات..... (195)

الملخص:

تناولنا في هذا البحث أثر المفصل الصّوتيّ في الدّلالة، حيث تحدثنا عن مفهوم المفصل الصّوتيّ في أبحاث القدامى والمحدثين، مع بيان علاقة المفصل الصّوتيّ بباقي الظواهر الأدائيّة، ثمّ تطرقنا إلى دراسة تطبيقيّة على نماذج من القرآن الكريم بيّنا فيها أثر المفصل الصّوتيّ في تغيير دلالة الآيات، وذيّلنا هذه الفصول بخاتمة ضمناها أهمّ النتائج الّتي أفضى إليها البحث.

الكلمات المفتاحية: المفصل – الصّوت – الدّلالة – القرآن.

Le résumé:

On a abordé dans cette recherche la signe de joncture phonétique à la signification, et on a parlé de la définition de la joncture dans les recherches des anciens et des modernes, puis on a entamé la relation de la joncture phonétique et les phonèmes suprasegmentaux, ensuite on a fait une étude pratique au coran, et finalement on a conclu cette recherche par une conclusion.

Mots clés : La joncture – le son – la signification – le coran.

Abstract :

This paper tends to investigate the effect of the phonetic juncture on significance; since then, we talleed merely about what a phonetic juncture is according to ancient researchers. Next, we attempted to clarify the relationship between a phonetic juncture and the ultraform phenomena. The step that followed however, was devoted to cope with an applied study on sauples from the quran, to conclude our research by a compendium of the main important findings alrawn from the whole framework.

Key words: Juncture – sound – semantic – quran.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان -

كلية الآداب واللغات

قسم : اللغة العربية وآدابها

ملخص

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الصوتيات العربية

بين التراث والمعاصرة موسومة:

المفصل الصّوتي وأثره في الدّلالة،

دراسة نظرية وتطبيقية على نماذج من القرآن الكريم

إعداد الطالبة :

رحمة كزولي

إشراف:

أ.د. المهدي بوروبة

السنة الجامعية :1432-1433هـ/2011-2012م

الملخّـــص:

بســـم اللّه الرّحمـــن الرّحيـــم

الحمد للّه ربّ العالمين، وأفضل الصّلاة والسّلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمّد وآله الطيّبين الطّاهرين، وصحبه الغرّ الميامين.

أمّـــا بعـــد:

فإنّ البحوث اللّغويّة الّتي خصّت القرآن الكريم تعدّ من البحوث الّتي انصبت عليها جهود العلماء القدامى والمحدثين، فهو منذ نزوله محطّ أنظار العلماء ومناط أفكار الفضـــلاء، فتنوّعت هذه البحوث بين شرح ألفاظه ومعرفة الغريب منها، وبيان إعرابه، وتصنيف جمله إلى أنماطها النّحويّة المختلفة وذلك بياناً وتدبّراً لمعانيه.

ويعدّ القرآن الكريم مدونة مفضلة في مختلف البحوث اللّغويّة، الصّوتيّة منها على وجه التّحديد؛ إذ يعدّ مصدراً موثوقاً لدراسة مختلف الظواهر الصّوتيّة نظراً لتوارث قراءته جيلاً بعد جيلٍ، فلم يصبه خللٌ أو زللٌ، فكان اهتمامي منصبّاً على هذه السّلسلة من البحوث الّتي تخصّ القرآن الكريم، وكان المفصل الصّوتيّ من أهمّ المواضيع الّتي شدّت انتباهي كونه من الظواهر الحديثة على الدّرس الصّوتيّ العربيّ، فلم يلق بعد اهتماماً كبيراً من لدن علماءنا؛ إذ تظلّ الدّراسات الّتي تناولته قليلةً جدّاً، فجاء بحثي موسوماً بـــ "المفصل الصّوتيّ وأثره في الدّلالة، دراسة نظريّة وتطبيقيّة على نماذج من القرآن الكريم".

ولا ننكر دور الأستاذ المشرف في تشجيعنا على ولوج هذا البحث، لعلمه بقلّة الدّراسات الّتي تناولت الموضوع بوصفه دراسة حديثة. أمّا إذا عدنا إلى التراث اللّغويّ القديم فالمفصل الصّوتيّ يرتبط بظاهرتي الوقف والسّكت، خاصةً إذا حاولنا استقراء مواضعه في القرآن الكريم، وهنا لا ننكر وجود دراساتٍ سابقةٍ اهتمت

بالظاهرتين؛ إذ أفرد لهما العلماء المسلمون تصانيف خاصّة منها كتـــاب: "إيضاح الوقف والابتداء "لابن الأنباري، كتاب: "القطع والإئتناف" للنحّاس، كتاب: "المكتفي في الوقف والابتداء" لأبي عمرو الدّاني، كتاب: "منار الهدى" للأشموني، إلاّ أنّ هذه التّصانيف تخلو من بيان صلة الوقوف القرآنيـــّة بالمعنى إلاّ شذراتٍ متفرّقةٍ هنا وهناك في بعض كتب التّفسير؛ إذ أنّ اهتمامهم انصبّ على ذكر ما تواتر منها عن النّبيّ الكريم، دون بيان الحكمة منها في بيان كلام الله وفهم آياته وتدبّر معانيه، فجاءت بعض الدّراسات الحديثة لسدّ هذا النّقص منها: "الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم" لعبد الكريم إبراهيم عوض صالح، و "الوقف القرآني وأثره في التّرجيح عند الحنفية" لعزّت شحاته كرار.

وتتجلى قيمة دراسة الظواهر الأدائيّة في بيان قيمتها الصّوتية واللّغوية فطرحت عدّة إشكالات منها: ما مفهوم المفصل الصّوتيّ التراث اللّغويّ القديم؟ وماهي مفاهيمه في الدّرس الصّوتي الحديث؟ ما مدى علاقة المفصل الصّوتيّ بغيره من الظواهر الأدائيّة؟ وهل للمفصل دورٌ هامٌّ في بيان دلالات القرآن الكريم؟

واقتضت طبيعة الموضوع أن نعرضه في مدخلٍ وثلاث فصول، استهللناه بمقدّمة وذيّلناه بخاتمة.

تناولنا في المدخل مفاهيم المفصل الصّوتيّ في التراث اللّغويّ القديم، فحددنا مصطلحاته في هذه الدّراسات، فاتّضح لنا أنّ المفصل الصّوتيّ يتفق تماماً مع مبحثٍ مهمٍّ تناوله علماء التّجويد بالبحث والدّراسة ألا وهو مبحث: "الوقف والابتداء"، يقول أحد الدّارسين: "ممّا يتّصل بباب الحديث عن المفاصل الصّوتيّة مطلب الحديث عن الوقف والابتداء في التّنزيل العزيز [1].

[1]– مهدي أسعد عرار، "ظاهرة اللّبس في العربيّة، جدل التواصل والتفاصل"، دار وائل للنّشر والتّوزيع، عمان الأردن، ط1، 2003م، ص 27.

وعلم الوقف من العلوم الّتي جاءت لإزالة اللّبس والغموض بين العبارات، ومنع التّداخل بينها، فبه نعرف متى ننتهي من هذه العبارة ومتى نبدأ بأخرى.

وهذا العلم أوّل ما عرف بمصطلح الفصل والوصل؛ والّذي بـــرز في علم البلاغة أكثر من علم القراءات، ذلك أنّ المجالين متّصلان، "ودليلي على سبق وجوده في علم القراءات، اشتهار علماء القراءات به، فالقراءة أيّاً كان نوعها تحويل للألفاظ المكتوبة إلى أصواتٍ منطوقةٍ تؤدّي نفس الدّلالات، وفي أداء نفس الدّلالات تكمن المشكلة، القارئ الّذي لا يفهم معنى ما يقرأ ولا يتذوقه، سيقرؤه بطريقة تؤدّي إلى إفساد معناه، والخطيب إذا لم يكن متمكّناً من لغته ومن معانيه الّتي يريد أن يوصلها إلى المستمع، سيكون إلقاؤه مساعداً على تفتيت معانيه وتشتيت ذهن من يستمع له، فإن كان الأمر كذلك في القراءة والخطابة فهو في القرآن أشدّ أهميّة وأعظم ضرورة[1].

فبالوقف يتحقّق فهم كلام اللّه، ذلك أنّ من لم يهتم به قد يقف قبل تمام المعنى، أو يقف على مالا يصحّ الوقوف عليه، فيفهم خلاف المراد من كلام الله، فهما متلازمان إذا تغيّر موطن الوقف تغيّر المعنى، وقد أشار "ابن الجزري" إلى أنّ القراءة الصّحيحة البليغة هي الّتي تراعي مواضع الفصل والوصل، فقال: "من الأوقاف ما يتأكّد استحبابه لبيان المعنى المقصود، وهو ما لو وصل طرفاه لأهم معنى غير المراد، فمن التّام: الوقف على قوله: ﴿ **وَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ** ﴾ والابتداء: ﴿ **إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً** ﴾ [2] لئلا يوهم أنّ ذلك قولهم، وقوله: ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ** ﴾ عند الجمهور وعلى ﴿ **وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ** ﴾ [3] مع وصله عند الآخرين لما تقدّم،

---

[1] – منير سلطان، "الفصل والوصل في القرآن الكريم، دراسة في الأسلوب"، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، ط2، 1997م، ص 16.

[2] – "سورة يونس"، الآية: 65.

[3] – "سورة آل عمران"، الآية: 7.

وقولـــه : ﴿ **أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ** ﴾ والابتـــداء : ﴿ **وَ الَّـــذِي جَـــاءَ بِالصِّدْقِ** ﴾ [1] لئلا يوهم العطف...[2]

غير أنّ من العلماء من يرى أنّ المفصل الصّوتيّ في الدّراسات القرآنية القديمة ليس المراد به الوقف بل السّكت، أي أنّ هناك تضارباً في الآراء حول ماهيته الحقيقية في هذه الدّراسات، فعلى غرار "أسعد عرار" في قوله السّابق، يعدّ تمّام حسان "الوقف بوسائله المتعددة مفصلٌ من مفاصل الكلام يمكن عنده قطع السّلسلة النّطقيّة، فينقسم السّياق بهذا إلى دفعاتٍ كلاميةٍ، تعتبر كلّ دفعة منها إذا كان معناها كاملاً واقعة تكميلية منعزلة، أمّا إذا لم يكن معناها كاملاً كالوقف على الشّرط قبل ذكر الجواب مثلاً، فإنّ الواقعة التّكميلية حينئذٍ تشتمل على أكثر من دفعةٍ كلاميةٍ واحدةٍ [3].

أمّا من عرّفه بالسّكت فقد انطلق من معناه اللّغويّ، فالسّكت لغة: "من أصول الألحان شبه تنفسٍ بين نغمتين من غير تنفسٍ يراد بذلك فصل ما بينهما [4]. وانطلاقاً من هذا فالمفصل الصّوتيّ أو السّكت: "توقف القارئ عن إصدار الصّوت اللّغويّ في تتابع إصداره السّلسلة المنطوقة، وذلك في غير موطن الوقف، ويحدّد في العادة بزمنٍ أقل من زمن الوقف الطبيعيّ الّذي يكون في آخر الجملة أو عند رؤوس الآي [5]، ومقداره حركتان [6] عند البعض.

---

[1] – "سورة الزمر"، الآية: 32.

[2] – ابن الجزري (محمّد بن محمّد بن علي بن يوسف)، "النّشر في القراءات العشر"، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، ط1، 2002م، 187/1.

[3] – تمام حسان، "اللّغة العربية معناها و مبناها"، دار الثقافة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، (د.ط)، (د.ت)، ص 270.

[4] – ابن منظور (أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم الإفريقي المصري)، "لسان العرب"، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، مادة: سكت.

[5] – حسام سعيد النعيمي، "أبحاث في أصوات العربية"، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط1، 1998م، ص66.

[6] – عبد الكريم إبراهيم عوض صالح، "الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم"، دار السلام، مصر، ط1، 2006م، ص22.

والسّكت والوقف ألفاظٌ مختلفةٌ – إضافة إلى القطع – لمعانٍ متقاربةٍ، فكلّها تحمل معنى السّكت، فصارت هذه الألفاظ مصطلحاتٍ لعلم الوقف عامّة، لكن بعضهم حملهم الشّغف في حصر الحدود أن أوجدوا فروقاً بينها، وإن كانت جرت عند المتقدّمين مراداً بها الوقف غالباً، ولا يريدون بها غير الوقف إلاّ مقيّدة، أمّا المتأخرين وغيرهم من المحققين ففرّقوا بينها وجعلوا كلاًّ منها لغرضٍ خاصٍّ [1].

فالوقف عندهم: "قطع الصّوت على الكلمة زمناً، يتنفّس فيه عادّة بنيّة استئناف القراءة لا بنية الإعراض، ويكون في رؤوس الآي وأوساطها، ولا يأتي في وسط الكلمة ولا فيما اِتصل رسمًا [2].

فيما جعلوا السّكت: "قطع الصّوت زمنًا دون زمن الوقف عادة من غير تنفسٍ [5].

فالفرق بينهما يكمن في المقدار الزّمنيّ المستغرق في تأديتهما؛ إذ يطول الوقف حتّى يُؤخذ معه نفس، ويقصر السّكت فلا مجال لأخذ النّفس، وهنا ابن الجزري يرى أنّ "الوقف يشترط فيه التّنفس مع المهلة، والسّكت لا يكون معه تنفسٌ [3]. لكنّها اختلافات بسيطة يمكن زوالها واستعمال أحدهما مكان الآخر، فهما عنصران صوتيان يؤدّيان الوظيفة ذاتها: قطع الصّوت اللّغويّ، والهدف المرجوّ واحد: التّوقف لبيان المعنى الأمثل والأوضح لكلام الله.

ونجد سعيد النعيمي من القائلين بوجوب التّفرقة بينهما – أي بين الوقف والسّكت – لكنّه يعود ويقول بإمكانية زوال هذا الفرق، فيقول: "وهذا الفرق بين الوقف والسّكت عندهم القائم على الزّمن، يمكن أن يزول باستعمال مصطلح

---

[1]– "النّشر"، 192/1.

[2]– السيوطي (جلال الدّين الشافعي)، "الإتقان في علوم القرآن"، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت لبنان، ط1، 2005م، 121/1.

[3]– "النّشر"، 195/1.

«القطع» فيهما أخذاً بعبارة النّحاس الّتي جعلها عنواناً لكتابه: (القطع والائتناف)، وفيه كلام على مواضع ينبني على اختلاف القطع فيها اختلاف المعنى على أنّه استعمل في هذا الكتاب مصطلحي: (القطع) و (الوقف) [1]، يقول النحّاس [2]: الوقف عنده: ﴿ **فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ** ﴾ [3] قطع كافٍ [4]. ثمّ يأتي بجملةٍ من الآيات القرآنية لبيان أثر المفصل الصّوتيّ فيها، غير أنّه يستعمل بدلاً من مصطلح المفصل أو السّكت مصطلح الوقف، يقول: "وممّا يدخل في اختلاف المعنى لاختلاف موضع الوقف قوله: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أَوْلَئِكَ هُمْ الصِّدِيقُونَ وَالشُهَدَاء عِنْدَ رَبِّهِم لَهُمْ أَجْرُهُم وَنُورُهُم** ﴾ [5].

إذن فالفرق بين الوقف والسّكت يعتبر بسيطاً إن لم نقل بأنّهما بمثابة الشّيء ذاته، كما أنّنا لا نتحدث عن الوقف على أواخر الكلم، والّذي يكون غالباً في أواخر الجمل أو عند رؤوس الآي في القرآن، إنّما الوقف على الكلام المتّصل ومعرفة مدى أثره في المعنى ليس زمن أو مدّة تأديته.

فالمفصل الصّوتيّ عرف بمصطلحي الوقف والسّكت في القراءات القرآنيّة، ولكن اهتمام العرب بالوقف لم يكن في كلام الله فحسب، بل اهتمت على بيان مواطنه في كلامها شعره ونثره، وعدّوه من متطلّبات كلام الفصحاء؛ إذ روي عن أبي بكر

---

[1]– "أبحاث في أصوات العربية"، ص 66.

[2]– العلاّمة أحمد بن محمّد بن إسماعيل أبو جعفر المعروف بابن النحّاس، من أهل مصر، أخذ عن المبرد والأخفش والزجاج وغيرهم، ثمّ عاد إلى مصر وأقام بها إلى أن مات سنة (338هـ)، وله في علم الوقف والابتداء كتاب: "القطع والائتناف"، ينظر: الحموي (شهاب الدّين ياقوت عبد الله الرّومي البغدادي)، "معجم الأدباء"، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط3، (د،ت)، 224/4 – 225، و ابن خلكان (أبو العباس شمس الدّين أحمد بن محمّد بن أبي بكر)، "وفيات الأعيان وأبناء الزمان"، دار الثقافة، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت)، 100/1، و "شذرات الذهب" ، 228/6.

[3] – "سورة البقرة"، الآية: 184.

[4]– النحّاس (أبو جعفر أحمد بن محمّد بن اسماعيل)، "القطع والائتناف أو الوقف والابتداء"، تحقيق: أحمد فريد المزيري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002م، ص 92.

[5]– "سورة الحديد"، الآية: 19. لبيان أثر الوقف في دلالة الآية ينظر: الصفحة: 179 من الفصل الثالث.

الصدّيق رضي اللّه عنه أنّه قال لرجلٍ معه ناقة: "أتبيعها ؟"، فقال: "لا عافاك اللّه"، فقال: "لا تقل هكذا"، ولكن قل: "لا وعافاك اللّه" [1].

فإضافة أبي بكر للواو بمثابة وقفٍ أو سكتٍ يفصل بين "لا" وباقي الكلام، وتصحيح أبي بكر لعبارة الرّجل من أجل درء اللّبس، فيكون الدّعاء له لا عليه. فكانت العرب أحرص النّاس على فصل المعاني وإنزالها منازلها، قال أبو العباس السفّاح لكاتبه قف عند مقاطع الكلام وحدوده، وإيّاك أن تخلط المرعي بالهمل، فمن حلية البلاغة المعرفة بمواضع الفصل والوصل [2]، فعلم الفصل هو المصطلح الّذي عُرف بـــه المفصل الصّوتيّ عند اللّغويين والبلاغيين منهم على وجه الخصوص.

كما ذكر المحدثون أنّ البلاغيين "بحثوا ما يمكن أن نجعله في صويتة المفصل في باب الجناس المركّب [3] على وجه الخصوص؛ إذ يساهم بوظيفته التّمييزيّة والتّحديديّة في بيان حدود ركني الجناس وبالتّالي دلالتهما ومعنى البيت ككلّ.

أمّا إذا عرجنا على دراسة الفلاسفة، فنجدهم لم يهملوا الظاهرة بل تنبّهوا إلى أنّه يتموضع مكان علامات الاتصال والانفصال في الكلام المكتوب، أمّا في المنطوق منه فالفسحاتٍ الزّمنيةٍ هي الّتي تمثّله؛ إذ تساهم في زيادة الفهم والادراك [4].

ويبقى مصطلح الوقف في الدّراسات القديمة الأكثر شهرةً وتمثيلاً للمفصل الصّوتيّ، خاصّة ما تعلّق منه بكتاب الله سبحانه، وتعدّ ظاهرة الوقف جانباً مهمّاً في أداء العبارة القرآنية، فهو يوضّح كيف وأين يجب أن يقف القارئ في كتاب الله؛ ذلك أنّه

---

[1] – "القطع والائتناف"، ص 31.

[2] – العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل)، "كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر"، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1989م، ص 497.

[3] – ينظر: "أبحاث في أصوات العربية"، ص 75.

[4] – ينظر: ابن رشد ، "تلخيص الخطابة"، تحقيق: عبد الرّحمن بدوي، دار القلم، الكويت، (د.ط)، (د.ت)، ص 276–277.

لّما لم يمكّن القارئ أن يقرأ السّورة أو القصّة في نفسٍ واحدٍ، ولم يجز التّنفس بين كلمتين حال الوصل، بل ذلك كالتّنفس في أثناء الكلمة، وجب حينئذٍ اختيار وقت للتّنفس والاستراحة، ويتحتّم ألاّ يكون ذلك ممّا يخلّ بالمعنى ولا يخلّ بالفهم؛ إذ بذلك يظهر الإعجاز ويحصل القّصد... ومن ثمّ اشترط كثير من أئمة الخلف على المجيز ألاّ يجيز أحدًا إلاّ بعد معرفته الوقف والابتداء [1].

ولقد اهتم به الرّسول صلّى الله عليه وسلّم؛ "إذ أنكر قول الخطيب: "من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما". فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "بئس الخطيب أنت فقم. كان ينبغي أن تصل كلامك، ومن يعصهما فقد غوى، أو تقف على رسوله فقد رشد [2].

فتعلّم الوقف ومعرفته من معرفة الحلال والحرام والأوامر والنّواهي في كتاب اللّه، ومنزلته من منزلة تعلّم القرآن، وكان صلّى اللّه عليه وسلّم يقف على بعض الآيات، وإن كان أكثر وقوفه على رؤوس الآيات، وذلك لما روي عن أمّ سلمة أنّها سُئلت عن قراءة النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم فقالت: "كان يقطّع قراءته، يقول: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [3] ثمّ يقف، ﴿ **الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ [4] ثمّ يقف"[5].

فمعرفة الوقف من أهمّ متطلّبات التّجويد وعلى قارئ القرآن تعلّمه إن أراد تدبر كلام اللّه كما أمره سبحانه في قوله: ﴿ **كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** ﴾ [6]، وقوله: ﴿ **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ**

---

[1]- "النّشر"، 1/ 182.

[2] - "القطع والائتناف"، ص 28.

[3] - "سورة الفاتحة"، الآية: 2.

[4] - "سورة الفاتحة"، الآية: 3.

[5]- ذكره السيوطي بسنده في الإتقان، 1/ 125.

[6]- "سورة ص"، الآية: 29.

أَقْفَالُـــهَا ﴾ [1]، على أن يُلمّ القارئ بعلوم اللّغة العربيّة والتّفسير والقراءات فهي تساعد على الفهم والاستيعاب الجيّد لكلام الله عزّ وجلّ.

فللوقف أهميّة بالغة في القرآن الكريم تتمثل في جانبين مهمّين:

فالجانب الأوّل: وهو بيان معاني القرآن العظيم وتعريف مقاصده وإظهار فوائده، وقد أشار إليه العديد من الأئمة منهم ابن الجزري في قوله السّابق: "ويتحتّم ألاّ يكون ذلك – أي الوقف – ممّا يخلّ بالمعنى ولا يخلّ بالفهم [2]، فهو من عوامل كشف المعاني والمقاصد.

أمّا الجانب الثّاني: فهو تبيين أوجه التّأويل تبعاً لاختلاف أماكن الوقف والابتداء، وهو جانبٌ مهمٌّ، لأنّ الوقفات والسّكتات الصّوتيّة الّتي يأتي بها القارئ خلال أدائه تعدّ فونيماتٍ تقوم بدورٍ وظيفيٍّ في تحديد دلالات ما ينطق به...، وقد فطن إلى ذلك كثير من المفسرين والنّحاة، الّذين اهتموا بتحديد دلالات التّراكيب في النّص القرآنيّ [3]، بل نجد أنّ النّحاة استعانوا بالوقف في تعليلهم وتحليلهم لبعض الآيات القرآنية، "والمتصفّح لبعض التّحليلات النّحويّة يجد أنّهم اعتمدوا مبدأ القطع والاستئناف في الكلام في ترجيح هذه الاحتمالات [4].

هذه مختلف مفاهيم المفصل الصّوتيّ في التراث الّغويّ القديم، والّتي سنتطرق لكلّ منها بالتّفصيل في المبحث الأوّل من الفصل الأوّل، وهذا الأخير خصّصناه لبيان ماهية المفصل الصّوتيّ في تناول القدامى والمحدثين، فقسّمناه إلى مبحثين :

---

[1] – "سورة محمّد"، الآية: 24.

[2] – "النّشر"، 1/ 182.

[3] – "دلالات الظاهرة الصّوتيّة في القرآن الكريم"، ص 99.

[4] – ابن علي بن أحمد، "ظاهرة الوقف بين القرّاء والنّحاة، أبو عمرو وسيبويه نموذجين: دراسة لغويّة"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللّغويات، جامعة: أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1997– 1978م، ص 93 .

تعرضنا في المبحث الأوّل كما ذكرنا إلى تناول علماء العربية القدامى لظاهرة المفصل الصّوتي، فتوزعت دراستنا على جوانب عدّة شملت: النّحاة والبلاغيين، والقرّاء، والفلاسفة.

أمّا المبحث الثّاني: فتناولنا فيه المفصل الصّوتيّ في الدّرس الحديث، وقد قسّمناه إلى قسمين: الأوّل للدّراسة الغربيّة؛ والّتي عرف المفصل الصّوتيّ فيها بمصطلح (juncture)، أو الانتقال (Transition) [1]، أو كما سمّاه فرانسوا ديل "François Dell" بالحدود (Les frontières) [2] وهو عبارة عن سكتةٍ خفيفةٍ بين كلماتٍ أو مقاطع في حدثٍ كلاميٍّ بقصد الدّلالة على مكان انتهاء لفظٍ ما أو مقطعٍ ما وبداية آخر [3].

وجاء القسم الثّاني للدّراسة العربيّة[4] ؛ إذ يعدّ المفصل الصّوتيّ فونيماً فوقطعيّاً يأتي بين كلمةٍ وأخرى أو بين قولٍ وسكونٍ ويعبّر عنه بالوقوف [5]، ويشترك كغيره من الفونيمات في المساعدة على التّعرف على حدود الكلمة من النّاحية الصّوتيّة وسط التيّار الكلامي [6]. ثمّ تطرقنا إلى الرّموز المتعددة الّتي تمثّله، وإن كان أشهرها علامة زائد (+ أو #) ،مع تحديد وبيان أثره في الدّلالة، وأتبعناه بالحديث عن التّقسيمات المختلفة باختلاف المعايير المعتمدة لكلّ تقسيمٍ في الدّرسين الغربيّ

---

[1] – "أسس علم اللغة"، ص 95.

[2] - François Dell, « Les règles et les sons : introduction à la phonologie générative », édition Hermann, paris, 2ème édition, 1996, p 38.

[3] – "أسس علم اللغة"، ص 95.

[4] – مبارك مبارك، "معجم المصطلحات الألسنية، فرنسي، إنجليزي، عربي"، دارالفكر اللّبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1995م، ص 157.

[5] – "معجم علم اللّغة النّظري"، ص 142.

[6] – عبد القادر عبد الجليل، "الدّلالة الصّوتيّة في لهجة الإقليم الشمالي"، دار صفاء، عمّان، الأردن، ط1، 1997م، ص 82.

والعربيّ، وختمنا الدّراسة العربيّة بذكر الأنواع الثلاثة للمفاصل الصّوتيّة في اللّغـــة العربيـــّة: من الوقفة والسّكتة والاستراحة مع بيان مواضعها.

فيما جاء الفصل الثّاني بياناً لعلاقة المفصل الصّوتيّ بالظواهر الأدائيّة، فخصصنا المبحث الأوّل لعلاقته بالمقطع؛ إذ "إنّ التّقسيم المقطعي ليرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمفصل حيث توجد عادة وقفة غير محسوسة غالباً بين المقطعين [1]، أمّا من حيث فترتها الزّمنيّة "فقد تعادل أحياناً المفصل المفتوح (الانتقال الحّاد) [1].

أمّا المبحث الثّاني فبيّنا فيه علاقة المفصل الصّوتيّ بالنّبر والتّنغيم، يقول النعيمي: "المفصل لا ينفك عن التّنغيم والنّبر، وهما في العربيّة اليوم عادتان نطقيتان تتأثران كثيراً باللّهجات المحليّة [2]. فهي فونيمات تؤدّي الدّور ذاته، فالمفصل مثل النّبر والتّنغيم يميّز النّظام الصّوتيّ للّغة، كما أنّه يقوم بدورٍ وظيفيٍّ في تحديد دلالة ما ينطق به المتكلّم[3].

في حين جاء الفصل الثّالث دراسة تطبيقيّة على نماذج من القرآن الكريم، بيّنا فيها السكتات الواردة عن حفص، من المتفق عليها والمختلف فيها، ثمّ حاولنا استقراء بعض مواضع المفصل الصّوتيّ في القرآن الكريم مع بيان أثره في اختلاف دلالة الآيات القرآنية.

وذيّلنا بحثنا بخاتمة تضمّنت أهمّ النتائج المتوصّل إليها من خلال بحثنا.

وقد اعتمدنا في دراستنا على المنهج الوصفيّ، والّذي يتجلّى في عرض المفصل الصّوتيّ في الدّرسين القديم والحديث، وكذا علاقته بالظواهر الأدائيّة، أمّا الفصل الثّالث فاعتمدنا التّحليل أداة للمعالجة وذلك لبيان أثر المفصل في تغيير المعاني والدّلالات في القرآن الكريم، وحتّى اختلاف بعض الأحكام الفقهية .

---

[1]– "أسس علم اللّغة"، ص 96.

[2]– "أبحاث في أصوات العربيّة"، ص 78.

[3]– "الدّلالة الصّوتيّة"، ص 83 نقلاً عن: "من الصّوت إلى النّص"، ص 65.

وكان من البديهي أن نعتمد على جملةٍ من المصادر والمراجع تمازجت هي الأخرى بين القديم والحديث، منها من القديم كتب القراءات والتّفسير: "كالنّشر في القراءات العشر" لابن الجزري، و"إيضاح الوقف والابتداء" لابن الأنباري، و"القطع والائتناف" لأبي جعفر النّحاس، "الكشاف عن غوامض حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" للزّمخشري.

أمّا من الحديث: فنجد: "أبحاث في أصوات العربيّة" لحسام سعيد النعيمي، و"علم اللّسانيات الحديثة" لعبد القادر عبد الجليل، وكتاب "في الصوّاتة الزّمنية" لمبارك حنون.

أمّا المراجع الأجنبية فنذكر:

- « Dictionnaire de linguistique » de Georges Mounin, « Les règles et les sons » de François Dell, «Dictionnaire de linguistique et des siences du language » de jean dubois, et « Éléments de linguistique », d'André Martinet.

وككلّ باحثٍ واجهتنا صعوبات وعراقيل أهمّها: قلّة المصادر والمراجع الّتي تعالج المفصل في الدّرس الحديث خاصّة وإن وجدت فمعظمها باللّغة الأجنبية.

وفي ختام قولنا لا يسعنا إلاّ تقديم أخلص عبارات الشكر والعرفان إلى أستاذنا الفاضل "المهدي بوروبة" الّذي كان نعم السّند والظّهير في هذا البحث، كما لا يفوتني شكر السّادة أعضاء اللّجنة العلميّة، و الحمد لله ربّ العالمين.

الملخص:

تناولنا في هذا البحث أثر المفصل الصّوتيّ في الدّلالة، حيث تحدثنا عن مفهوم المفصل الصّوتيّ في أبحاث القدامى والمحدثين، مع بيان علاقة المفصل الصّوتيّ بباقي الظواهر الأدائيّة، ثمّ تطرقنا إلى دراسة تطبيقيّة على نماذج من القرآن الكريم بيّنا فيها أثر المفصل الصّوتيّ في تغيير دلالة الآيات، وذيّلنا هذه الفصول بخاتمة ضمناها أهمّ النتائج الّتي أفضى إليها البحث.

الكلمات المفتاحية: المفصل – الصّوت – الدّلالة – القرآن.

Le résumé:

On a abordé dans cette recherche la signe de joncture phonétique à la signification, et on a parlé de la définition de la joncture dans les recherches des anciens et des modernes, puis on a entamé la relation de la joncture phonétique et les phonèmes suprasegmentaux, ensuite on a fait une étude pratique au coran, et finalement on a conclu cette recherche par une conclusion.

Mots clés : La joncture – le son – la signification – le coran.

Abstract :

This paper tends to investigate the effect of the phonetic juncture on significance; since then, we talleed merely about what a phonetic juncture is according to ancient researchers. Next, we attempted to clarify the relationship between a phonetic juncture and the ultraform phenomena. The step that followed however, was devoted to cope with an applied study on sauples from the quran, to conclude our research by a compendium of the main important findings alrawn from the whole framework.

Key words: Juncture – sound – semantic – quran.